

السياسة بين الحلم والإرادة ؟

محمد حسنين هيكل

الإرهاب والإسلام

كمال أبو المجد

.. وماذا بعد طالبان ؟

فهمى هويدى

- ومقالات : محمد الميلى ◆ جلال أمين
يوسف القعيد ◆ سيمور هيرش
أمينه رشيد ◆ حسين عبد الله
ناصر الأنصارى ◆ عادل أبو زهرة
سلامة أحمد سلامة ◆ أحمد توفيق

نوبل "نايپول" .. ومكافأة التهجيم على الإسلام / صبرى حافظ

ظلال أفغانستان

إلا القليل عن أفغانستان والأفغان - كما يقول يوسف التعيد في مقاله «لوجهات نظر»، والذي يقرأ فيه روايتين لكاتب أفغانية «ميرال معروف» - بعد أن انقضت الفترة الشديدة للأدب الأفغانى في الكتابات المصرية والعربية: دراسة وتحليلاً وترجمة. الأمر الذي يمسك حالة عدم اهتمام عربية شاملة بأب هذا البلد «البعيد الغريب».



ظلال أفغانستان - وعبارى «التجيش» - والصحيح الهائل حول أبعاد ماجرى، يبدو أنها ظلت مكاناً مفترضاً لا تصل إليه. فيض النظر عما أثير بكرة حول «أجواء» قرار الأكاديمية السويدية بمنح نوبل في الأدب للكاتب الهندي الأصل الإنجليزي اللغة «فيبادار سوراجراساد نايبول»، يقدم صبرى حافظ في مقاله عن «الأدب والسياسة في عصر ما بعد الحداثة» قراءة تحليلية، ليس فقط لكتابات صاحب نوبل المختلف عليه، بل - وربما كان ذلك مثبِّراً للاهتمام - لنص إعلان الأكاديمية «بجمله العامة للكتابة» - والتي تشير بوضوح لا يضى على أحد - وعكس العادة - إلى أعماله غير الروائية.

يطرح صبرى حافظ في مقاله مسألة تسرب معايير السياسة وأحكامها إلى ماينبغى أن يظل في خانة الأدب - والأدب يحده - فيعرض لما حدث هذه الأيام أيضاً لجائزة «بوكر» وهي أرقى الجوائز البريطانية في فن الرواية وكيف أن الاختيار خالف ما كان متوقعاً «ليتماشى مع المزاج السياسي السائد في مناخ هذه لمواجهة للتصورية بين الإسلام والغرب».

والواقع أن كل من شهد معرض فرانكفورت الدولي للكتاب قبل أيام لابد أن استوقفه حديث (أو بالأحرى سكوت) الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس *Jürgen Habermas* في حفل استلامه لجائزة السلام التي يمنحها سنوياً معرض فرانكفورت للكتاب. فالذين تجمعوا في كنيسة القديس بول العريقة حيث أقيم الحفل توقعوا - كما هي العادة - ألا يغيب عن «م حفل السلام» صدى الحرب الدائرة هناك، إلا أن ذلك لم يحدث أبداً. بل كان الأكثر إثارة ما لاحظته البعض من اختلاف - متعدد - بين الكلمة المطبوعة التي وزعت على الحاضرين وبين تلك التي ألقاها فعلاً الفيلسوف اليسارى المتقش به. فبين فقرات أخرى اختلعت قرا الحاضرون في الوثائق الأصلية تحذير هابرماس من «الضغط المنفصل الذي ينتج عنه الأخذ بالثأر» - إلا أن هذا الجزء - مع أجزاء أخرى - تم حذفه في كلمته أمام الحضور.

هل نحن أمام إرهاب فكري يفكر بما يفضلهُ الكثيرون من تجنب الحديث عن «الحقيقة» وهل تصريف الفيلسوف الألماني وفي ياله ما تعارض له مواطنه الكاتب الروائي مارتن فاسلير الذي أثار قبل سنتين عند تسلمه الجائزة ذاتها الكثير من اللغط، عندما قل في كلمته بأنه شخصياً غير معني بعد والشعور بالذنب إزاء ما ارتكبه قتل. لأنه يعتقد إن الألمان عليهم التطلع إلى المستقبل، وأن الشعور الدائم بالذنب، يجعلهم محبطين دائماً بصورة عامة.

أين نحن الآن؟

والى أي مدى تستصل جهود حياغة العدو البديل؟

والى أي مدى سيذهب بنا كل هذا الصخب والضوضاء - والصخب - ومحاولات التفتيح في مقولات - صموئيل منتفنون - القديمة؟

وجهات نظر

في صباح لاهوت متلاحق ما بعد الزلزال - ورغم سحابة داكنة من عدم اليقين - وأصوات متلاحقة من علامات الاستفهام، أصبحت أفغانستان - البلد الأكثر فقراً ووعورةً - وعاداً - مانشيت الصفحة الأولى، رغم ندرة التفاصيل. وخبر النشرة الأولى - رغم صعوبة النطق - والشاشة الخضراء البهية - وملل التقارير المتكررة.

أفغانستان التي قدر لها أن تكون «خشباً للشهيد «الحالي» من مسرحية تبدو للكثيرين «عبيبة»، فرضت نفسها - أو بالأحرى فرضتها الأحداث، موضوعاً وبنوياً لهذا العدد من «وجهات نظر».

«ماذا بعد طالبان؟» السؤال احتل الصفحة الأولى في كتاب الألمان الضخم الذي بدأ تحريره صبيحة العاشر من سبتمبر (بتوقيت نيويورك) بعد أن تم - ربما عمداً - ورغم عدم اليقين، تحمية السؤال الأهم جانباً: من قطعها؟ وكيف؟ ولماذا؟



محاولاً الإجابة عن السؤال - الذي يعمل الكثيرون على التدخل بالقوة والدبلوماسية في إجابته - يرسم فهمى هويدى بظهيرته المباشرة الخريطة المعلقة لتضاريس الأعراق والإثنيات والتحالفات والتاريخ في هذا البلد البائس (٦٤٧ ألف كيلو متر مربع، ٣٧ مليون نسمة، وأكثر من سبع جماعات عرقية وما يزيد على ثلاثين لغة محلية).

يرى هويدى أن إسقاط حكومة طالبان لم يكن بحاجة إلى كل تلك العمليات العسكرية والغارات التي - على العكس - مدت من عمر الحركة التي كان عمرها الافتراضي قد قارب الانتهاء، بعد أن فشلت فعليا في إدارة البلاد ورغم نجاحها في إنهاء عقد من الدماء والفساد. فالغارات «الاستعراضية» كان من شأنها، وهذا من طابع الحياة والبشر، أن تزيد من تماسك صفوف الحركة (أمام جبهتين غاشم واحد). ثم إن وضعها فصول المعارضة في موقف حرج من شأنه أن يقللها أي تعامل من شعب جبلي يتميز بالكبرياء والعناد.

أكثر من ذلك يذهب هويدى إلى أن سقوط النظام لن يعنى نهاية طالبان والتي ستتحول إلى حركة مقاومة جهادية. ويقول بأنه علم أن قرار التحول من سلطة حاكمة إلى حركة مقاومة اتخذ بالفعل - وأن التعليمات صدرت بهذا الخصوص إلى حكام الأقاليم بالعمل كشادة ميدانيين لمواجهة الواقع الجديد. وأنه في ظل انقطاع الاتصالات فإن أربابك القادة المحليين حق التصرف واتخاذ ما يرونه مناسباً دون الرجوع لقيادة مركزية. الأمر الذي - إلى جانب بقية العوامل المتخلطة - يفتح الباب لاحتمالات تظل لاتهايت.



أما ما كان أمر مشهد أفغانستان «التي ستكون» يرسم لنا جمال الدين الأفغانى مشهد أفغانستان «التي كانت» وتخصص «وجهات نظر» كتاب الزاوية لفصل من كتاب «تمة البيان في تاريخ الأفغان» الذي طبع عام ١٩٠١. وهو الكتاب الوحيد الذي ألفه جمال الدين الأفغانى (١٢٤٥ - ١٣١٤ هجرية) ويعرض فيه لأسلوك الأفغان ولجائعهم ومعتقداتهم وصناعاتهم ونظامهم السياسى.

والواقع أنه رغم الكتاب، ورغم شهرة الأفغانى عريقاً، فقد ظل العرب لا يعرفون



محمد حسنتين هيكل

عن البحر والحرب والزمان الجديد

١٩٩٠

«صنع اليابان الحديثة» - هيربرت بيكس.
«حياة اندريا غاماني» - كاترين فرانك.
«بيت الأسرار» (عن وكالة الأمن القومي الأمريكي) - ليد جيس بافلور.
«شخصية الملكة فيكتوريا» - كريستوفر هيربرت.
«صليب الفارس» (عن المارشال الألماني إريون روميل) - «دايفد فريزر».
«موجبات الحرب الخاطلة» - «المارشال آلان بروك».
«فرنسا سنوات الظلام (١٩٤٠ - ١٩٤٤)» - «جوانا جاكسون».
«تكوين الفصل الحديث» - «بيتر واتسون».
«الطقم» (السبق إلى حل التشفرات السرية للدول الكبرى) - «سبجياج مونتيفوري».
«ميزان القوى العسكرية في الشرق الأوسط ٢٠٠١» - «انتوني كوردمان».

في الصباح الباكر من أول يوم على الساحل، مشيت فوق الرمل نصف ساعة، ثم سبحت وسط الموج نصف ساعة أخرى، ثم ذهبت أجيء بولحد من «صحابي» أقضى معه بقية الصباح حتى الظهور إذا لم يطرأ ما يلت أو يشغل.

والقيت نظرة عابرة على كتبي العشرة وقد أخذت مكاناً متقرباً وسط ريفو كتب سبقتها إلى السباح وبقيت هناك، لأن عودتها إلى القاهرة لم تكن ضرورية، وبدا لي أن تلك النظرة العابرة على صف الكتب تريد أن تستوفى أن ما جئت به من «صحابي» كان اختياراً معقولاً لم تفرسه مجلة الأسبوع.

■ في الطريق إلى الساحل الشمالي لإجازة صيف على شاطئ البحر، صحبت معي عدة كتب، وإجازات الصيف عادة فرصة حرة للقراءة، والقراءة في هذه الأوقات متناحية، لأنها ليست محصورة ولا محاصرة، وكذلك فهي فرصة مفتوحة للتأمل والتخلق في سماء عريضة، بشارع عال، على موج وريح كلامها يحمل الشاطئ ومن فيه إلى سفر بغير قيد نحو أفق بغير حد.

وكان «صحابي» من الكتب هذا الصيف مجموعة من منشورات ربيع سنة ٢٠٠١، ومعظمها مما استقبلته عادة لقراءات الصيف المسترخية، وبالطبع، فإن أول هذا النوع من الكتب هو «السير» كتبها أصحابها بأنفسهم (سيرة ذاتية)، أو كتبها آخرون غير أصحابها بعد أن تقابلوا مع لفصص (حياة) تستحق التسجيل لوجال ونساء تركوا في الدنيا ذكراً والرا.

بعد كتب السير - لكنني وغير ذاتية - أحمل معي في العادة ضمن قراءات الصيف أعمالاً في التاريخ والسياسة والحرب، فلك - إلى جانب أسباب لهنه - هوية معبودة فلما بهعاية الصراع الإنساني وخطائهم.

ثم يجيء - بعد ذلك نوع ثالث من الكتب يتصل بالسياسة والفكر، وعادة ما تكون الكتب من هذا النوع آخر قراءات الصيف في دورها، وعادة ما ينتهي الموسم بتأجيل قراءتها - مع غيرها - إلى فصل الشتاء حيث تصح قراءتها أكثر داخل جدران غرفة، وإمام مكتب، وفي اليد قم بالقرب منه ورق، وتلك الحوافد تمنح من التركيز فلا تشتت نظره أو خاطر وراء شعاع شمس أو حبة رمل أو طائر نورس يتزلق بجانبه مع الريح!

وكان «صحابي» من الكتب هذا الصيف عشرة:

كان هذا الحديث مكتوباً في الأصل للعدد السابق من «وجهات نظر» وعندما وقع ما وقع في نيويورك وواشنطن يوم ١١ سبتمبر الأخير، واندلع الحريق في أمريكا والعالم، وجدت مناسباً أن ألق مع الواقفين على ناصية دنيا تتغير أحوالها تحت بصر أهلها جميعاً من خلال صور ومشاهد لا يستغرق زمنها أكثر من ثوان. لكنها تستولى على الحس والعقل والخيال.

وظننت أن ذلك الحديث الذي كتبت قبل ١١ سبتمبر فات أوانه بانتكم إلى عصر ما قبل الحريق، والقيت نظرة أخرى عليه قبل أن أودعه سجل المحفوظات، ثم خطر لي - والصفحات مازالت أمامي - أن موضوعه مازال موصولاً بما هو جار من الأحداث خصوصاً مع كلام يتردد عن «تعاون» أو «اتلاف» أو «تحالف» يدخل فيه العرب مع الولايات المتحدة في حرب يسمونها «الحرب الأولى في القرن الواحد والعشرين».

ومر بخاطري أن السياسة العربية المعاصرة قد عقيدها أن تقرأ - إذا كان يهجم - تجرية عن فكر وفلسفة وشروط «التعاون» أو «الاتلاف» أو «التحالف» بين أطراف تتفاوت بينها عوامل القوة والضعف بما يميل بالموازنين «نظرياً» إلى ناحية الأقوياء - إلا إذا أدرك الضعفاء أن ما هو «نظري» له جانب آخر «عملي»!

ذلك أنه عندما يحتاج القوى إلى الضعيف في درجة من درجات «التعاون» أو «الاتلاف» أو «التحالف» - فمعنى ذلك أن القوى يستشعر «الحاجة» إلى الضعيف، لأن ذلك الضعيف يملك شيئاً مرغوباً فيه ومطلوباً، وفي الغالب فإن هذا المرغوب فيه والمطلوب يكون من الموارد المعنوية أو الأخلاقية أو القانونية يراد لها أن تضيف صفة الشرعية على نوايا الأقوياء وخططهم وأفعالهم، وذلك هو الجبر المنطقي الذي يخلق لدى الأقوياء حاجتهم إلى الضعفاء!

أي أن «حاجة» الأقوياء إلى الضعفاء قادرة على تعويض النقص في القوة وتحقيق قدر من المساواة بين الأطراف، بمعنى أنه إذا كانت القوة المادية تصب في حساب طرف، فإن القوة «المعنوية» والأخلاقية والقانونية - تضيف إلى أرصدة الطرف الآخر، وبالتالي فإن ذلك التعويض يصنع تكافؤاً سياسياً يحفظ العلاقة بين الطرفين أن تتحول إلى تبعية (وربما عبودية)!

لكن هذه العملية - تعويض المادي بالمعنوي - لا تحدث تلقائياً وإنما هي تحتاج إلى فهم للحقائق بدقة، وإلى استعمال للإرادة بحسب لأنها عملية شديدة التعقيد.

وعندما مالت بي الظنون إلى إمكانية نشر هذا الحديث فقد أثرت أن أتركه على حاله كما كتبت باعتقاد أن كل حديث وحده كاملة متوازنة في الموضوع والمناخ والتأثير. ويرغم إحساس أن الواقع الراهن بعيد عن كلام البحر والموج والرمل. فقد تسورت أنني خلال الشهور الأخيرة وفيما كتبت في هذه المجلة وقفت طويلاً أمام مقدمات الواقع الراهن وعرضت مبكراً لاحتمالاً - وكذلك جائزت - وأمل أن أكون أخطاء. وشردت قريباً أو بعيداً.

بين العلم والإرادة!

هزتهم حركة الجيوش المخشاة فوق أرض أوطانهم أو بالقرب منها، وقد هموا ليجدوا النار من حولهم وكان عليهم أن يهجموا بسرعة. وذلك بالضبط ما حدث لشعوب الأمة العربية التي راحت تفتش وسط الحرب العالمية الثانية - يناسبها وهمة تشارك بها في مجرى التاريخ ومجرى الحضارة معا.

■ ونتيجة لذلك، وتواصلا طبيعيا معه، فإن تلك الحرب العالمية الثانية أصبحت بالنسبة لذلك الجيل الذي انتسب إليه بداية لوعي بالعالم والتميز للعصر، فقد كانت أجواء تلك الحرب - أقرب مبادئ القتال أو بعيدا عنها - صراع معارف وثقافات وخبرات الهمت مؤرخي القرن العشرين، وهو «أرنولد توينبي»: «عالم عام من المستقبل على الأمل».

ويظهر الآن بعد أكثر من نصف قرن من سكوت مدافع تلك الحرب العالمية الثانية أن ثورة «توينبي» صحيحة، وأكثر من ذلك، فإن أعقاب تلك الحرب كانت بالنسبة لي - شخصيا - بداية طريق. ذلك أنه حين شألت لي الظروف والحظوظ أن أبدأ رحلة الحياة، كان الأفق الذي سرت نحوه هو وهج تلك الحرب. ثم كان دواعي المهنة وضعتني - حتى بعد أن شحبت الوهج - وسط عواصف تلك الحرب وتداعياتها وتواصيا معا لا يزال يجري حتى الآن وإلى أي مدى يمكن استشرافه من هنا:



لم يكن غريبا إذن - وتلك خواطري - أن تمعد أصابعي لشعوب واحدا من «الصحاب» معني إلى شياطين البسم - لم يكون هذا «الصحاب» الأول - من بين العشرة - هو كتاب: «فرنسا» (١٩٤٠ - ١٩٤٤) - سنوات الظلام - ومؤلفه هو «جوليان جاكسون»، أبرز أساتذة التاريخ في جامحة «ويلز» البريطانية، وله تخصصه هو التاريخ الفرنسي الحديث، وله فيه خمسة مؤلفات كل منها مرجح لا يستغني عنه في موضوعه:

■ سنوات الظلام التي قصصها الأستاذ «جوليان جاكسون» بحدوث كتابه هي تلك السنوات التي عاشتها فرنسا تحت الاحتلال الألماني من ساعة مخطأها قوات الاحتلال في يونيو سنة ١٩٤٠.



٥ وجهات نظر

وكانت النتيجة في نهاية الحرب لباردة أن الذي أعطى الروح والدم أخذ بعدهما الشعر، وأن الذي أعطى الموارد والثروة أخذ بعدهما القوة ووجد شيئا ما يفتنيه عن الصناديق والعقائد!

وتلك هي الحقيقة العارية في شأن هذه الحطية من التاريخ الإنساني التي تعيشها الآن، وذلك هو والحقا الزمان بصرف النظر عن معانٍ ولهم وحقوق تطالب للحياة بكرامتها، ويعيدنا عن أوامر البطولة والشعر والقصائد، ويعيدنا عن حكمة القوة وغرورها وجنونها في بعض الأحيان:

■ وتلك الحرب العالمية الثانية كانت نوعا من العودة إلى مجرى التاريخ الإنساني بالنسبة لشعوب وأمم وأوطان ودول فيما أصبح يسمى بالعالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. والشاهد أن مجرى التاريخ تلازم مع مجرى الحضارة كأنهما صفا من العجلات على شريط للسكة الحديد، وكذلك تذهب مراكز الحضارة إلى حيث تذهب مراحل التاريخ. أي أنه حين تغيب شمس الحضارة تمام حركة التاريخ.

وكان مدير مدافع الحرب العالمية الثانية هو المصنوع الذي وصلت أصداءه إلى العالم الثالث وأيقظته، لم إن الذين لم يوقظهم الصدى

الواحد والعشرين، وهي رحلة وصلت من سطح الأرض إلى سطح النجوم.

■ وتلك الحرب العالمية الثانية كانت البيئة التي ظهرت فيها القوى الخفية في هذا العصر لإنها القدرة عليه، كان ذلك العصر هو الذي صنع تلك القوى، وقد حاولت بما اكتسبته أن تصنع العصر كما صنعها.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة التي انحصرت في تلك الحرب، وكان شريكها الأكبر في تحقيق النصر هو الاتحاد السوفيتي، لكن وسيلة النصر لدى كل منهما حددت وحسنت أيهما يملك التزمأن الجديد أو على الأقل يسيطر عليه.

فالانحداد السوفيتي حقق نصيبه في النصر بحذاء من الدم غزير (كان ضحايا الحرب العالمية الثانية في كل مجازيتها ٦٨ مليون إنسان - لكنه كان بينهم ٢٥ مليوناً من السوفيت). أي أكثر من ثلث شلال الدم.

وأما الولايات المتحدة فقد حطقت نصيبها من النصر ببعاء مختلف: وفرة في الموارد، مهولة، ومعها ثروة طائلة تستطيع أن تمتد وهي أيضا تستطيع أن تستحوذ وتلك طبيعة الأشياء، وهكذا فإن وفرة الموارد ومعها الثروة الهائلة لم تأخذ لقط كل منجزات العلم، لكنها أخذت أيضا كل غنائم النصر.

بدأت لي سلسلة «صحابي» من الكتب مقبولة، وإن لاحت لنا مازلت مفتوحة بالحرب العالمية الثانية: فاربعة ضمن عشرة كتب، جئت بها معي - كانت عن تلك الحرب أو متصلة بوقائعها، ولم أجد في ذلك ما أستفريه، بل وجدته بالنسبة لي طبيعيا ومنطقيا، لأسباب يطول شرحها وإن حاولت الإجمال والاختصار:

■ إن تلك الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) كانت آخر مواقع الصراع الكبرى على مسرح التاريخ الإنساني. كانت بالفعل آخر حرب إنسانية: بشر أمام بشر، وجيوش أمام جيوش، وسلاح يستعمله رجال أمام سلاح يستعمله رجال، ومواقع القتال ظاهرة، فيها نار ودم ولحم وعظم، وأهم من ذلك أنه عواطف ومشاعر وغرائز وهواجس حية ويطفي ومؤثرة.

في حروب السلاح فيما بعد شحبت صورة البشر، بل ولم تعد للقتال مبادئ ولا سماعات ولا مواقع، فإمكانية الحرب النووية حياطة تتحول في لحظة بصر إلى رما، وإمكانية الحرب الإلكترونية صور أمام المشاهد تلهيه، وإمكانية الحرب الكيميائية أو البيولوجية موت مهين لا شجاعة أو بطولة، ولا شهيد أو نصيب:

■ وتلك الحرب العالمية الثانية كانت مختبرا هائلا لكل العلوم الحديثة، من الفضاء والأثرة إلى الطبيعة والكيمياء إلى المعلومات والذكاء الصناعي إلى التخطيط والتنظيم والإدارة والمتابعة. والحروب يستفاد من أكبر دافع لأخترافات العلم في كل المجالات، فهي لغمار مخاطرها تتحضر العقول، وتنفذ الخزائن، وتتألق روح المغامرة خارجة عن المألوف والمعروف بأحثة عن مكان التقدم حيث تكون.

وكانت لأخترافات العلم التي جرت في الحرب العالمية الثانية وتحت إلهام ضرورتها هي التي فتحت الأبواب لثورة إحصائية غير مسبوقة في التاريخ الإنساني، انحلت السلع والخصومات من كل الأنواع وكل المستويات كن يعتقد، ثم إنها أحدثت ثقافة تشبه الخيال في مجال ثقافي الناس والثقافات والفنون، وكان مثال تلك التلاقي من قبل ضروريا من أوامر الخيال. والحقيقة جري خلال ثمرات تلك الحرب العالمية الثانية جرى صهر وسبك العالم كما نعرفه الآن معاشيا من القرن العشرين إلى القرن



تقنيات البحر الأبيض حصة الأغلبية في سراكة الحضارة العالمية



إلى ساعة تحررت باريس في سبتمبر سنة ١٩٤٤ بإعاضة من قوات الحلفاء، نزلت على شواطئ «نورماندي» تحت قيادة «إيزنهاور». وشملت طريقها إلى المدينة التي اعتبرها «العالم» قبل الحرب العالمية الثانية «عاصمة لنورماندي» وقصودت بالقطار إلى معبد فوق الرمل وأرب حافة الماء وعلى مسبح من صوت حكايا الموج للشاطئ. وفتحت كتاب «فرنسا: سنوات اللطام» وأجرت عدة صفحات من الكتاب فيها المقدمة والفهرس والخلاصة، ثم توقفت. راودني على نحو ما شعور بأن ما أقرره ليس غريباً عني، ربما قرات شيئاً مشابهاً له من قبل لكن شعوري كان أنني عشت ما فيه على نحو ما وعرفته بتجربة الحياة وليس بمعرفه المطالعة مما سبق! ساءلت نفسي: كيف؟ وأجد سبباً قاطعاً، لكنني كنت على شبه يقين بأن ما أقرره الآن، عشته، رأيته، وسمعته وتفاعلت وانفجعت مع مشاهدته وجاراته وأجوانه وأحاسيسه. طرا على يالي - وتغلغل بيته إلى مدى

البصر حيث لقاها البحر والأفق - أنه تأثير البحر الأبيض وتلك التواصل بين شمال هذا البحر (جنوب أوروبا وفيه فرنسا) وبين جنوبه وشرقه (المشرق العربي وفيه مصر). «كوف دي مورفيل» - وكان وزير الخارجية المستديم للجنرال «ديجول» ورئيس وزرته أواخر عهده - وفي ذلك الوصف كان «دي مورفيل» يرسم صورة حية لنموار الشاريخ والحضارة والسياسة حول البحر الأبيض. ويشكل عام كان «دي مورفيل» يقول: «إن الناس يتصورون إيماناً أن البحر الأبيض عازل لكنني أتصوره وأصله. بمعنى أنه ليس فضاء خالياً وإنما هو أنشبه ما يكون مسطحاً مائدة أخاضت بها فضاء تجلس عليها بلدان متنوعة تغلغل حصة الأغلبية في شراكة الحضارة العالمية». وبمعنى «كوف دي مورفيل» إلى أبعد ويقول: «البحر الأبيض مائة مستقلة حولها من الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب موافق ظهرت واستقرت عليها ثقافات المصريين

والأنشوريين واليونان والرومان واللاتين والعرب من دمشق حتى قرطبة». ويستطرد «كوف دي مورفيل»: «من موانعاً حول البحر الأبيض تحاورنا، ومن هذه الموانع تأتي كل منا بالآخر، مع ملاحظة أن البحر الأبيض مستطيل شبه مغلوق، يبدأ المسافر من أي بقعة فيه ويعيش على شاطئه فيجد نفسه حيث بدأ دورة كاملة». ومع أن بين الشعوب فوارق في مراحل التطور - ومع أن الفوارق تتفاوت بين شمال وجنوب وشرق وغرب - إلا أن هناك سمات مشتركة لأن البحر الأبيض بالفعل دائرة واحدة متصلة، أسماء صافية وشمس طالعة ومناخ معتدل، وكل ذلك يغري بالحياة وبالفكر ويأثروك ويأثري، ويألفن وحسن بالكل، وكل ذلك يحل على شواطئ البحر الأبيض متداخلة ومتعاقبة، مما يجعل لكل موقع فيه نسمة وعطرا ولونا تغطله الحواس.

هزام من شجرتي التين: واحدة مثمرة هي شجرة الزيتون الوفيرة، والثانية مزهرة هي شجرة «البوجينيديا» القلوب (التي يسميها المصريون «الجهنمية» بسبب لونها الشائع أحمر متوهج) وهو ظلم لأن أوراق هذه الشجرة في الواقع عيد من الألوان. وكان فيلسوف الألمان الأكبر «هيجل» هو أول من قرأت له تعبير «إن التاريخ ظل الإنسان على الجغرافيا»، وربما أنه على نفس المنوال يمكن القول: «إن خصوصية أي شعب بسمه الطبيعية على طبعه». وهنا فإنه إذا كان البحر الأبيض «طبيعة» فهو في الوقت نفسه «طبع»، وكذلك فإنه يمكن الحدوث ذات يوم في فرنسا أن يتشابه على نحو ما مع أيام في العالم العربي مع الاعتراف بمساحات للاختلاف في من قوانين الحياة.

ولفت مع صفحات الأولى لكتاب «سنوات الفلا» - ثم ذهبت معه متعاقباً فوق موج البحر، وعبر مساحة الزمن: ■

سنوات الظلام: بدايتها ونهايتها؟

يبدأ كتاب «فرنسا: سنوات الفلام» بمشهد يحترم «المعنى» دون أن يتوقف كثيراً أمام «الشكل»! والفصل اجتماع لجمعية الوزارة الفرنسية المؤقتة التي دخلت باريس بعد تحريرها من قبضة الاحتلال الألماني، والاجتماع برئاسة فلند «فرنسا الحرة» الجنرال «شارل ديغول» كان جو باريس حاراً في شهر أغسطس سنة ١٩٤٤. وكذلك فلما نزل المعارك ما تزال المؤامرات المظلمة على هيئة الوزارة المؤقتة، وبأحكام الواقع، محفوفة بتعقيدات شاذة ومعياً بمشكلات صعبة، لأن جدول أعمال الاجتماع حوى بيناً واحداً تقدم به الجنرال «ديجول» ملخصه: «ضرورة صدور إعلان رسمي بأن كافة التشريعات والقوانين التي اقترنت أو وضعت طوال السنوات الأربع التي تولت المسؤولية فيها تلك الحكومة التي رأسها الماريشال «بيتان» بعد استسلام فرنسا ودخول الجيش الألماني إلى باريس - كلها ملغاة ومعدومة الأثر الآن» null and void. وكان ذلك إجراءً كاسحاً، ذلك أن الماريشال «بيتان» كان قد وقع اتفاقية صلح مع ألمانيا سمحت باختلال وضع فرنسا - وفيها باريس - وسمحت في الوقت نفسه بتقليص نصف فرنسا الأخر بغير احتلال تنحلي أمور حكومة فرنسية برئاسة «بيتان» تباشر سلطاتها من

مدينة «فيشي» (جنوب غربي فرنسا). وهذه الحكومة قامت خلال سنوات إنزالها الأربع بإعادة بناء «مستوري» وقانوني وإداري واسع قبل في تيريرها - إنه «الاستقالة» من درس الهزيمة التي منيت بها فرنسا من جانب الألمان. وكانت عملية إعادة الحياة الدستورية والقانونية والأمر استعجالاً للدرس - كما قيل في تيريرها - ثم طالت كل مرافق الحياة في فرنسا، لكن «ديجول» جاء الآن في لحظة التحرير ليستطاع هذا البناء كله. كان مغلق «ديجول» أن حكومة «فيشي» ورئيسها الماريشال «بيتان» (وهو أبرز أبطال فرنسا في الحرب العالمية الأولى) لم تكن حكومة شرعية لأنها رشيحة أن تتعامل مع الاحتلال وتفاوض تحت ظل مدمره. وافقت هيئة الوزارة المؤقتة بالفرنسية على مطلب «ديجول»، مع أن كل أعضاءها كانوا يعرفون ويقررون حجم التعديلات والمخاطر التي سوف تلوأ فور صدور هذا الإعلان. ويرجع ذلك لأن كل الأعضاء الوزارة كانوا في الوقت نفسه يدركون أهمية تلك اللحظة القارعة في «المعنى» على مسار التاريخ الفرنسي.

وفي أثناء المناقشة اقترح أحد الوزراء - أن يعلن قائد فرنسا الحرة عودة الجمهورية الفرنسية. «ديجول» - إن الجمهورية الفرنسية لم تقب من الوجود قط، وحتى أن كان بعض الأفراد قد انتحلوا سلطتها واستعملوها في توقيع ورقة بإملاء السلاح». ونسأل وزير كثر: «عما إذا كان مناسباً إسقاط فترة الاستسلام (السنوات الأربع ما بين يونيو ١٩٤٠ إلى أغسطس ١٩٤٤) من تاريخ فرنسا باعتبارها رفضاً خارجاً للشرعية». ورائه «أن الشرعية الفرنسية تلك السنوات تملك في المقاومة (حركة فرنسا الحرة) بصرف النظر عن وجود حكومة علي بقعة من أرض فرنسا في «فيشي» وتقديره أن «الشرعية» أساسها «الزاد الوطني»، وفي غياب الزاد الوطني ليست هناك شرعية خصوصاً وأن تلك الحكومة في «فيشي» وقعت «ورقة الاستسلام دون معرفة رأي فرنسا ودون سبب من إرادة شعبها». وكان قرار «ديجول» أن تلك السنوات التي لا يمكن إسقاطها من التاريخ الفرنسي يمكن اعتبارها سنوات «فلام» نزل على فرنسا: وزير سأل طرأ طرح نفسه هذا: «ما هو حساب سنوات الفلام؟ ومن أين تبدأ؟ وأين تنتهي؟» وكانت إجابة «ديجول» «من ساعة وضع «بيتان» توقيعهم» «ورقة الاستسلام» وحتى ساعة إعلان دخول حكومة فرنسا الحرة إلى باريس». وتولى «هنري فريتيان» - وهو أحد زعماء المقاومة البارزين، مهمة تفصيل ما أجعله

«ديجول» «فأعلن بالنص: «إن حكومة «بيتان» كانت طرفاً ساد في الجبن. لقد ضمنا عسكرياً أمام الألمان، إن ذلك صحيح لسوء الحظ، لكنه ليس سبباً كافياً يدعو إلى أن نقبل تحذيفة ذاتية ما هو حادثة عارضة. لقد كان قبول التعامل مع ألمانيا هو الهزيمة ذاتها. السلاح ينهزم، وهذا الحادثة». لكنه إذا انتهزت الإرادة فهناك «النهاية»». وهكذا اعتبر انكسار الجيوش حادثة هي من طابع صراعات التاريخ، وأما الطغيان والتوقيع على ورقة تنازل بإملاء السلاح، فهناك هي الفكرة!

كان انكسار الجيوش الفرنسي مدهلاً. فالهجوم الألماني على فرنسا بدأ يوم ٩ مايو سنة ١٩٤٠، وكان تقدمه من الجهة غير المتوقعة على الأقل الجهة التي لم يفسد حسابها بالقدر الكافي. والحاصل أن فرنسا كانت تنتظر الهجوم القادم من الشرق على أي بقعة من خط حدودها مع ألمانيا. وقد تصور أنها استعدت لهذا الاحتمال، وكانت والقة إن هذا الشئاع الأسطوري الذي يفته أمام ألمانيا والذي يشير باسم خط «ماجنيتو» - على اسم وزير الدفاع الفرنسي الذي أعد له وأشرف على

العدد الرابع والثلاثون، نوفمبر ٢٠١١م

بريطانيا أيضا. لأن قلوب الجيوش البريطانية التي انصهرت من فرنسا تحت النار في «مركب» أفلتت مسجلة الأعصاب تاركة أصلحتها الخفيفة غنيمة لجنود الجنرال «جوردان» التي طاردها وطردتها من «نورماندي» والتجسس - وذلك هو القدر المحكوم - أن الجزر البريطانية نفسها سوف تصبح مكتوفة أمام غزو الماني عبر بحر الشمال، لأن بريطانيا بمساعدة لا تستطيع في أيام ولا أسابيع ولا شهور أن تعد دفاعات عن شواطئها تقدر على الصمود.

كان الشعب الفرنسي في حالة ذهول مما حل به. فقد انقضت عليه عاصفة الحرب وهو يعيش أزمة سياسية ضاعفت فيها ثقته بمؤسساته السياسية والفكرية والثقافية، والشك في النفس أخطر ما يصيب الشعوب لأنه يترجم مناعتها ويضرب إرادتها بنوع من العمرة تصل بها إلى الضياع.

وفي تلك اللحظة الثقيلة بالهم تقدر دعوة المارشال «بيتان» (الذي كان يعمل سفيراً لدى إسبانيا) في يدعو بسرعة لحل لديه دواء لعل فرنسا - وهو البطل الذي حقق لها النصر في الحرب العالمية السابقة (١٩١٤ - ١٩١٨) -

لن المارشال - الذي استدعى على عجل - كان قد ترك آخر جدوة في أسطورة تنطلي بدعوى أن ساسة فرنسا تخلوا عن القيم والأخلاق والمثل العليا التي قام عليها تماسك فرنسا.

وهذا فإن «بيتان» «سبل الحرب» كان هو الرجل الذي طلب من الألمان «سروط السلم»!

ويوم ٢١ يونيو، قدم الألمان شروطهم ليعتد خاص بحث في المارشال «بيتان» الذي شمل رئاسة الوزارة من «بول رينو» فيها باياد، والفرنسيين أن يوافقوا المارشال «بون ووتنشتد» - قدم تلك الشروط ليعتد «بيتان» وهو الجنرال «موتزيجر» في حرية قطار سحبت إلى محطة «كومين» - وكانت نفس العربة إلى نفس المحطة التي وقعت فيها المانيا شروط الاستسلام في الحرب العالمية الأولى قبل ٢٢ سنة!

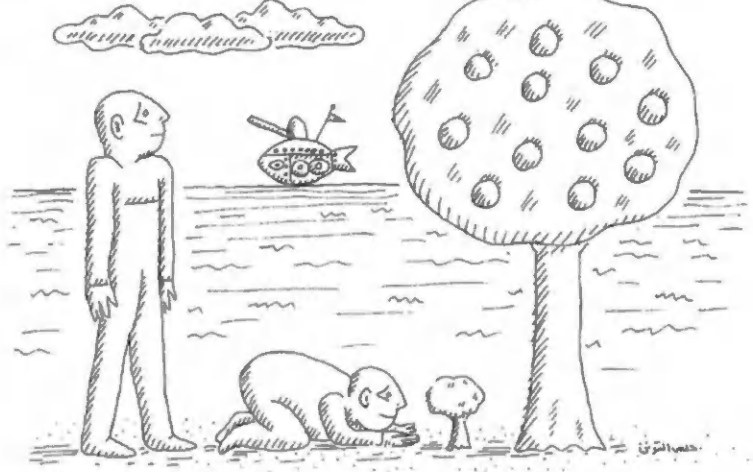
وكانت شروط الألمان كما يلي:

١ - يتم تقسيم فرنسا بالعرض إلى منطقتين: في الشمال منطقة احتلال الماني، فيها باريس، ومنطقة في الجنوب تقوم فيها دولة فرنسية «مستقلة» تختار لنفسها عاصمة «حيثما ترى سلطانها».

٢ - الدولة الفرنسية تباشر تصريح جيشها وتحفظ بقوة أمن لا يزيد تعداد أفرادها على مائة ألف رجل.

٣ - الأسرى الفرنسيين لدى الجيوش الألمان (مليون ونصف المليون) يبقون في الأسر حتى تنتهي الحرب العالمية وتوقع مساعدة لتصلح بين جميع الأطراف (ويعد شهر قليلة كان نصف هؤلاء الأسرى ٨٠٠) الألمان.

٤ - تتكفل الحكومة الفرنسية بدفع تكاليف الاحتلال (شمال فرنسا وفيها باريس). وحين قام الجنرال «موتزيجر» بنقل هذه الشروط الألمانية إلى المارشال «بيتان» طلب المارشال في مقابل قبولها بها ثلاثة شروط:



«موريس جاسلان» (الشاهد العام للجيش الفرنسي) بإبلاغ الحكومة في باريس رسمياً بأن عليها «أن تجد وسيلة لوقف القتال والتوصل إلى هدنة مع الألمان» لكن الحكومة قامت بعزل المارشال «جاسلان» وعينت بدله المارشال «ماكسيم ووجان» - وحاول القائد العام الجديد أن ينفذ الموقف لكنه يوم ١٢ يونيو، حل عليه الدور لكي يطلب من الحكومة أن تجد وسيلة لوقف القتال والتوصل إلى هدنة مع الألمان.

وأكثر من ذلك، فإن المارشال «وجان» وجه إلى رئيس الوزراء تحذيراً قاتل فيه، «إن التوصل إلى اتفاق بأي شكل مع الألمان لابد أن يتم بسرعة وقبل أن تنقرط الجيوش الفرنسية وتكون في فوضى الهزيمة». ثم لا تجد الحكومة في باريس أي قوات تحمي بها الداخل الفرنسي من «حركة شيوعية» تحاول استغلال الفكرة وتستولي على السلطة!

كانت باريس تعيش القسي الساعات في تاريخها الحالي، لكن العاصمة كانت متقسمة بين الذين يرون استمرار مقاومة فرنسا حتى من خارج التراب الفرنسي كله إذا أدى الأمر - وبالتحديد من المستعمرات في شمالي أفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) - وبين الذين يرون أن «الواقعية» لابد لها أن تنسود وأنه ليس أمام فرنسا غير أن تسلم الألمان عن شروطهم لوقف القتال، فالعرب انتدحت عليها بتاتصا على الألمان ليس على فرنسا فقط، وإنما على

العدول عن قراره بإحالة قائده العام إلى الاستبعاد، وهكذا فإن المارشال «جاسلان» الذي وقع طرده في المساء أعيد تسميته على منصبه عند الصباح، والواقع أن الجبهة الفرنسية كانت قد انهارت تماماً في حضور المارشال «جاسلان»، ثم في عيخته بالطرز في المساء، وكذلك بعد عودته بالتجنسيت في الصباح!

وكان حلفاء فرنسا البريطانيون الذين جاءوا إليها بـجيشهم في «نورماندي» (شمالي فرنسا) قد راوا الانهيار مبكراً وقرروا الانسحاب من المعركة وترك فرنسا تواجه العاصفة وتقرر لنفسها مآلها وعندما عبرت القوات الألمانية نهر «الوار» والطريق إلى باريس مفتوح كان مجموع خسائر فرنسا من البشر:

- مليون وربع مليون قتيل.
- مليون ونصف مليون أسير.
- ثمانية ملايين مواطن فرنسي تحولوا إلى لاجئين (إلى درجة أن مدينة «ل» -شارتر» لم يبعد فيها غير ٨٠٠ مواطن في حين أن تعدادها الأصلي ثلاثة وعشرين ألفاً، ثم إن قرية «ل» -بوسيلانج» هرب سكانها ولم يبق منهم غير عائلة واحدة ما لبث أفرادها جميعاً - وعدمهم خمسة - أن قروا الانتحار جماعياً قبل أن تدعمهم القوات الألمانية.

ومساء يوم ٢٥ من مايو - قام المارشال

بثأله - سحا لا يقهر من التحصينات المتبعة وأبراج المدافع ومراياض الدبابات ومراكز القيادة ومقرنات من الأسلحة والذخائر والمؤن يمكن أن تعين المدافع عن الخط وعن ثراب الوطن الفرنسي لشهور بل لسنوات. لكن الهجوم الألماني عندما جاء ثلثي من الشمال، لأن خطة «مكلر» لغزو فرنسا كبرت مرة أخرى خطة قديمة وضعتها المارشال «فون شليخن» من أيام حرب السبعين (١٨٧٠) - ومقتضى الخطة ترك الحدود الفرنسية وخطوطها وتحصيناتها والدورن حولها عن طريق بلجيكا وهولندا ويعبر نهر «الموس» والفتاح في مناطق «الآرين»، ثم عبر نهر «الوار» والاندفاع نحو «باريس»، وتحصين الفصل الكامل بين الجيوش الفرنسية على خطوط الصدود في الجنوب وبين الجبهة الأكثر حساسية وأشد خطراً في الشمال والغرب. وفي ظرف أيام قليلة كانت مسدعات الجنرالات «جوردان» و«روميل» و«فون بيك» تسابق بعضها بعضاً في شمال فرنسا، وغربها، متدفقة إلى قلبها.

ومن المصادفات صباح يوم بدء الهجوم الألماني على فرنسا (فجر ٩ من مايو) - أن القيادة العليا الفرنسية كانت مسجلة، لأن رئيس الوزراء الفرنسي «بول رينو» لم يعجب أداء القائد العام للجيش الفرنسي للمارشال «موريس جاسلان» فيما سبق من معارك - فقرر إحالته إلى الاستبعاد مساء يوم ٨ مايو - لكنه فجر اليوم التالي (٩ من مايو) ومع بدء الهجوم الألماني الشامل عبر هولندا وبلجيكا، والانتفاف حول خط «ماجينو» لم يكن أمام «بول رينو» إلا

العربي المعاصر. لكن ذلك على أي حال موضوع آخر مستقل بذاته. [



كان الجنرال «شارل ديغول»، الذي هبط من آخر طائرة غادرت مطار «بورجو» العربي قبل أن تنشق القوات الألمانية طريقها إلى باريس، رجلاً يمسك في يده «بحلم»، ويرى لنفسه مشروعاً سياسياً تصوره حقائق مستقبل لا تلعمها «الواقع»، اللخفة الراهنة. والشاهد أنه بالمثل العام للصورة كان يعن أن يبدو «ديغول» خيالياً أكثر منه حالاً. فالأدوية الفرنسية، والحكومة ضاعت منهما إرادة المقاومة، والشعب الفرنسي في حالة ذهول يتابع مأخوذاً حركة جيوش العدو الألماني الذي إلى قلب الوطن، وجيوش فرنسا تنكسر شظايا، وعاصمة الشرق تنطفئ فيها الأنوار حيا بعد حي وشارع بعد شارع وبينما يحد بيت:

لكن ديغول كان قادراً على تجاوز «الواقع»، والتفكير بأوروبا في المستقبل، وقد اعتدبر نفسه «ولو حشى وجيدا» رمزاً لاستقلال فرنسا المستقلة. ولم يكن «تشرشل» الذي أن لد «ديغول» بأن يوجه دة بمواصلة المقاومة للشعب الفرنسي فوق موجات الزاعة البريطانية، فمقتنعا بأن ديغول هو مستقبل فرنسا، إلا أنه في تلك اللحظة كان «الفرنسي الأربع رتبة» الذي ينادي بمواصلة الحرب ولو من خارج فرنسا.

وفي البداية، كان «تشرشل» يتصور أن ذاه ديغول سوف يدعو كثيرين أكبر منه وإهم على الأقل أشهر، كي يفعلوا مثله ويحيوا إلى لندن وعزمهم مواصلة الحرب، لكن «تشرشل» فقد رجاءه من الانشطار وأدار أن فرنسا سوف تظل معلقة برجل واحد هو «شارل ديغول» حتى تغيير الظروف.

وكذلك طلب «تشرشل» إلى وزارة الخارجية البريطانية وإلى رئاسة أركان حرب الإمبراطورية أن تنظم الاتصالات مع الجنرال «ديغول»، وأن تتعاون معه.

وفي أول تقرير كتبه السفير «الكسندر كادوجان» الوكيل الدائم للخارجية البريطانية كانت صورة «ديغول» كما يرد لعميد الدبلوماسية البريطانية هي: «رجل له رأس في شكل فاكهة الأناناس المشقة، وله جسم على هيئة خضار «البانجان» الطويلة، وإلى جانب ذلك فإن لديه شعوراً متضخماً دون سبب بدوه التاريخي».

وفي أول تقرير كتبه الفيلد مارشال «آلان بروك» رئيس أركان حرب الإمبراطورية كتب لـ «تشرشل» في تلخيص لقلته مع «ديغول»:

«هذا رجل لا يريد أن يحارب، ولا يريد أن يعلم شراكم الجيش الفرنسي التي خرجت مع فواتنا من «دنكرك» ويصنع منها فرصة ملائمة لتبني نفسها في الحرب مع الألمان».

لقد حاورته طويلاً لكن بعد أن وكنه بريداً أن تحارب، وأما هو فهوور أن يحكم ويقود. والمزعج أنه ليس

■ السبب الأول: أن مواقع القرار العربي لا تحرف كثيرين وصلوا إليها من وسط معصمان القاريخ من أن البوابات العربية للاختيار الديمقراطي الحر وإنما تعرف كثيرين وصلوا إليها يحكم التولية (حتى وتليفه الإرث)، و«الوظيفة» لا تعرف لنفسها مشروعا تحلم به وإنما تعرف لنفسها لائحة تطبيقها دون أن تسأل النصوص عن شرعيتها أو مشروعيتها.

■ والسبب الثاني أن ظروف القراء العربي «الجساري» الآن في العالم العربي وضع هواجس «الحرص» سابقة على موضوعات «الحلم».

ولكن حالة «إشراق إليها» ابن خلدون» في مقدمته الشهيرة لأحوال الممالك عندما «بترهل» الأبرار بضمعة الأمر من ثم تتواضع «العزة» (وهي التي يسميها مؤسس علم الاجتماع بـ«العصية»).

■ والسبب الثالث، (وذلك محاولة في الاتصال) أن مواقع القرار العربي ضاعت منها الخرائط الملاحية القديمة بسبب تغير المناخ الحالي على نحو لم يتصحب له أحد، لم إنها لم تستطع «في ظروف مستجدة» أن تتوصل إلى رسم خرائط ملاحية جديدة للبحور العميقة والرياح العاصفة والصخور الغارقة تحت السطح وعندما الترت مواقع القرار العربي أن يكون خط سيرها قريباً من الشواطئ حيث المياه ضحلة تكفن من رؤية السطح، وحيث الضائيق القريبة سائر من صف الرياح، وحيث النجاة ممكنة بالمساحة إلى اليابسة، أو وقع ما لم يكن متوقفاً، أو تدر «بحارة» السفن إذا اقتضوا أن القابضة ليسوا على ما كانوا فيهم علماً وخبرة ومقدرة على خوض العقبات والصعوبات إلى حيث الحكم المطلوب والممكن، والراجح أن هناك أساليباً أخرى لزيادة جرعة «الواقع» في ركيبة القرار السياسي



إسرائيل صورة مكبرة
والاستسباح وليس بالحق
من ألمانيا النازية. تستطيع
أن تكسب المصارف، لكن
لا تستطيع أن تكسب السلام!

والخلاصة التي توصل إليها هي: «إنه والأمير كذلك، فإن بريطانيا لا بد أن تظل واقفة، ولا بد أن تظل ماشية بالحرب مع ألمانيا، ولابد أن تكسب ولقاء حتى تنهي أمريكا وتحرك، أو تقتنيه روسيا وتحرك، أو يقوم «مقتري» بحركة خاطئة يتعثر بها، خصوصاً وقد احتل غربي القارة الأوروبية كله وعليه أن يتقدم وراء ذلك ولا يجد نفسه مفلوفاً عن عطفه النهائي ووجد جيشه عاصلاً في نصف حرب لم تكتمل لأن أمريكا تراقب من وراء المحيط، كما أن الاتحاد السوفيتي يربص على شرقي القارة نفسها لا يجره محباً: وكان «تشرشل» سياسياً صاحب مشروع – صاحب حلم – حينما نادى على بريطانيا بأنه «ليس عندي غير العرق والدم والدموع، وإنما علينا أن نشال على الشواطئ، ونقاتل في المحل، ونقاتل في المدن، ونقاتل من بيت إلى بيت».

[ويكاد موافق إسرائيل في الشرق الأوسط أن يكون صورة مكبرة (بالاستسباح) وليس بالحق] لـ «إسرائيل» هي الأخرى تستطيع بطوق السلاح أن تكسب المعارك والحروب، وتستطيع أن تكسب الأقاليم وتضع بعضها من أرضها، لكنها لا تستطيع ولا تملك إمكانية النصر النهائي لأنه أبعد من حدود التفوق في السلاح، والواقع أمل إسرائيل الحقيقي في انتصار نهائي معلق بتواضع الإزادة العربية إلى حد يبدل المأثور والمصور به والمخاض «بالم» «الواقع» وهي ظاهرة متفشية في هذائين وروقة السياسة العربية المعاصرة. والحقيقة أن ظاهرة «الواقع» الراهنة تحتاج إلى تفسير، ويمكن على الفور عرض ثلاثة أسباب رئيسية لها:

(إستراتيجية) (رأه ممكناً، واستطاع – وهذا هو جوهر العمل السياسي – أن يفتح به وزارة الحرب وشركه فيها – كمنعت التي – زعيم حزب العمال، كما استطاع أن يفتح بها رئاسة أركان حرب الإمبراطورية وعليها في ذلك الوقت الفيلد مارشال «آلان بروك».

وأهم من ذلك فقد استطاع «تشرشل» أن يفتح الشعب البريطاني في الجزيرة الأم وروء البحار. وكان – حلم – مشروع – تشرشل مؤسسا على حساب اللوة والإزادة وليس مجرد اندفاع وراء الوطنية والكرامة ودمعها، وكان الحساب – وهذا المشروع السياسي – حساب المستقبل الآتي وليس حساب اللحظة الراهنة. كان كل تفصيل في صورة «الواقع» يدعو «تشرشل» إلى الحقائق بينات في طبع شروط هتير بمثل «الواقع»، ولكن الحلم – وحسب المستقبل – كان هو الذي تجاوز الواقع على ما وراءه، وترك الخشاك المألوف به ونوجه إلى الممكن لا وضعت الإزادة في خدمته. [

وكان حساب «تشرشل» أنه بالحق إلى خريطة العالم فإن «مقتري» غير قادر على النصر النهائي في الحرب والتجديد بسبب الولايات المتحدة، وبسبب الاتحاد السوفيتي: كان نقدي «تشرشل» أن سقوط فرنسا هو المشهد الأخير في العالوس الألماني الذي نزل أوروبا لأن ذلك المشهد سوف يستشير الولايات المتحدة.

والداعي أن سقوط فرنسا يعني أن بريطانيا إذا ظلت ومدة في مهدة بالسقوط، وإذا لحقت لندن باريس في طبع شروط «مقتري» فإن ذلك معناه أن ألمانيا في الوريعة القادمة للإمبراطوريتين والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط وهو قلب العالم، والمالك الجديد للمستعمرات الفرنسية والبريطانية في آسيا وأفريقيا، وذلك شيء لا تستطيع الولايات المتحدة قوله، وإذا فليته فلن تكون أمه وراء الأطلنطي وإنما هي معزولة وراء هذا المحيط. وعلى وجه اليقين فإن تعامل «مقتري» معها لن يفرج عن أحد احتشائين لا ثالث لهما:

إما أن يعبر المحيط ليطولها، وإما أن يحول المحيط إلى سجن يحبسها وراء أسواره.

وكان تغيير «تشرشل» – أيضاً – أن سقوط فرنسا سوف يجر الاتحاد السوفيتي، ويقطعه بسطحية التحليل الذي اغراه به تجنب الحرب وترك الراسماليات الكبرى تلحن بعضها، لأن سقوط فرنسا (واحتساح غزو الجزر البريطانية) معناه إفراز «مقتري» (القمي المين في أوروبا) بالسيطرة على القارة كلها، وتحتجته أن الهدف القادم لقمي المين الأوروبي (ألمانيا النازية) هو الهجوم على روسيا (صوغن البلطية) والحصول على ذرواتها الطبيعية البهتة وتصلية معقل الثورة العالمة.

ومن النش إلى خريطة المستقبل، كان «تشرشل» على يقين بأن «مقتري» لا يستطيع أن يتغلب في الحرب.

لديه شيء يحكمه، لا دولة، ولا مدينة، ولا قرية، وليس لديه شيء يوقده ولا قولة ولا عتقية ولا سرية من الرجال».

لكن «شارل دييجول» كان «بالعلم، يعرف أكثر من موظف وصل بكفاءته الوطنية إلى وكالة الخارجية البريطانية ولم ير في اللاجئ الفرنسي غير راس «الأناس» وجميع «البلانجان». وكان يعرف أكثر من موظف آخر وصل بعلمه العسكري إلى رئاسة أركان حرب الإمبراطورية، استغرب منه «أدماء الحكم ودعوى القيادة».

كان «دييجول» يعرف بالرؤية الاستراتيجية كيف يفكر «تشرشل» وكيف يخطط للتصحر، وظل منتبها إلى أن العنصر الأهم في خطة «تشرشل» هو كسب الوقت حتى يفتيق روسيا من وهم الرأسمالية التي تحارب بعضها بعضا، ثم تتحرك أمريكا قبل أن يتحول المحيط إلى عازل ويحتول العازل إلى سجن..

ومن ثم يتقدم «هتلر» بكل الأثر الإمبراطوري الذي تلمحظ الطريق إليه بعد سقوط فرنسا، وعزلة بريطانيا في الجزيرة التي تحولت إلى قلعة موحشة تنتظر الغزو أي يوم.

وعلى أساس المعركة بهذه الرؤية الاستراتيجية «تشرشل»، قدم «دييجول» ورسم.

هو الآخر مسوف يلبس على الوقت ولن يجره سوء فطن الدول الماسية البريطانية في قدراته ولا لإحاح العسكرية البريطانية عليه

ليجسم شرائط قوة عسكرية تستأنف حرب ألمانيا إلى جانب بريطانيا.

كان «دييجول» ولذا بما معركة القتال محسومة دون أن يشارك فيها، ولم يكن متعجلا لتخليص حركة مقاومة في الداخل تجعل مهمة الاحتلال الألماني صعبة (لأنه كان يقدر أن لحظة الذل السابعة في فرنسا ليست هي بالضبط لحظة الدعوة إلى المقاومة خصوصا وهناك في «فيشي» رجل مثل «بيتان» يباريه المجيد يدعو إلى «الوالية» يعطي لها في خطابيه مسحة من الحكمة تغطي بالزئير على الجوهري.

كذلك كان «دييجول» بالتوازي مع ذلك يدرك أنه لا يستطيع الآن لمعلم من الشبكات المبعثر

الجوش الفرنسية إلا قوة صغيرة تتنازل قيسا عليها، ولا تكسر «قيمة الشروع السياسي «الحلم» الذي يحمله».



ومع ذلك «دييجول» اعتمدا على الزمن حساسة وقلمه «بان معركة تحرير أوروبا فادمة بعد سنة.. سنتين.. ثلاث لكنها حتمية».

ومع ذلك «دييجول» «بان الانتصار النهائي في الحرب لن يكون من نصيب «الخيال» منها عند «هتلر»..

ومع ذلك «دييجول» «بان هناك جيوشا لحركة تحرير أوروبا سوف تتدفق من الشرق

(من الاتحاد السوفيتي) وسوف تتدافع فوق أمواج المحيط من الغرب (من الولايات المتحدة) «فإن فرنسا الحرة» ينبغي أن يكون لديها جدول أولويات يتسق مع «حلمه».. مشروعه السياسي.

وهنا يمكن فهم الاستراتيجية التي اعتمدها «دييجول» في تلك الأيام المبكرة من يوليو وأغسطس سنة ١٩٤٠.

في تلك الأوقات التي بدت فيها الصورة أشد كآبة من أي وقت مضى، وأشد ظلاما على فرنسا من أي وقت في تاريخها كان «دييجول» يرمس

لسياسته خطين: الخط الأول: أن الثراب الفرنسي سوف يتحرر بحقائق الأشياء.

الخط الثاني: أن الإمبراطورية الفرنسية - وليس الثراب الفرنسي - هي المخطوفة الآن وغدا.

وهنا كانت صيحة: فرنسا ليست في خطر. الإمبراطورية في خطر.

إذا كان وجود فرنسا هو الوطن - فإن عظمة فرنسا هي الإمبراطورية!



والدهش أن رؤية «دييجول» كانت واضحة فيما يتعلق بالخطر القادم على عظمة فرنسا -

إمبراطوريتها القديمة - وقد رأى الخطر من مصريين:

«لألمانيا كابوس واقع - وأمريكا كابوس يتشكل».

أي أن «لألمانيا» وريث يطالب الآن - بينما «أمريكا» وريث يهين المستندات الداعمة للمطالبة!

وكذلك فإن الحلم - المشروع السياسي لدييجول - نظر إلى المستقبل في عينيهِ وتعتن من تحديد مصادر الخطر على هذا المستقبل.

ولم تكن تلك قراءة في الغيب وإنما نظر إلى الخريطة وإطلاع على التاريخ. فالألمانيا في أوروبا جبار ومناش وخمسم وعدو في فترات مشكلة من الجوار، دم إن الولايات المتحدة هي الدولة

التي أنشأت نفسها بطرق «الإمبراطورية» من أمريكا بآدمية بطرق بريطانيا مستعينة في لحظة من اللحظات بفرنسا، ولما انتهت حرب

الاستقلال عن بريطانيا ودخلت العلاقة بين المستعمرات القديمة والإمبراطورية المزمومة إلى صيرفة جديدة بحكم وحدة اللغة

الإنجليزية - جاء الدور على الإمبراطورية الأخرى، فإذا الولايات المتحدة تطارد فرنسا إلى

القاصي الفارص شمالا وجنوبا فخرتها من الجنوب حتى خليج المكسيك (نيو أورليانز) وتحصرها في الشمال داخل جيب في «كندا»

تراجعت إليه كل الماوريت الأفريقية التي تركتها فرنسا في العالم الجديد! ■

« » الثابت والمتغير في أحوال الأمم

■ عندما طرح الجنرال «شارل دييجول» «إستراتيجية» فرنسا الحرة على أساس أن الثراب الوطني الفرنسي سوف يتحرر بفرصة الأشياء، وأن الإمبراطورية الفرنسية (عظمة فرنسا) - هي التي سوف تصبح عرضة للخطر بسبب الطامع المتنافسة سابقا ولاخفا لم يكن

يبتدح شيئا لم يعرف قبله، ولا كان يتخبر جسدا ليس له أصل قديم - والمختلفة إن إستراتيجيات الدول التي تحترم نفسها -

وعالمها - لا تعرف سياسيا يستغل من تومه بوحى نزل عليه يطلب إليه أن يلقاها القل بما لم يخطر لهم على بال، والسبب أن

إستراتيجيات الدول مطالب جغرافيا وتاريخ ونشاط وترتيب عليها نوعي مصلحة

ومسرحية أو سينمائية. والدول مطالبة بالتعبير عن نفسها مع

تطورات الظروف في كل عصر بما يناسب مقتضياته، لكن التجديد يكون في الأسلوب وليس في الهدف لأن أحدا لا يستطيع بلتر

يجريون معجزة خلق زمان جديد ناسن أن هناك فارقا بين حق البشر على توجبه مقاديرهم وبين تجاسر البشر على توهم صنع الكون!



وأقبل هبوب أعصار الحرب العالمية الثانية عاشت فرنسا حالة حيرة شاملة وعنفية.

كانت فرنسا تنكث في الجمهورية الثالثة كلها من مسدورها إلى مؤسساتها إلى رجالها.

وكانت فرنسا تعاني من انقسام داخلي بين اليمين واليسار وكلاما يطرخ نفسه بإلحاح باعتبارها «العين الأولى إلى القوة».

وكانت فرنسا تتابع ما يجري في القارة حولها وتخشي سطوة ألمانيا النازية وهي تزيد

كل يوم وتنزع لنفسها مساحات من الأرض والكون تمكن لها في قلب أوروبا:

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

«المنطقة المزقعة السلا على الحدود بين ألمانيا وفرنسا يعقضي «معاهدة فرساي» - وهي منطقة «السهار» - دخلتها قوات «هتلر» - بلا إنكار.

الحرب منه والا فهي نهاية فرنسا حتى في أوروبا. بمعنى أن قوة فرنسا ليست تراب الوطن الفرنسي - وإنما هي الإمبراطورية التي تخضع للتراب تلك العطفة التي تنشأ للدول من نفوذها وهيبتها خارج حدود وأراضيها. فما هو داخل الدولة تصنعها سلطتها، وأما الخارج فإن التواجد فيه هو المعيار الذي تقاس به القوة ويولم على أساسه المجد؛ وكانت تلك بالفيصل في التطلع التي بدأ منها «ديجول» مهمته في حركة «فرنسا الحرة»، عندما ذهب بها لإجها إلى بريطانيا.

وقد وجه حديثا واحدا إلى الأمة الفرنسية من الإزاعة البريطانية، وأصدر بياناً جديداً دعا فيه «الأمة الفرنسية» إلى رفض الاستسلام، ولم يتأثر بطقس الخارجية البريطانية حتى وإن وصفه كبار موظفيها برأس الاناس وجسم الحيان، ولم يصفط أمام رئاسة الأركان الإمبراطورية البريطانية تحرسه على لم شتات جيش بحار، وإنما كان همه هو «الإمبراطورية».

وفي الواقع فإن أول عمل حقيقي مارسه «ديجول»، وبعد شهر على خروجه من فرنسا (أغسطس ١٩٤٠) كان توجيه نداء إلى كل حكام المستعمرات الفرنسية يدعوهم باسم «الفرنسا الحرة» إلى قبول حركة «فرنسا الحرة» جنسداً شريعياً فرنسا بدلاً من الحكومة التي استسلمت للالان ووقعت معجم اتفاق سلام ثم «تكونت» على نفسها في قبضتي.

وكان «ديجول» في ذلك محركاً لحقيقة أن عددا من حكام المستعمرات الفرنسية ضباط من الجيش هم يعرفهم أو هم يعرفونه. وقد استجاب له بالفعل منهم ثلاثة هم: الحاكم العسكري لـ تشاد، والحاكم العسكري لـ السنغال، والحاكم العسكري لـ الكاميرون.

وهذا وجد «ديجول» حركته موضع قدم فرنسي؛ في نطاق الإمبراطورية، ثم توجه لزيارة هذه المستعمرات الثلاث بعد أن تأكد من حكمها المستعمرين أنهم سوف يرتبون له هناك استقبالا يليق بحكمته فرنسا. وذهب «ديجول» إلى الإمبراطورية الفرنسية في أفريقيا وعاد ليعلن تكوين «لجنة الدفاع الإمبراطورية» ومعهما «حكومة مؤقتة لفرنسا الحرة».



وكان «ونستون تشرشل» رئيس الوزراء البريطاني «ويتاير المبرور» قاطبة الدبلوماسية والعسكرية البريطانية - غير متراح لما يعلفه «ديجول»، وتصوره أن «فرنسا الحرة» تحارب معركته التحرير بعيداً عن الميدان - لكن «ديجول» كان على يقين بما يفعل.

وفي مناقشة جرت تلك الأيام - أكتوبر ١٩٤٠ - ولم تكن تسمى شعور على استسلام فرنسا وقع حوار له معنى بين «تشرشل» وبين «ديجول».

قال «تشرشل» لقاء الحوار موجها كلامه لـ «ديجول»:

«أنت تترك ميدان الحرب الحقيقي في أوروبا في فرنسا - ونذهب إلى أفريقيا».

ورد «ديجول»:

«الذهب إلى أفريقيا رسالة سوف تفهمها فرنسا».



وقال «تشرشل»:

«وهذا نظر

المانيا: تكبر
- بريطانيا: القوي
- روسيا: أضعف

٢ - إنا كان على فرنسا أن تكون قوة بحسب لها حساب، فليعلم أن تبحث عن ذلك خارج أوروبا. وفي اتجاه الجنوب بالذات لأن الكونقون عليها يسدون كل اتجاه حولها؛ فوفقها على الخريطة هناك بريطانيا - في وسط أوروبا يجاورها هناك ألمانيا - على الشرق خطوة واحدة هناك روسيا - وإذن طريق الجنوب وحده مفتوح وهو نفسه البحر الأبيض.

٣ - لكن بريطانيا تظل القوة البحرية المتفردة في البحر الأبيض بامتلاكها للماعدني السويس وجبل طارق على مداخل البحر - ولجزيرتي قبرص ومالطة وهما مواقع السيطرة على المخطوط الملاحية.

٤ - وإذن فإن الجزء الأهم من الإمبراطورية هو الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض حيث تونس والجزائر ومرافق ثم العمق الأفريقي وراء ساحل البحر حتى نهر الكونقون.



وعندما أنزلت فرنسا إلى الحرب العالمية الثانية وشاركت فيها فإنها ألقت بمزيدة. وقد هارت بعض معاركها بنصف القنار ونصف عزم ونصف مجهود - وهذا كانت الهزيمة نتيجة بعد مقدمه، ولحفلتها تدهبت فرنسا والسالت - وكذلك ظهر الرأي الذي يرفض الاستسلام ويطلب يواصل القتال من فرنسا وراء البحر - من الإمبراطورية - بالتحديد من شمال أفريقيا.

كانت الإمبراطورية في خيال فرنسا الرافضة للزيم في الميدان الذي يتعين على حكومة للبرمن أن تتفعل إليه وأن تواصل



لا نضع صديقاً
ولكننا لا نمانع أن يشق
من بينهم الأمر أن لنا أسناننا



الادارة تعبر
والعجز زيع
حلم الآخرين



عيناها بالفعل على «تونس» لتكون دفعة أولى ترضى بها وتكون امتداداً لوجودها في ليبيا، وسكت. ولدهش أن الحكومة الفرنسية تلقت نصيحة بريطانية تزي التنازل عن تونس لإيطاليا لأن ذلك يمكن أن «يشترى موسوليني» ويبعد عن حلقه مع «هتلر»؛ وكانت باريس مستفزة وردها «لماذا لا تمنونه» مصر» وهي على التاحية الأخرى اضعاف لليبيا».

[وقد يذكّر البعض أن بريطانيا اشارت على مصر (سنة ١٩٣٥) بإعطاء جزء من الصحراء الغربية لاصلاق لليبيا - وهي واحدة «جشوب» وما حولها - لكن شهية «موسوليني» للمستعمرات لم تكن تكفيها واحدة وإنما كانت تطلب بلداناً والقبائل]



وهكذا كانت كل المناقشات حول دور فرنسا في الحرب العالمية الثانية: هل تدخل أو لا تدخلها؟ يبدأ ويتنسى «بالمستعمرات» - أو بلغة من المخيف لبعض الناس في العالم العربي أن يقرءوا «أصلاً بالذات من كتاب «جوليان جاكسون» «سنوات الظلام» وهو الفصل الذي يبدأ من صفحة ٨١ وعنوانه «المشكلة الألمانية» وهذا الفصل في الواقع عرض للبدائل المتاحة لاستغلال فرنسا.

ملخص الفصل مجموعة واضحة من «شبه للسلطات»:

١ - فرنسا لا تستطيع أن تكون قوة عظمى في أوروبا وحدها والأسباب لنها في أوروبا تواجه ثلاث دول تتلقو عليها:

«ديف شميلر» في مؤتمر دعى إليه «بولف هتلر» على عجل في ميونيخ - رجع «دالاييه» راجعاً - مثل نظيره البريطاني - شعائر أن «السلام تحقق في إزماد» - لكن «دالاييه» في أفعاله كان يشعر أن الاتفاق أفسح وقت لا تزيد على شهر لأن «هتلر» مصمم على خطته بأن تكون «ألمانيا فوق الجميع» داخل القارة الأوروبية وخارجها. وأن العرب قادمة بلا شك لكن الكارثة أن فرنسا غير مستعدة وغير جاهزة لمحاولة العاصفة.

ورأى «دالاييه» أنه من الضروري إعداد فرنسا للحرب وتشيخة فكرها لأن الحرب بالدرجة الأولى حالة «نفسية وعقلية».

لكن فرنسا ظلت حتى اللحظة الأخيرة مترددة: تدخل أو لا تدخل؟

● «نفسياً» كانت فرنسا لا تريد لأنها ماازلت تذكر خنادق الحرب السابقة والجزائر التي شهدت خنادق السوم والسناسلر الهائلة التي تسبقتها الحرب بالانفصاف الفرنسي من لعب التناسل الخفيف لسنوات من اللق والفتن والفاخرة على المجهول.

● «وعقلية» كانت فرنسا لا تريد لأنها تخشى أن تخرج من الحرب خاسرة حتى ولو أنجز الألمان. وكانت الخشية أشد ما تكون على الإمبراطورية الفرنسية في أفريقيا:

«الشماسطي الجنوبي العربي للقسارة (نوتس» - والجزائر» - «ومراكش» - «وراء هذه الوجهة بالعمق - جنوب الصحراء حتى التكونج».

«وعلى الشاطئ الشرقي العربي (سوريا) وليتان وحصة الثلاث في بترول العراق».

وفي آسيا: شبه جزيرة الهند الصينية وفيها فييتنام» وكمبوديا و«لاوس».

إلى جانب ذلك فقد كان هناك في فرنسا «وطن الثورة الفرنسية» - أعجاب مقتوم بالنازية والفاشية، وقد طرقت وسط القومى واسقاط الوزارات» أدى إلى تروى الحكم. وضام للنخبة أفعدها إلى درجة العفن» رشوة في جيب كل وزير وعشيرة «رسمية» محترف بها له) - وبدا للجميع أن «النازية» في ألمانيا تحت زعامة «هتلر» - والفاشية» في إيطاليا تحت زعامة «موسوليني» تحقق معجزات في الأداء الاقتصادي والإزاري وفي استقرار السلطة وتزامه الحكم. فسوق ذلك في إعادة تنظيم وحده عناصر القوة.

وتحت السطح قد كان محسوساً أن المانع الأساسي الذي يرفع فرنسا على استسار تحالفها الاضطراري مع «بريطانيا» ويبيدها رغم الإعجاب من ألمانيا وإيطاليا هو الخوف على الإمبراطورية. فمن القنار من الدولتين الداخلتين بقوة إلى دائرة السيطرة العالمية هو سلطة جديدة لإعادة تقسيم المستعمرات. ولم يكن في ذلك سر، فقد كانت ألمانيا تطلب بما كان لها في أفريقيا (وفيها تانزانيا والكاميرون) قبل أن تتخلى عن بعض شروط معاهدة فرساي التي اضطرت لوقعتها اعترافاً بالهزيمة في الحرب العالمية الأولى.

ولم يكن «هتلر» هو وحده الذي يطلب إعادة تقسيم المستعمرات وإنما كانت إيطاليا تطلب أيضاً. وكانت إيطاليا تضع

كل رئيس الوزراء الفرنسي «بير مديس فرانس» قد سبق أن طك الإمبراطورية في آسيا بعد هزيمة فيتنام الأولى (معركة ديان بيان فو).

لكن دييجول «ويعد الهزيمة في الجزائر سنة ١٩٦٠» كان هو الرجل الذي نعت عليه ذلك الإمبراطورية في أفريقيا.

والأهم أن دييجول كان لا يزال الرجل الذي يجعل معه العلم - المشروع. وفي الوقت نفسه كان لديه تلك القدرة الضرورية من فهم مفاهيم المصير بحيث فهم أن فرنسا تستطيع أن تستعير عن الإمبراطورية في صورها الجديدة «إمبراطورية» من نوع جديد على المارك الألماني) وكان أن تحولت الإمبراطورية (والأساس فيه الاقتصادي) يعتمد على (الاستراتيجي).

ولم تكن لدى فرنسا قوة اقتصادية (إزاء بريطانيا والإستراتيجي) ولا قوة مالية (إزاء المارك الألماني) وكان أن تحولت الإمبراطورية (والأساس فيه الاقتصادي) يعتمد على (الاستراتيجي).

والتيهية أن «الفرانكفونية» كانت الطبقة الأخيرة للحلم الإمبراطوري الفرنسي وهو حلم له مشرق.



وطوبى صفحات كتاب «فرنسا: سنوات الظلام» وفي خاطري وأمام عيني «أن الزيادة تعذر أن تعيش حلمها (وتجدهم وسلكه). وأما العجز ليس لديه غير أن يعيش حلم الآخرين (ويوب، فيه).

ولم من مفسدتي أمشي على الشاطئ وعليه الخطوات معا برسم الموج على الرمل أو ما يلقي عليه من شظايا حجر وبدايا صدف، متفكرا في شأن هذا البحر الأبيض الذي تحلقت الحشرات حوله، وأرتكز لتاريخ على صفوره، وكنت الإنسانية ولغة أمامه بعضها من لتور الصفحات في لفتها، تلك الأرفع قيمة - ذلك الأثنى نواظفا: ■

العسكرية للحلفاء بالذات فيما يتعلق بالآرض الفرنسية.

«أن يفتحن الأمر اليومى للقائد العام للقوات المسلحة القلعة وهو الجنرال «إرنست» - ساعده يده المصيلة - إنارة واضحة إلى دور فرنسا حليفه بين الحلفاء المشاركين في الحرب.

«وأخيرا أن تكون أول قوات تدخل باريس عند تحريرها مجمعة لواء فرنسي مدوح بولده مساعده الجنرال «ليكلير».

وعندما علم الرئيس الأمريكي «روزفلت» بهذه الطلبات الثلاثة التي تقدم بها «دييجول» بعث برقية إلى رئيس الوزراء البريطاني يقول فيها «هذا الرجل أصابه من من الجنون على وجه اليقين وتعليقي على طلباته هو إبلاغه فوراً بمروره من الحركة التي يرأسها والبحث عن جنرال آخر عاقل» (والقي) يدل محله. وعندما اطلع وزير الخارجية البريطاني - «فتروني» - على هذه الفرنسية كتب إلى «تشرشل» يقول:

«من سوء الحظ أن الفرصة قد فاتت لكل هذا الإجراء لأن الفرنسيين في الداخل لا يعرفون غير «دييجول» وأي تخيير في تركيبة «فرنسا الحرة» في هذه الساعة المتأخرة سوف يحدث ارتباكاً في خطط التحرير. ولذلك فإنه من الأفضل الآن أن تسير الأمور كما هو مرسوم لها. ويعدها ترى ما يمكن عمله.

وعندما تحررت باريس فرح «دييجول» (أغسطس ١٩٤٤) بمسعى في موكب حاشد من ميدان «الكونكورد» وهو شارع «الفاينزيير» - فاصداً إلى «سوف النصر» وسط تقاطع ميدان «الانتيبال» - وكان الآن قد دخل ومعه الإمبراطورية إلى موعده القلب من التراب الفرنسي.

كان دييجول ساعدها رجالاً حلق حلمه الصعب بأن وضع وراءه كل إرادة فرنسا وإرادته، ولم ينجح إلى المستحيل وخياله بغير حسابات. ولم يسقط في «الواقعية» وهي بشر بغير فاع.



ومن مفاصل التاريخ أن الجنرال «شارل دييجول» - وهو رئيس الجمهورية الفرنسية للمرة الثانية (١٩٥٨ - ١٩٦٥) - كان هو بئذ الرجل الذي نعت عليه أن «يشرف على ذلك الإمبراطورية الأتروبية لفرنسا عبر البحر».

تسهيل نزول القوات الأمريكية دون معارضة - وإقام فريقين الأمور مع الحكام الفرنسيين في شمال أفريقيا. وكان شرطه أن يرتفع علم «فرنسا الحرة» على أعلى السرايات في «الرباط» و«الجزائر» و«تونس» - لكي تكون إعلاناً عن عودة كل الإمبراطورية الفرنسية (المجد الفرنسي) حول البحر الأبيض.

وفي سنة ١٩٤٣ - أي بعد ثلاث سنوات تقريبا - من استسلام فرنسا للفت «دييجول» إلى تنظيم المقاومة السرية ضد الاحتلال الألماني على التراب الفرنسي وبدأ ينشئ الخلايا ويلقب التنظيمات ويرتب لعمليات «تفريبية» ضد الاحتلال الألماني. قوائمه - فكانته - مواسلته - نسيلاته الأتروبية - الفرادة - وكذلك الفرنسيين المقاتلين مع الاحتلال وحشي «أبديا» - وكان اهتمام القيادة للحلفاء بالمقاومة الفرنسية قد بدأ لأنها اعتمدت نشاطها ضد الاحتلال الألماني إزعاها بقتلهم. وأرأها كليل - ونهيدا للخرقة في كل الأوقات.

وسنة ١٩٤٤ - كانت خطة تحرير أوروبا بالنزول شمال فرنسا والتقدم منها لتوجيه ضربة قاضية إلى ألمانيا وفق عملية «أوفر لورد» Over lord - لقد أعدها وبدأ تقريب لتتبعها وتجد بالفعل يوم افتتاح الضواحي الفرنسية - وغيرها الخط الدفاعي المتبع الذي بناء - هنتر - للدفاع عن أوروبا وإسعاد «حائط الألفي».

وكانت قيادة الحلفاء تحتاج إلى المقاومة الفرنسية في الداخل ترأب لها تحركات الألمان وتعمل جدهم وتثير الفوضى خلف الجبهة. وعلى طريق تقدم الجيوش المتحالفة إلى عقب فرنسا وعمق أوروبا.

وطلبت قيادة «إرنست» القائد العام لقوات الحلفاء والمسخون عن «أوفر لورد» من الجنرال «دييجول» طلبين:

١ - تنظيم عمليات المقاومة الفرنسية إلى أقصى حد ممكن في توقيعات معينة تتناسب مع الخطط العسكرية.

٢ - تسجيل بيان بصوت دييجول يذاع لحظة إنزال القوات ويصحب نداء منه إلى الشعب الفرنسي أن يذوق ضد الألمان كل جهد يستطيعه وإلى المقاومة الفرنسية في كل مكان لكي تخرج من مكانها وتقر بشفاعة.

وقبل دييجول لكنه أظلم حين من قيادة الحلفاء قدم إلى هذه القيادة ثلاثة طلبات:

١ - أن يطلق - ولرأى قيادة - على الخطه

«لكن مؤسستنا هنا وأنت تتعامل معها في الخارجية وفي رئاسة الأركان لا يفهمونها وأنتي أن يتهموك يوما بأن تتعن اليد التي أطلقت حركتك - حركة فرنسا الحرة».

٢ - «دييجول»:

٣ - إن «فرنسا الحرة» لا تخص صديقا لكنها لا تقعن أن يفهم من بهمهم الأمر أن فرنسا ما زالت لها لسانا: ■



ثم مضى «دييجول» بجري تصرفاته وفق حلمه وبمسلا - مطالب هذا الحلم بمعظم أن «مجد فرنسا» قبل «ترابها الوطني» في هذه اللحظة. وهكذا فإنه بعد إنشاء الحكومة المؤقتة لفرنسا الحرة سنة ١٩٤٠ - وأصل طريده:

سنة ١٩٤١ حاول الألمان - وبمسكوت يعني الرضا من جانب حكومة فيشي - أن يدخلوا إلى سوريا ولبنان لمساعدة جيش «روميل» للتقدم إلى مصر من الغرب، وولت بريطانيا في الدخول الألماني إلى سوريا ولبنان خطرا طارئا من الشرق فطرت القتال في ظروف صعبة وأما «دييجول» - مبكرا - وتقدم لاستغلالها في اللحظة المناسبة. فأجرى اتصالات مع كبار الحكام العسكريين الفرنسيين لإسلاك الإمبراطورية الفرنسية في المشرق. وقد حدث. وأمكن حصر القتال وحمله «دييجول» على جيلته بأن رفع علم فرنسا الحرة - على دمشق وببيروت.

سنة ١٩٤٢ كانت استراتيجية الحلفاء بعد اشتراك الولايات المتحدة في الحرب أن يقوم الجيش الأمريكي بالنزول في شمال أفريقيا - المغرب والجزائر - لكي يقوموا بحصر جيش «روميل» في ليبيا. وبذلك يتم طرد ألمانيا وإيطاليا من إفريقيا ولم تم تركز الجيوش على أوروبا. وأمس «دييجول» أن الأمريكيين يخشون أول مخاطر عملية عسكرية لهم في الحرب بعد ضربة «بيرل هاربور» (التي دمرت فيها - كل أسطول أمريكي في المحيط الهادي كله بصربة واحدة مفاجئة في ديسمبر عام ١٩٤١).

وصرة تلقية. وفي إمبراطورية فرنسا المغربية (المغرب - الجزائر - تونس)، كما وقع من قبل في إمبراطورية فرنسا المغربية (مسوريا - لبنان) تقدم «دييجول» يجر ض

ماكدونالدز



دعوة

من ماكدونالدز مصر

لبناء المستشفى الجديدة

لعلاج سرطان الأطفال

مستشفى

دعوة الى كل مواطن أن يساهم في عمل الخير

وقد بدأ ماكدونالدز مصر بالتبرع بـ ١٠ قروش

من ثمن كل وجبة تباع في جميع أنحاء الجمهورية

وذلك لعلاج الأطفال

المصابين بهذا المرض الخطير



جمعية صندوق معهد الأورام القومي

تليفون وفاكس ٣٦٨٥١٣٢ (١٠١) - ٣٦٨٠١٠٦ - ٣٦٨٨٧٥

بريد الكتروني E-mail: AFNCI@iastouch.com

بنك أمريكان إكسبريس فرع الجيزة حساب رقم / ٥٧٣٥٧

البنك الأهلي المصري فرع القصير العيني حساب رقم / ٥٧٣٥٧

بنك القاهرة فرع الألفي حساب رقم / ٥٧٣٥٧

الإرهاب . . والإسلام

.. ومستقبل النظام الدولي

أحمد كمال أبو المجد

الاسماء ليسوا إلا خوصاً ومعارضين للنظمة والحكومات التي طلبت تسليمهم.. وأن في هذا التسليم ما يتعارض مع ما تلتزمه الحكومة الأمريكية في كل مناسبة من حماية مطلقة لحقوق الأفراد وحرياتهم.. ومن اتهام الكثير من الحكومات.. خصوصاً في دول العالم الثالث.. بالقمع والاستبداد والإعتداء المستمر على حقوق الإنسان.

وفي ليلعة الوصول إلى مرحلة «العموم» الذي يمر مؤامرة يوم الثلاثاء الأسود: استعداداً للتلخاض السريع عليه، والسر منه لاراً يتجاوز حدود عدوانه وجريمته.. ظهر العرب والمسلمون - مشتهين فيهم، بحكم قوائم الاسماء التي استخرجت من الاندراج - وبحكم شبهات قوية بلغ بعضها عند الحكومة الأمريكية - كما تقول - مبلغ الأمانة على إبانته في حوادث «إرهابية» سابقة.. وبحكم ما كان قد تجمع لدى أجهزة الاستخبارات من معلومات واسمة عن تنظيم «القاعدة» في أفغانستان، وعن

فسير بن لادن، الذي يوجه ذلك التنظيم.. مجتذاً له مشات من شباب العرب والمسلمين. وهكذا، وسيل أن يتجلى الفشار عن مواقع التبرجين في وسط نيويورك وعن مكان الانبعاث في مبنى البنتاجون.. كان الاتهام قد «علق» برأية العرب والمسلمين.. وكان على كل عربي وكل مسلم أن يقيم هو الدليل على براءته.. هذا إذا سح له بقائمة مثل تلك الدليل.. ووقع في توجيه الاتهام تجاوزات عديدة، بعضها اقتره الفشب، والفضب جمة ذهاب العقل وتسد منافذ التفطق.. وبعضها وأدم الجبل وقلة الشياطة يعرفه الآخر وفالطه، خصوصاً إذا لم يكن ذلك الآخر أمريكياً.. أو غريباً على ألق تالدير، وبعضها - أخيراً - وألته الرغبة السيئة في امتثال الفرصة السانحة لتشويه صورة العرب والمسلمين.. ولحقن الجحوة بين المسلمين والغرب بل يصعب عيورها، حتى بعد أن ييما

لم تقاض جهود الساسة ورجال القانون في الوصول إلى اتفاق على تعريف الإرهاب.. وكان هذا التشلل تعبيراً واضحاً عن تعارض المصالح واختلاف المواقف السياسية كما كان تعبيراً واضحاً عن الخلاف حول الاعتراف بشرعية حركات التحرير الوطني ومقاومة الاحتلال الأجنبي

يعموها.. يعتبر اكلمها عن الملح بحلها عن المواقع التي يمكن أن تكون قاعدة انطلاق عنها ذلك العدو المجهول.. الذي خطط لذلك الهجوم أو شارك في تنفيذه.. امتلا الجو على الفور بملكات «الحرب على أمريكا» وضرورة شن حرب شاملة على «الإرهاب والتفجيرات».. واستخرجت - على عجل - قوائم قديمة لاسماء مشتهية فيها وهي أسماء كانت - منذ شهور - أو سنوات، قابعة في أدراج المخابرات المركزية، وعند مكتب التحقيق الفيدرالي (F.B.I.. وإذا بكثرة هذه الاسماء لأفراد من العرب والمسلمين، ولعل جانباً كبيراً منها كانت هي الاسماء التي زودت الأمريكيين بها حكومات عربية وإسلامية.. تلطب تسليم اصحابها لاتهامهم في جرائم - ولعت في بلاد تلك الحكومات.. وهو طلب امتنعت عن الاستجابة إليه الحكومات الأمريكية، متعلقة من مؤتمرها أن اصحاب هذه

صغير من مبنى البنتاجون الشهير رمز القوة العسكرية الأمريكية التي لم تعد تمثلها قوة عسكرية أخرى فوق هذا التوكب.. والذي كان مصدره الإحساس بالآمان المطلق لكل أمريكي وأمريكية.. يصور لهم أن حياتهم المعيشية ومؤسساتهم الاقتصادية والسياسية وثقافتهم بكل عناصرها ومكوناتها.. ولساو بهم الخاص في الحياة الذي عرفوا به بين الناس والشعوب The American way of life.. كل ذلك لا يمكن أن يخال أو يصل إليه عدو معروف لو مفروض غير معروف.

بعد ساعات على وقوع «الانفجار العظيم» كان الجو قد امتلا بمرفوفات جديدة لا يكاد

في يوم الحادي عشر من سبتمبر الماضي، كنا نحن شعوب العالم، حكاماً ومحكومين.. نعيش احلاماً وريبة عن مستقبل العلاقات بين الدول والشعوب، منظمين إلى غد قريب تختلج عنه الصراعات والمواجهات.. ليحل محلها الحوار والجمال بالتي هي أحسن، كما تختلج من ساحله فكرة «العدو» التي وضعت الناس جميعاً في خنادق متغالبية، يتربص القابعون فيها للقابعين في الخنادق الأخرى.. لنحل محلها فكرة الشريك المتنافس والمناصفة بين الشركاء أو الأطراف - في التصور السائد - إلى تخمين مستوى الأداء (في الإنتاج وتقديم الخدمات) - وهو تحسين تنافس بين القوة أولاً، ومن بعدها الكثرة الغالبة من الناس.

وما إن وقع ما وقع صبيحة الحادي عشر من سبتمبر حتى استيقظت الناس جميعاً على واقع خفيف انطهم بفتنة قبل أن يمسحوا عن عيونهم آثار الحلم الجميل الذي كانوا فيه إلى صور مزرعة من العنف والخوف والشلل في كل أحد وكل شيء بحيث لم يبق في نفوس الناس إلا اليقين واحد، هو اليقين بأن حياة الناس بعد الحادي عشر من سبتمبر لن تكون فيما كما كانت قبل صباح ذلك اليوم الملعن الخفق.. وإن الأمن النسبي الذي نضعوا به فروناً طويلة قد تبدد فجأة وقد لا يعود، نبدأ، وإن القوانين التي ظنوا أنها تحكم التاريخ وتضبط مسيرته وتضع باستشراف مستقبل الناس فيه، لا ضمان لاستمرارها وتلفاتها، بل إن نوازنها قد يعقل فجأة، لقلوب الأمور رأساً على عقب.. لأن أمر تلك القوانين وزهاجم حركتها تمسد به بد فديرة تتخلل حين شاء كيف تشاء، وأمرها، إذا أردت شيئاً، أن تقول التاريخ «كن فيكون».

وفي مضي ساعات على انفجار البنتاجون الكبوسيون اللذين كانوا يرتفعان في سماء نيويورك معبرين عن القوة الأمريكية، في جانبها القادري والاقتصادي، ونهايز جزء غير

الخيار ويستعيد الناس توازنهم، ويقبضوا على العمل والمطلق والعمل، وإساءة هذه التجاوزات ويستعدوا لها، تلك الإشارات المتكررة إلى «السلام» والرفاهية، باعتباره «الفاعل الأصلي» الذي أفسد موجبات العنف والإرهاب. وعلى قننا الموجة التي أصابت الولايات المتحدة يوم الحادي عشر من سبتمبر.



هذه هي الصورة التي تحدثت قسملتها وملاحها بعد أيام قليلة. لم بعد ساعات من وقوع الإنهيار العظيم، في نيويورك وواشنطن.

ولقد ترددت طويلاً قبل أن استجيب لرغبة وجهات نظري، في أن تكون أحد الذين يسعون لتبسيط الأنوار على ما وقع يوم ١١ سبتمبر، وما أعقبه بعد أسابيع قليلة من تدهيت الأمم وتوجيهه رسمياً من خلال خطاب وبيانات الرئيس جورج بوش بنين - سبتمبر - وسبتمبرية ونسريجاتهم. من يده ما سمود جميعاً الحرب ضد الإرهاب، واستهلكت معارك تلك الحرب بجملة عسكرية استحدثت لها القوة العسكرية الأمريكية بكل فروعها واستلحقها وتلقيناتها المقلدة.

وكان مبعث ترددي إثناً في الحقيقة - إزاء حدث لم يكن بعد ولزات طلفاته الأساسية لتعاقب، وهي أشبه بزلزال عظيم. قد تواقع قد يكون بعضها أشد وهو أوسع لثراً من هزته الأصلية الأولى. ومن لم فإن أعداء المعرفة الفلسطينية في شأنه ومحاولة التوحيد والصلح حول صورة الاستقلال في ظله أمور لا يجهز النورط فيها. وعلى الكاتب والفرانز أن يربكا جميعاً كل ما يكف في هذه المرحلة المبكرة لا يمكن أن يكون أكثر من مساهمة لشعهم، والتخليط، والإفساد باطراف غير طوع والشد والتعدي والتزكيب.

وهذا الحدث الذي صدم الدنيا كلها قد فتح لفتح والرصد والتحليل ملفات عديدة فنتار منها حديثاً قد ملفت ثلاثة هي:

- ١- ملف الإرهاب.
- ٢- ملف الإسلام والصله المزعومة بينه وبين الإرهاب.
- ٣- ملف النظام الدولي الذي لا بد أن يفسار بالحدث الذي وقع. وما أعقبه من تبعاتيات لأزلا أكثرها يتجلى يوماً بعد يوم.

الإرهاب

يتجدد الحديث عن الإرهاب، تحديراً منه، وإدانة له. ويحدث عن الوسائل الفعالة لمحاربه والقضاء عليه، كلما وقع حادث من حوادث يهدد أمن الناس، أو يضر بمصالحهم الاقتصادية، أو يهدد استقرار النظام السياسي القائم بينهم.

لم لا يلبث هذا الحديث أن تبلت، ويتصور الناس، حكومات وشعوباً أنهم نجحوا في استعمال الإرهاب والأرهاب عليهم. ففسدت المجتمع إسماعه بالأنوار لظهور أو نقص، إلى أن يقع حادث إرهابي جديد.

لا يريد أن تكون هذه السطور تكراراً لما قيل وما يقال كلما وقع حادث إرهابي، وإنما أقتصر لأمور ثلاثة تتعلق بتعريف الإرهاب، وأسبابه، والآليات الفعالة لتقاومه.

١- الإرهاب: يعرّفه عن الولوج عند الحثي للفوضى للكلمة، هو كل اعتداء على الأرواح والأموال والنفسات تستخدم فيه القوة بقصد إكراه المعتدى عليه، أو المجتمع، أو مؤسسته على اتخاذ إجراء أو قرار معين، أو امتناع سياسة يراها موارسو ذلك الإرهاب.

وحين تجاوزت الحوادث الإرهابية حدود

الدولة، ولامتدت إلى دول أخرى، وتزايد عددها على نحو غير مسبق، فقد كان طبيعياً أن تبدأ الجهود الدولية لمحاولة الإرهاب بمحاولة وضع تعريف له يتفق عليه المجتمع الدولي. أو تتفق عليه الدول التي تريد الدخول في اتفاقيات ثنائية أو جماعية لمحاومته. ومع ذلك لم تفلح جهود الساسة ورجال القانون في الوصول إلى اتفاق على تعريف الإرهاب. وكان هذا الفشل

تعبيراً واضحاً عن تعارض المصالح واختلاف المواقف السياسية. فيما حرصت أكثر الدول النامية وتلك التي تفتقر إلى الاحتلال الأجنبي على التمييز بين جرائم الإرهاب التي تمارس داخل الدولة، وتقتدى إلى دولة أخرى تعبيراً عن موقف سياسي أو أيديولوجي. وبين العنف الذي تضطر السياسة إلى ممارسته لمواجهة للاحتلال، وبخاصة عن الاستغلال الوطني.

والذي هو في جوهره استعمال لحق الدفاع الشرعي في مواجهة الاحتلال. وهي محاولة تجد سندها القانوني فيما يقرره ميثاق الأمم المتحدة، بينما اتخذت الدول النامية هذا الموقف فإن أكثر الدول التي حققت قنصو قد ظلت حرصية على تجنب وضع تعريف للإرهاب. حتى لا تمنح الشرعية لحركات التحرير الوطني التي تقوم بالاستعمار والاحتلال.

وتظهر هذا الخلاف من جديد فور إعلان الرئيس الأمريكي بوش أن الولايات المتحدة ستخوض حرباً شاملة ضد الإرهاب، داعياً سائر الدول إلى الانضمام للولايات المتحدة في تلك الحرب. دون أن يحدد على الإطلاق معنى هذا القعد الذي تحشد لحاربه الجيوش والفلطرات والأساطيل.

واتخذ استنار هذا الخلاف حين أصدر مجلس الأمن يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١ قراره رقم ١٣٧٣ الذي دعا فيه الدول إلى الانضمام بمحاربة الإرهاب... عن طريق قطع الموارء المالية عن الأفراد والمنظمات الإرهابية.

والانضمام بعدم قبول لولئك الأفراد كلاجئين سياسيين. وإلى تعديل التشريعات الداخلية بما يتفق وينبذ ذلك القرار. إذ رغم التعديل الكبير الذي تميز به القرار (خمسبة بنود أساسية بقسم كل منها إلى ثلاثة أو أربعة أجزاء) رغم ذلك كله... فقد بقي «الإرهاب» مجهولاً. وبقي باب الخلاف حوله مفتوحاً على مصراعيه.

والحرب والمسلمون ومعهم المدافعون عن حقوق الشعوب في تقرير مصيرها حرصون اتسد الحصر على أن ينحصر إلى تعريف للإرهاب عن حركات التحرير الوطني والمشاركين فيها، الذين يضطرون إلى استخدام العنف كقوة عتف آخر يمتثل في فرض الاحتلال، وما تمارسه سلطات الاحتلال من عدوان على حقوق أبناء الأقاليم الواقعة تحت ذلك الاحتلال. ومن تضيق عليهم، وأغرض الوصاية على حياتهم كلها.

وحرص الحكومات والشعوب العربية على هذه التفرقة لكتسب هذه المرة أهمية كبرى بسبب تكرار الإعلان من جانب الحكومة الأمريكية والرئيس الأمريكي على احتمال توجيه ضربات عسكرية إلى أية دولة عربية أو مسلمة، أو غير عربية ولا مسلمة تنورط في إيذاء الإسرائيليين أو تمنع عن تضميمهم.. ورغم تناقض التصريحات الصادرة عن المسؤولين الأمريكيين في هذا الشأن... فلازلا بعضها يشير تصريحاً أو تلميهاً إلى احتمال ضرب بعض الدول العربية أو الإسلامية... التي لا تتصاع لقرار مجلس الأمن رقم ١٢٧٣ أو ترفض تسليم «الإرهابيين» الذين يطلب إليها تسليمهم.. وأخر ما سمعناه من ذلك في هذا الشأن تصريح السيدة كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي للرئيس بوش في حديث لها مع إحدى النشجات الفلسطينية العربية يوم ١٥ أكتوبر ٢٠٠١، حيث أشارت

إلى أمرين يستحقان القاتل في سياق هذا العرض. أولهما: قولها أن الولايات المتحدة لازلا قلقة إزاء العراق وأنها تشك في أن القمام العراقي لإزلا حرصاً على الاحتفاظ بأسلحة ديموقراطية وعسوقية بما يكف من تحريضها الحكومة الأمريكية على توجيه ضربة عسكرية للعراق، وثانيهما: قولها إنه لا يوجد إرهاب حسن وإرهاب سيئ... وهو تعبير مشرق في التسميعة والاختلاف في التقبيل، وتلق على أي حال... يفتقر إلى راض مددا التعشير بين جسرته الإرهاب وبين الحق الشرعي في مقاومة الاحتلال. ومن عجيب السيد رايس لم تكلف بهذا، وإنما عادت فذكرت ضرورة أن يقوم الرئيس عرفات بجهد بخص من شأنه على وقف كل صور العنف ومنها العنف ضد الإسرائيليين.

وهكذا تقلل قضية «الحرب ضد الإرهاب» مسجلة - في إطارها العربي - بعد يوم ١١ سبتمبر بخصاط ضرورية، وبصراحة محتملة بين موقفين متناقضين في تعريف الإرهاب، حين تصل تلك الحرب إلى التهديد بضرب دول لا تقبل منع مواطنيها من الانفراد في «ممارسات التحرير» ومقاومة الاحتلال الواقع على أيدي إسرائيل.

وبما أن نته إلى أن العلويات التي تمت يوم ١١ سبتمبر قد ملئت مريجة من الإرهاب بعفان الدرقي أسابقة لها في التاريخ وأن «النف» من علقات إرهابية جديدة قد أقال الناس جميعاً في أي قلق وخوف لا حدود لها وما هو جوع صار تعاليم في إسلارهم وتظلمهم والاعتامهم ولما يتكولنه كل يوم من رسائل بيردية متعاطف النف من أحتواها على بتخريص إرهابية للانكس Amhrax والجرة الضخمة وهو مرض شديد الفتك إذا لم يكتشف مبكراً ويأخذ بعلاج السريع.

إثنا - ذلك كله - لا يبالغ إذا قلنا إن أبواب النفور والشد، وما يترقبه علينا من آثار قد فشت يوم ١١ سبتمبر على مصراعها ويعلم الله وحده، متى يعود الأمن إلى النفوس، ومتى يتزلز كابوس الشك والنفور الذي تحول إلى فلع مستشري جهاشيري، تزوج بوسائل الإعلام حين فصل أسماء الناس وأبصارهم ساعة بعد ساعة بتخريبات لا آخر لها من احتمالات انقراض لهذا النوع العظيم من أنواع الأسلحة الكيميائية البيولوجية.

إن جسامه الخطر الذي تواجهه الإنسانية كلها نتيجة استنشاء الإرهاب والنفور المخيف لئلاسلحة التي تستعملها الجماعات الإرهابية يدعونا إلى ظل بؤرة الاعتصام من تحليل أساليب الإرهاب وصوره المختلفة... إلى الاهتمام بالتصرف على أسبابه ومبركاته والاعل على إزالة هذه الأسباب والمبركات... حتى نستأنف منها مسيرة الخير والتواصل والتعاون على البر وما يبلغ كل فئاس.

وحسين أن أوجه الخطر إلى أن الدراسات السياسية والاجتماعية تشير كلها إلى أن البؤمة التي تنمو فيها حركات العنف والإرهاب تتميز عادة بأبوار ثلاثة:

أولها: ضيق المنافذ المتاحة للمعاركة الديموقراطية وهو ضيق يفرى بالاعل خارج الفلوات الشرعية... وثانيها: غياب العدل الاجتماعي على نحو تتسع في ظله البؤة إلى الأغنياء الأثرياء، بسلطان الشورة، والفقر الضعفاء بزل العاجات والعجز عن تحقيق القدر الأدنى من الحاجات المشروعة. وثالث: غياب «سلطان القانون» والتخلي عن القدر الأدنى من احترام الحقوق الأساسية للأفراد خصوصاً عند توجيه الاتهام وإزلا العقاب وما يصاحب ذلك في أحيان كثيرة من ممارسات ظلم والتعذيب تنقل رغبة جامحة للتعود على المجتمع



هكذا تظل قضية

«الحرب ضد الإرهاب»... ممكنة... في إطارها

التأش بعد يوم ١١ سبتمبر بمخاطر كبيرة.

وصراعات محتملة بين موقفين متناقضين في تعريف

الإرهاب، حين تصل تلك الحرب إلى التهديد بضرب دول

لا تقبل منع مواطنيها من الانفراد

في «ممارسات التحرير» ومقاومة الاحتلال

الواقع على أجزاء من أراضيها



الإرهاب والإسلام

كله والخروج على القانون. وتفتح للنشر الذي لا أخبر له أديبا أعلم أنه يضيّق عنها خيال القاصين بهذه العنايات. كما أنها - شخفاً أم أديبا - تصيب روح الولاء والانتماء عند كثير من الشباب في مقتل. إذ الأمر في الولاء أنه أخذ وعطاء. والأمر فيه كما يقول الشاعر:

لا تود العطر عن شجره
فقد يعلو للثر من ثمرة

فلما ذكرنا أن هذه الأساليب هي المسنونة في النهاية عن نمو - فقه العزلة - وفقه للعمل السري - خارج الإطار الشرعي، أدركنا أن القضية جانبها الثقافي والفكري الأساسي، وأن منع السلطات الأمنية وجدها مسئولة القضاء على الإرهاب نظم لأجهزة الأمن وتكوين لفرص الحقيقية للقانونية الإرهاب وجذوره التي يكمن بعضها في الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية.

الإسلام.. والإرهاب

من مفارقات التاريخ وغريبه أن يرتبط الإسلام في أذهان غير قليل بالعتق والإرهاب.. وأن يستغل الإسلام العظيم الذي جاء به الأنبياء والمرسلون رحمة للناس وأما ليتحول إلى - مسئلة أمنية -.. وفي تدويرنا أن هذا الارتباط الموهوم بين الإسلام والإرهاب قد شاركت في صفة عوامل ثلاثة: الأول: باقيا صراع تاريخي قديم بين - المسلمين - وبول لفرى مبدية في الغرب.. وهو صراع حركة في مراحلها الأولى المتألفة الحادة التي دارت بين الدعاة المسلمين والمبتدئين المسيحيين عابدين.. يسميان إلى - دعوة الآخرين - بالخصال باعنائاً العقيدة الصحيحة كما يراها كل من الدعاة المسلمين والمبتدئين المسيحيين - من حركات هذا الصراع في مرحلة تالية الحروب الصليبية التي حاول الغرب الأوروبي من خلالها أن يستولي على بلاد المسلمين.. وأن يخلعهم في طاعته وملابته. وخلال هاتين المرحلتين غرس المستشرقون والسياسة الغربيون في عقول وقلوب أتباعهم وطلابهم صورة للإسلام بالغة التباين والسوء والسيادة، وكذا لغير حتمتهم الثقافية على بعض معالم العقيدة والذات الإسلامية.. وفي رأسها فكرة - الجهاد - الذي رآوا فيه صورة من صور الإكراه والفسر - وفرض الرأي على الآخرين.

وحين انفسد الإسلام السياسي سياسياً ومعرياً عن أوروبا.. وتفتح التاريخ تحولاً جديراً إلى الاتجاه الحاد.. وبدأت الجيوش الأوروبية غزوها للحقبة العظمى من الدول العربية والإسلامية.. كان طبيعياً أن تظهر حركات وطنية تحارب المستعمرين وتعمل على إزاحتهم عن أراضيها.. ولعب الإرهاب دوراً بارزاً في تزويد تلك الحركات بخافز روحي عظيم الأثر.. تمثل في الطابع الديني الذي اكتسبته حركات تحرير عديدة في العالم العربي والإسلامي.. وحسبنا أن نشير إلى الطابع الإسلامي الذي طبع الثورة الجزائرية على استعمال الفرنسي.. فإلى جانب - جهة - التحرير الجزائرية التي لم يخل خطابه من مدبرة دينية.. كانت هناك جميعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها العالم الفذ

محمد باقر

الذي لا يورث صاحبه إلا ابتعاداً عن الناس.. ولا يفقه إلا الأذى إلا حرجاً ومشقة وقبحاً لا يواب شر لا آخر له.

وإذا لم يكن من أهداف هذا البحث أن نستخلص أسباب وبطائر العوج في منهج التفكير الذي قد يقود أصحابه إلى التطرف في الفكر والسلوك أو إلى ممارسة الإرهاب.. فلربما نرى من المفيد - مع ذلك - أن نلفت الأنظار إلى ظاهرتين هامتين ترتبطهما بالإرهاب وارتباط وثيق:

الظاهرة الأولى: أن العزلة عن التيار العام للحياة.. ومفارقة المجتمع شعورياً أو فعلياً.. والانحصار داخل - حوزة - مغلفة لا تتواصل مع الآخرين.. هذه العزلة تصنع لأصحابها - فقهاً - خاصاً يراه أصحابه منسحباً للإسلام.. ويعتقدون أن مقاربتة والأجزاء مستمدة من نصوهم.. وكفته عند القائل فقه خاص تماماً.. صنعتها أجواء العزلة والانحصار عن التيار العام ولذلك أجزت لنفسه أن اسمه - فقه العزلة - وهو يتناول على مخالقات جميعية لروح الإسلام العامة وكثير من مبادئ الفطرة ونصوصه القطعية.

وأهم عناصر هذا النوع من الفقه المنفرد - تفسير النصوص بتفسيراً حرفياً.. جزئياً.. ويقتلها عن معياليها.. ولا يتناول التعريف على مقاصدها الكبرى.. - ٢ - شدة الانسحاب إلى المجتمع وكليا.. ورفض فهم القوانين الاجتماعية التي يفتح لها المسلمون كما يفتح غيرهم.. وممارسة - الأمر بالحرف والشيء عن الفكر - ممارسة لا تعرف الضوابط ولا الحدود.. وتضعي لتفسيرها بأن على نحو يجعل من أصحابها - وصاة - على الأوامر.. وعلى المجتمع كله.. وهو موقف يكشف عن استبداد ونظرة فوقية تختلف روح الإسلام وأحكامه مخالقة أساسية.

الظاهرة الثانية: أن التجاذب بعض محله هذا الفقه الانزواني إلى تكوين جماعات أو مجموعات عمل - رغم فصل عقلة.. يقضي بمرور إلى نمو - فقه - وعمل العزلة وانعزالها عن المجتمع.. فلهذا الفقه في النهاية عن الانحراف السلوكي والتوجه العدواني والغفب العدواني الذي يسير فيه بعض أعضاء تلك الجماعات.



وقد لا تكون عناصر هذا الفقه واضحة ولا محددة عند نقطة - البداية - في حياة هذه الجماعات السرية وبجاءة الرعايا فيها.. ولكنها لا تثبت أن تطير وتتنو على نحو يورث أن يكون حتمياً وتكتشف ظاهرة - فكر - هذا النوع من - الجماعات - المستقرة عن ثلاثة عناصر أساسية عليها أهم مميزات هذا الفقه: - العنصر الأول - عنصر - التفرق - أي الانحياز صورة تخالف الصورة الحقيقية لنشاط هذه الجماعات وأهدافها القريبة والبعيدة.. وتكثراً لتدخل عناصر - الخطاب السياسي - للعلن من جانب هذه الجماعات.. وتختلط ما هو تعبير حقيقي عن الموقف من القضايا العامة بما هو نصن - بالثقافة -.. فلهذا الأمر إلى غياب الثقة فيماياً كاملاً بهذه الجماعات من جانب التفكير السياسية السليمة.. كما أدى إلى وقوع لقطات

عن أن يعاصب عليها.. وعبر هذه المسيرة المؤسفة تعطلت ثقافة العرب والمسلمين بالولايات المتحدة تمليها شديداً نسل عنه الحكومات الأمريكية المتعاقبة ولا يزال عنه العرب والمسلمون.

أما العامل الثاني التي ساهمت في خلق هذا الوهم الكبير فهو ظهور بعض الحركات والأحزاب التي تحمل أسماء وشعارات إسلامية.. والتي مارس بعضها السياسة بوسائل انقلابية تكلف على المجتمع.. وتعمل خارج قنونه الشرعية.. وتقدم تصفية خصومها السياسيين أو العقائديين تصفية جسدانية تقوم على العنف وبسببها فيها القتل وإزالة الدماء.. إن الإتي السلب الذي يشركه مثل هذا السلوك على يحمل - الصورة الإسلامية - يروق كثيراً كل ما تتركه الحملات الإعلامية التي تصدر عن الآخرين.. وكفته ذلك.. هذا.. أن هذه الجماعات على تشفيها وتعدبر فروعها وتنظيماتها خلال النصف الأخير من القرن الماضي لإزلات شكل هامشياً صغيراً على جانبى - التيار الواسع العريض - للمسلمين.. ولإزلات جاعهر المسلمين ترفل سلوكها بكثير من الحذر والإتقان.. ومع ذلك فإن وجود هذه الجماعات والتفتيات حليفة لا تجوز فيها المتكبرة ولا يجدي معها الإنكار.. والأولى أن يتصدى العلماء لخلقها ففكارها ومواقفها.. وإعلان كتمة الإسلام فيما يقول به أعضاءها وما يفعلونها.. وموقف حليفة ولإمارة.. في ذلك بشيرة عالية واضحة يبرأ بها الإسلام والمسلمون من شهادت العنف والإرهاب.. إن واجب العلماء التفتي ترفضه عليهم أمارة العلم أن يبينوا للناس.. وأن يكتموا الحق.. وأن يدركوا جيداً أن مجاملة المتطرفين عن روح الإسلام ومبادئه وأحكامه الثابتة والسكوت عما يمارسه بعضهم من تجاوز ودعوان لجردهم أنهم يرفهون زوايا إسلامية.. هذه الجماعة تسره إلى الإسلام أبلغ إساءة.. رصده عن أصحابه العقول الثيرة والظلم الظاهرة الإسلامية.. وتفتح على الدنوال والنفوس باب الخطب بين الذين الصحيح الذي يسعد به صاحبه وتنتفع به الأمة كلها وبين الذين المنحرف عن الجادة..

عبد الحميد بن باديس.. وانفتح إليها من بعده الشيخ المبتدئ الإبراهيمي.

وفي تونس كانت لحزب الاستقلال الذي أسسه علال الفاسي توجهاته الإسلامية الواضحة.. وفي مصر شاركت حركة الإخوان المسلمين مشاركة فعالة في كتاب الفيلسوف التي بدأت بها المواجهات العسكرية بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨.. وترافق هذا الدور الذي لعبه - الإسلام - في تجميع حركات المقاومة الوطنية للاستعمار.. مع دعوة أخرى للمحافظة على الاستقلال الثقافي.. وإذكاء الوعي بالخصوصية الثقافية للأمة.. وهكذا بدأ للعقل الأوروبي وللوجدان العربي بصلة عامة أن الإسلام هو الخصم العنيد الذي يحرق روح الحياة للغرب.. وأن المسلمين صبر خطر على الحضارة الغربية كلها.. ولذلك بقي - العقل - القريب إلى يومنا هذا مستعناً لتصديق كل نقد يوجه للإسلام والمسلمين.. ويقول كل تصور سلبي مهما.. لم جاءت قاصمة تحمل عام ١٩٤٨ حين أقيمت في قلب العالم العربي والإسلامي دولة صهيونية كان الظن أن تكون مدجا بلوذه اليهود المظلمون في دول أوروبا.. فلما بدأ تجسيد مشروع صهيوني استيطاني واسع الأبعاد يقوم على نفي الآخر - الفلسطيني - وسحاولة استئصاله وفرض هيمنة الدولة العسكرية القومسية على جميع العرب والمسلمين.. وإذا كانت إنجلترا تحمل أمام الله والاريخ مسئولية ارتكاب القضية الأولى في هذه القضية الشائكة بين مهدي تلك الفكر الدولة - الثاقبة - وبمضها وعد بطور الشهير عام ١٩١٧.. فإن الولايات المتحدة هي التي أعلنت قيامها عام ١٩٤٨ مجهد غير مسبوق داخل ثورة الأمم المتحدة.. استعملت فيه الضغط والتوعية والتقييد.. وفلقت إلى يومنا هذا.. تستكت عن جبروتها.. وتبارك وعمودها.. وترفض أن يصدر عن الأمم المتحدة قرار يشير من قريب أو بعيد إلى تلك الجرائم أو يصفها بمسألتها فضلاً

خلفه في عقول الكثيرين من المخترعين في هذه المجتمعات.. بين ما هو موقوف لتصيل مستمد من الإرث الجرجسي للأمة وما هو «كثيبت» من قبل النقيض، تستمد أو تيرره عند اصحابه بعلامات سياسية خالصة.

أما المصنوع الثاني: فهو قبول الاتجاه إلى الوسائل الانقلابية والإعداد لممارسة تلك الوسائل. ويعتبر هذا القبول عادة باستغلال الاتجاه إلى العنف والإكراه استحداثاً لوسائل الوصول إلى مقاييد الحكم ومقاعده السلطة كما يصاحب ترخيص وتمسك في الالتزام بالخصوابط الأخلاقية لعمل العام والمسيحي.. وهي ضوابط أكثرها مستمد من مبادئ الإسلام العامة التي تجد أصولها في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة النبي ﷺ. وهكذا يتبنى الأمر.. عملياً.. بكثير من انغماس تلك المجتمعات إلى التورط في تبرير الوسائل غير المشروعة، بالغاثة النخبوية الشريفة، ناهيك قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جرت في سبل الله فتنوا﴾ (التوبة: ٩٤)، وقول النبي ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً».

الخصم الثالث: إن هذه المجتمعات إذا وصل أعضاؤها إلى حمل السلاح واستخدامه، فإنهم لا يتروكونه أبداً.. والطلب أن يبدوا استخدامهم له في قضايا عامة مشروعة كمشاورة الاحتلال الأجنبي مقاومة تشاركهم فيها جماعات وطنية أخرى.. فإذا فرغوا من هذه القضايا، أو أدركوا الخسر من تحقيق أهدافهم منها، توجهوا إلى قضايا أخرى قد لا تتوافق لها الشرعية الإسلامية والقانونية. وقد يكون استخدام القوة المسلحة في التعامل معها مشكوكاً في جواز من الناحية الشرعية، كما قد يؤدي هذا الاستخدام في شأنها إلى وقوع عاصم واضرار تجاوز النفاذ والضرر التي تم استخدام القوة المسلحة لفتحها وإثباتها ناهيك بـ مرة أخرى.. من قواعد الإسلام المحككة قبله للمفسدة الصغيرة، مرة للمفسدة أكبر منها، فإنه «يتكبد أذى الضررين» إذا تعين اختيار واحد منهما.

ويبقى أن نغنيه الفارئ في نهاية هذه الجزء من حديثنا إلى أننا لا نتناقل النقد إلى مبادئه الذاتية ونصوصه الفاطمة، وموقفه الواضح من القضايا اليمينية التي تعرضنا لها، وإنما نضوجه بتحليل والمناقشة إلى «الغاية» خارجية أو تحتية Subculture نشأت تاريخياً كما تنشأ كل الثقافات العنصرية والقمعية، ترفع فواء العقيدة أو الثقافة العامة التي يبرر عنها الشعار الواسع المرفوض في الثقافة.. ولكنها تتوجه في رؤيتها وفكرتها، وهي سلوكها العملي المعتاد نحوها بنقش روح ذلك التيار الواسع.. ويخرج على الحدود المبدئية والأخلاقية لتلك الثقافة.



ولسنا بحاجة أبداً.. في مقادنا هذا.. إلى أن نعرض من جديد لوقف الإسلام.. من القضايا الكبرى التي تشققتنا جميعاً هذه الأيام.. ونعني قضايا الإرهاب.. والجهاد.. والحرية.. والعلاقة مع الآخر.. والخصية العدل الذي هو ركن الأركان في الرؤية الثقافية للإسلام.. ولعل ذلك كله فضيحة الإنسان.. وجرعة منه وعرضه وماله.. ذلك أن موقف الإسلام للمستمدة في

وضوح وبغير تكلف ولا تعسف من مصاصره الأساسية وأطواره المرجح التقدم، هذا للولف ثلث ومدون ومعلوم للثقافة.. فمباشراً وحديثاً.

وليت لتمام كان متسماً لتصبح الفارئ في جولة سريعة على عدد من النصوص والمبادئ التي قد قدم الإسلام بها للإنسانية منظومة كاملة لضوابط التعامل بين الناس والناس.. حين يتفكرون وحين يتفكرون.. في أوليات السلم ولواقات الحرب على السواء. إننا لآراء وضوح المفارقة الهائلة بين الإسلام.. الذي عليه الكثرة القلبية من المسلمين.. وهي الكثرة التي لا تلتصم على ضلالة.. وبين السلوك الفاضل لبعض من يستقلون بولاه، ويتخللون لأنفسهم حق التصديق باسمه عن سائر المسلمين.. وإن لآراء الناس جميعاً.. هنا في المشرق.. وهناك في المغرب.. إن الإنسان ليس في حروب مع تلك ثقافة معاصرة.. وأن المسلمين شركاء لسائر الناس والشعوب.. في مواجهة أخطار مشتركة جديدة. وفي السعي لإنشاء نظام جديد للتحالفات الإنسانية يقوم على التعاون والتكامل وتبادل المعطاء.. والخبرات.. بدلاً من نظام القديم يقوم على الوادعية.. والانتفاضة.. والهيمنة والظلم واستبعاد الآخرين.

إن مساهمة الإسلام الكبرى في إقامة نظام عالمي جديد للعلاقات الإنسانية يقوم على التواضع والتعاون وبحار العدل والإرهاب وروح الطيبة بين الناس تقتل في أمور عديدة على راسها المبادئ الكبرى الآتية:

- ١- أن الإنسان إما كان لونه وأصله وجنسه وعلميته الدينية، هو في نظر الإسلام مخلوق مكرم ومفضل على سائر الكائنات.
- ٢- «ولقد كرّمنا بني آدم» (الإسراء: ٧٠)
- ٣- أن التعاون الإنساني والاختلاف نعمته وليس نقمة ولا هو خطر على أحد.. والآخر.. في منطق الإسلام ليس.. جميعاً.. كما يقول مفكر وجودي معروف، وإنما هو «مقيم آخر» ينبغي

الضرب عليه والإعتراب منه والعضاوين منه ﴿رحمناك سحوماً﴾ وسائل استغفاراً» (الحجرات: ١٧).

٣- إن دم الإنسان معصوم.. وماله معصوم.. وعرضه معصوم.. مسلماً كان أو غير مسلم.. وهذه المعصية هي وصية النبي ﷺ للإنسانية كلها في حجة الوداع، أيها الناس إن معاكم ونوكم وأعزكم حرام عليكم..

٤- إن الجهود واجبة الإحترام في السلم والحرب على السواء «أدب بولس محمد الله ولا يحقون قتلها» (الرعد: ٢٠). وهذا الإحترام الواجب يشمل الصود مع غير المسلمين فلا يجوز تضعضها حتى يفصد معاصرة للمسلمين «وإن استمرركم في الذي عليكم فمر: لا على قوم بكم وسيم نخل» (التوبة: ١٧).

٥- أن الحرب ضرورة خارجة على أصل المودة والسلام بين الناس جميعاً وخروجها هذا لا يخرجها من دائرة القانون وإنما يسل السلوك الإنساني فيها معكم بآداب القبول والضوابط الأخلاقية التي تحكم علاقات الأفراد والشعوب وقت السلم.. وهكذا صال.. قانون الحرب جزءاً من التشريعية.. ولم تعد الحرب نظاماً معصياً يستعصى على كل الضوابط الأخلاقية أو يفلت من قاعدة القانون.. ولا يملك أي دارس القانون الدولي أو للقانون للقرار الآن أن يرى في دخول قانون الحرب داخل دائرة التشريعية لا بداية حقيقية واضحة لنشأة القانون الدولي بمعناه الحديث.

ولكن لهذا كله ملاماً غير هذا المقام.. وحديثاً يتجاوز نطاق هذا الحديث.. وأسجل مع ذلك أن الحالة إلى مثل هذه الحديث تزداد يوماً بعد يوم مع تصاعد الحملة ضد الإسلام والمسلمين والنساع بفرتها يوماً بعد يوم.. وهو أوسع لا يجوز أن نلقت الانحياز عنه بعض التصريحات «قوية».. والصفالة.. الصاعدة من الرئيس بوش أو رئيس الوزراء البريطاني أو بعض



المظنين المنصفين في أوروبا والولايات المتحدة، لقد كشفت هذه الحملة عن موقف تلقائي وسياسي بالغ الخطورة.. يهدد بولوج تصدع مائل في علاقة المسلمين بالآخر المسيحي في أوروبا والولايات المتحدة وهو تصدع لا يمكن تصور آثاره المدمرة على مستقبل الإنسان.. وينتملة المؤتمر الإسلامي.. وجميع المظنين ورجال الإعلام في العالمين العربي والإسلامي أن ينظروا احتوائه قبل أن يتعذر الشدائد ويوقع الحظوظ الكبير الذي تستفد منه سياسياً وحجة واحدة.. يفرعها كل تقارب بين العرب والمسلمين.. وبين أبناء الحضارة الغربية في أوروبا وأمريكا.

مستقبل النظام الدولي..

منذ سقط الاتحاد السوفييتي سلطوا مفاجئاً ومدوا في نهاية الثمانينيات ومنذ سقطت معه.. فساد كذلك.. الدول والأنظمة التي كان يطلق عليها اسم.. المعسكر الاشتراكي.. منذ ذلك التاريخ أدرك القفرون والساعة.. بل أدرك جميع الناس أن العلاقات بين الدول والشعوب دخل مرحلة جديدة تماماً لم يشهد لها مثلاًها بعد على نحو محدد.. ولكن لعل في شأنها أنها لم تعد عسراً أساسياً كان أحد عناصر المرحلة السابقة على «الانهيار الكبير».. في نظام الدولي.. وهو عنصر التسديدة.. Pluralism الذي خلق حالة من حالات التوازن Checks and balances بين القوى صاحبة التأثير الأكبر داخل النظام الدولي.. ذلك أن الاتحاد السوفييتي يلوته وزوته الثاني ومن يغفل عنه وهو داخل معسكر واحد كان أحد طليين كبيرين.. أو قوتين عظميين.. وكان الطلي الآخر يبنّي الحرية السياسية والاقتصادية ويطلق عليه.. في الاصطلاح السائد.. المعسكر الحر.. أو المعسكر الغربي.. فلما اختلى الطلي الاشتراكي بقوة عظمى مؤثرة وانقرض المعسكر الغربي الذي تعود الولايات المتحدة بوصف «القوة العظمى» صار القبول النهائي في جميع القضايا الدولية لهذا القطب الواحد وطراً فغير جوهري على دور الأمم المتحدة في إدارة العلاقات بين الدول والاشعوب.. فصارت قواهاها.. في واقع الأمر وحقيقة.. دابحة إلى حد كبير للقرار الأمريكي وللروية الأمريكية.

وهكذا أصبح النظام الدولي أسير ما يشاح للقرار الأمريكي من احتمالات المتغيرة الصائبة.. والفرد الأتني من الموضوعية والتوسل في الضرورى بين المصالح الأمريكية ومصالح الأطراف الأخرى.. أي أن النظام العالمي في ظل «الطبيعة الواحدة» قد صار باكمه معروفاً بالروية الأمريكية والقرار الأمريكي.. وقد حوصرت الإزوات الأمريكية المتصاعدة في كثير من المواقف على الالتزام ببرجمات متفولة.. بالشرعية الدولية التي تمثلها الأمم المتحدة وما يصدر عنها من قرارات.. كما حوصرت في مناسبات محدودة على أن تأخذ زمام المبادرة وأن تبحث لقراراتها عن غطاء جماعي.. على النحو

كتاب الزاوية



تتمة البيان في تاريخ الأفغان

الشائع أن جمال الدين الأفغاني ولد في قرية أسعد آباد في أفغانستان عام ١٢٥٤هـ، وتوفي في الأستانة عام ١٣١٤هـ.

وربما كان كتابه هذا «تتمة البيان في تاريخ الأفغان» الذي طبع عام ١٩٠١ هـ الكتاب الوحيد الذي ألفه، إذ أن رسالته «في الرد على الدهريين» هي في حقيقتها ردود عن استنساخات تلاميذه.

وفي «تتمة البيان» يعرض الأفغاني لأصول الأفغان وطبائعهم ومعتقداتهم وصناعاتهم ونظامهم السياسي.

في أصل التسمية

إن الفارسيين يسمونهم بأفغان ويعلمون ذلك بأنهم حينما أسرههم (بخت نصر) كان لهم أبين وحتين والأبين يسمى بالفارسية «أفغان» فأطلق عليهم هذا الاسم من ذلك الوقت. وقيل إن أفغان اسم لحفيد (شاول) وهو جد الأفغانيين قسموا باسم جدتهم. وعوام الفرس يطلقون عليهم اسم «أوغان» وهو قريب من الأول والهنود يسمونهم «بشان» وبعض قبائل الأفغانيين كالقيمين «بندهار» و«قرن» يسمون أنفسهم (بشتو) و«بشتان» بالباء الفارسية فيها. وبعضهم كاك «خوست» و«كروم» و«باجور» يسمون أنفسهم (بختو) و«بشتان» بالياء الفارسية فيها. ومن دقق النظر في تقارب هذه الألفاظ يعلم أنها من أصل واحد وأن لفظ «أفغان» و«أوغان» و«بشان» محرف عن «بشتان» و«بختان» و«بشتان» يصح أن يكونا مأخوذتين من «باشقان» وهي قرية من قرى (نيسابور). والواو في (بشتو) و«بختو» المحرف عنه للدلالة على النسبة كالياء في لغة العرب وحذقت مع الجمع تخفيفاً.

الأوروبية الحديثة - هي الأخرى - مواليف مشابهاة وشارك بعضها في الأعمال العسكرية في أفغانستان.. فإن لهذه المشاركة - فيما ترى حدوداً لا يتعدى شجاعتها، وإذا تصور راسمو السياسة وأصحاب القرار في الولايات المتحدة غير ذلك.. فلم يفاوضوا بشصع في التحالف الذي بدلت الطغيان العسكرية في أفغانستان باسمه وتحت مظلة، وهو تصدع نراه أكثر قرباً مما يشوق كثير من المصلين وإن كان مرهونا بطبيعة الحال بتطور الموقف الأمريكي نفسه.

إن جوهر الأزمة الحالية التي يمر بها النظام الدولي، أن القوة الكبرى التي تتحرك فيه قد صارت في ظل الطبيعة الواحدة أكبر من كل إطار قانوني يحكم حركتها، كما صارت تتمتع بحرية في الحركة لم يسبق أن تمتعت بها قوة كبرى في التاريخ.. ولأن هناك أمد بعيد قبل أن يعود القانون من جديد إلى النظام الدولي بنمو الدور الأوروبي، أو نمو القوى السياسية والاقتصادية للصين، وإلى أن يتحقق هذا التوازن لابد من عمل شيء يملأ من الأثر السلبي للأفراد قوة واحدة بإدارة شؤون العالم والتدخل لغايات في جميع قضايا، وهو عمل لابد أن يتخاطب إليه العرب والمسلمون مع سطر القوى الحالية التي تحرص على أن يظل العمل فوق القوة في النظام الدولي، وأن تظل علاقات الدول والشعوب بحكومة طول الوقت بمظلومة قانونية مئمة للقوى العظمى والصغرى على السواء.. ولابد أن تشارك في هذا العمل كذلك جميع مؤسسات المجتمع المدني في تلك الدول بعد أن أخذ دورها يتعاظم يوماً بعد يوم في التأثير على صورة العلاقات بين الشعوب وحكوماتها وصورة العلاقات بين الدول والحكومات.

إن المشكلة الحقيقية في النظام الدولي الفاعل أن التاريخ لم يعرف حلاً جذرياً لما يعاثر على النظام الدولي من خلل جوهري إلا عبر حروب عالمية تنهضي - بعد تضيقات هائلة - إلى هدم النظام القديم والتخلي عنه من جذوره وإقامة تنظيم جديد تعبر عنه وثائق دولية جديدة. حدث هذا بعد الحرب العالمية الأولى وثرت عليه إنشاء نظام عصبة الأمم، كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية وأسفر عن وضع ميثاق الأمم المتحدة وإقامة بنيانها القانوني الذي لا تزال تعيش في ظله، ولذلك فإن التصدى الذي تواجه شعوب العالم في ظل ما طرأ على النظام الدولي من خلل مائل في التوازن فهو السعي لإقامة نظام جديد أكثر عدلاً وأكثر توازناً وادعى لإبرار السلام بولند من باطن النظام القائم دون حاجة إلى حرب عالمية جديدة بين الدول أو بين الحضارات.

هذا هو السؤال الذي تطرحه ويعطرحه كثير من الباحثين ولكنه يظل حتى يومنا هذا لافئاً بلاير جواب. فهل تكون الصدمة «الكبرى» التي تعرضت لها القوة «الكبرى» مدخلاً لإعادة النظر في النظام الدولي القائم دون حاجة إلى حروب جديدة يعلم الله وحده فلعنة تنمها من نماء الأبرياء ولعنة حضارة عالمية انفلتت البشرية في إقامتها مئات السنين وما لا آخر له من جهود العلماء والزعماء والمبدعين من صناعات الحضارة والمصلحين؟ ■



من بريطانيا إلى أمريكا ١٩٥٦ ٢٠٠١

جلال أمين



إن قراءة التاريخ تعلمنا درساً كان يبدو - حتى الآن على الأقل - غير قابل للنكث أو للنقاش. وهو أن التركيز النسبي في القوة العسكرية يمتد دائماً مع المركز النسبي في القوة الاقتصادية



الحالة تصبح القدرة على التحكم والسيطرة على هذه المراكز الخارجية - عن طريق القوة العسكرية، أكثر حساساً من ذي قبل. وإذا بالتصالح الدولي يكون من نصيب من استطاع السيطرة على الأنوار، مهما كانت القوة النسبية للطرفين داخل الجسد.

إن هناك دلائل عديدة على أن الولايات المتحدة تحاول منذ أن نزلت ما بدأ يصيب مركزها الاقتصادي النسبي في العالم من نهوض. إن تستخدم توليفاً عسكرياً كوسيلة لإيقاف هذا التطور وتحويل المسار إلى الاتجاه العكس، وذلك عن طريق التحكم في بعض مراكز ضخ الدم الإنساني في التصاريح الدول المنافسة، وعلى الأخص أوروبا واليابان، والواقعة خارج حدود هذه الدول، فهي تستخدم توليفاً العسكري - دبلوماسياً عليه من علاقات خاصة مع الدول العربية المنتجة للنفط. في القائلين على حجم إنتاج البترول وأسعاره، وبلى في الجولس على منافعه، كما حدث نتيجة لحرب الخليج في أعقاب هجوم صدام حسين على الكويت، كما تستخدم هذا الموقف العسكري للحصول على تنازلات اقتصادية مهمة من منافسها. كلما بارت جولة من جولات تفاوض حول الترتيبات الاقتصادية للعالم.



إن هذا الاستخدام للقوة العسكرية لتحقيق مقاصد اقتصادية ليس شيئاً جديداً، بل هو في الحروب الإستعمارية كانت دائماً صورة من صور هذا الاستخدام، ولكن الأرجح أنه في عصر الدول العظمى بعد الاستعمار معاً بل وضرباً بدرجة أكبر بكثير مما كان في الماضي، حيث يصمم اقتصاد بل دولة من الدول الكبرى أكثر اعتماداً على أي وثى قضى على مراكز خارج حدودها.

ولكن الحال كذلك في ١٩٥٦، ومن ثم اضطرت بريطانيا للانكماش عسكرياً بحدوث أن انكشفت اقتصادياً، أما الولايات المتحدة الآن فهي تحاول أن تستخدم قدومها العسكري كوسيلة أو لف لتعاضدها الاقتصادي، في جريت هذا عدة مرات خلال الثلاثين عاماً الماضية وتحت فيه بمرحلة متوسطة، وهي لا تغفل هذا لحد من عيشة على استمرار صحة ما سبق أن دول عربية في التنمية واقتصادياتها فترتها المتنامية على منافسة الاقتصاد الأمريكي، كما هو الحال في اليابان، بل فضله أيضاً ضد أي هجوم اقتصادي متوقع في المستقبل من جانب دول تشير إلى الدلائل على سرعة نهوضها في مصر خلال خمسين على الولايات المتحدة، وعلى الأخص الصين.

لإدراك أن يقول إنه على الرغم من أوجه القصور المهمة بين حالة الولايات المتحدة الآن وحالة بريطانيا في ١٩٥٦، فلا يجوز أن نستنتج بسهولة أن القوة الحالية سوف تنقضي بحلول أوقات محددة في ظل ما أنتهت به سنة ١٩٥٦ من انكماش لقوة عظمى. فحتى لو كانت هذه هي بداية اقتراب عصر الهيمنة الأمريكية، فلا يرجح أن هذه الهيمنة، بغض النظر عن طبيعتها، تزال فيها أصول كبيرة لم تتركها بعد، بل ولا يمكن حياض التدهور فيها.

المشكلة، وهو أن المركز النسبي في القوة العسكرية يمتد دائماً مع المركز النسبي في القوة الاقتصادية، وأن الدولة التي يمتد فيها ضعف قدر في الاقتصاد كدول إن يمتد فيها أيضاً أو عاجلاً، ضعف قدر في قدرتها على الصمود والحروب والانتصار فيها. وقد كان هذا واضحاً تماماً عندما هاجمت بريطانيا مصر في ١٩٥٦. لم يكن هناك شك في أنها قادرة على أن تهاجم مصر في الحرب، ولكن كان من الواضح أيضاً أنها غير قادرة على الصمود أمام تهديد عسكري من الاتحاد السوفيتي، ولأن تستمر في هذا، فإن ذلك أضعف قدرتها على التحمل الذي كان قبل ما يمكن أن يوصف به هو «الوجوه»، الأمر يبدو الآن مسخفاً تماماً فيما يتعلق بالقدرة العسكرية للولايات المتحدة، إنها رغم ما أصاب مركزها النسبي في الاقتصاد العالمي من نهوض، إلا أن ولا تزال صامدة أقوى قسرة عسكرية، فإذا كان التاريخ يكرر نفسه هذا، فإن علينا أن نتوقع أن التفوق العسكري للولايات المتحدة لابد أن عاجلاً أو آجلاً أن يتحول وتزول مع التطور النسبي لقوتها الاقتصادية، ولتعا هذا من نتائج ظاهرة جديدة تلي يلاحظ على استمرار صحة ما سبق أن تعلمنا من التاريخ، وهو اعتماد القوة العسكرية في نهاية الأمر على القوة الاقتصادية، وقد نشين أن ما كان صحيحاً في عصور سابقة، أو ما يمكن تسميته بعصر «الدولة القوية»، قد لا يكون صحيحاً تماماً في عصر «العولمة».

تلك أن من العتق جديداً تكون القوة الاقتصادية هي العامل الحاسم في نهاية الأمر كما كانت الصالح الاقتصادية الأساسية للقوة العسكرية داخل حدودها القوية، أما في عصر القوة، فقد تعتمد الدولة أكثر فأكثر على مصادر للثروة والتفوق خارج حدودها، فقد اكتسبت القوة العسكرية درجة أكبر من الاستقلال، وتصبح أكثر قوة على حجم المركز النسبي للدول في العلاقات الدولية. بعبارة أخرى، قد يكون الأمر في عصر القوة تشبه بجدية يتفوق على مصدر شيء آخر في الجسم في مركز أو مركز خارج الجسد نفسه، وفي هذه

الصعب على التنبؤ انه ان يقلل هذه الطبيعة الفعالة، ومن ثم لنحاطا جسيما، واركنب لاطحة العصور بالهجوم على مصر في أكتوبر ١٩٥٦. وعندما اضطرت بريطانيا إلى الانسحاب مكررة الجراح من بورسعيد في ١٩٥٧، كانت قد أصبحت شيئا مختلفاً تماماً عما كانت عليه قبل يوليو ١٩٥٦. هناك توجه اختلاف مهم بالطبع بين حالة الاقتصاد الأمريكي اليوم، وحالة الاقتصاد البريطاني في ١٩٥٦، ولكن هناك أيضاً أوجه شبه مهمة. إن من الواضح للجميع منذ فترة لا تقل عن ربع قرن أن الاقتصاد الأمريكي يتراجع بالتدريج في مركزه النسبي في الاقتصاد العالمي باستثناء في المؤشرات التي سبق ذكرها: نسبة الإنتاج الأمريكي إلى إجمالي الإنتاج العالمي، أو نسبة الإنتاج الصناعي، أو حجم الصادرات في مجال التجارة الدولية، أو نسبة الاستثمارات الأمريكية الخارجية إلى إجمالي الحركة الدولية لرؤوس الأموال. وهذا القصور في المركز النسبي مستمر ولا يبدو أن هناك أي سبب قوي للاعتقاد بإمكانية وقفه، فإسبانيا ليست طارئة بل تتفوق بتدريج عميق دور حول أهم محدثات القوة الاقتصادية.

ولكن أمريكا ترفض قبول هذه الطبيعة، وتنصر كما لو كان من المنك وظها ولقها على عكسها، وهي تأمر وتنهض، خلفها وأصفاها، وكأنها لا تزال في وحدها التربعة على عرش العالم، والقدرة على وضع رغبتها موضع التنفيذ، وإن كانت تصر بوضوح على أن يساهم هؤلاء البطالة والكساد في دفع اقتصادها التي نعددها أمريكا دون استثناء في تكليف ما تقره قيام به في العالم.

شي واحد مهم يميز بين الحاليين، حال بريطانيا في ١٩٥٦، وحال الولايات المتحدة في ٢٠٠١، وهو بالطبع القوة العسكرية.



إن قراءة التاريخ تعلمنا درساً كان يبدو - حتى الآن على الأقل - غير قابل للنكث أو للنقاش

من ثلاثة أقران أن التاريخ لا يمكن أن يكرر نفسه بالضبط، ومع ذلك فإن المنك أن يجدد في التاريخ حادثة شبيهة جداً من عدة نواح بما يجري اليوم مما يمكن أن نستخلص منه العبر، ويزيد من فهمنا لما يحدث، بل وقد يجعلنا قادرين على التفكير بالمشاكل.

إذا فلتنظر مثلاً على ما حدث ببريطانيا في ١٩٥٦، أي مثلاً قبل ما من نصف قرن، ومطابقة ما حدث لأمريكا منذ أسبوع قليل.

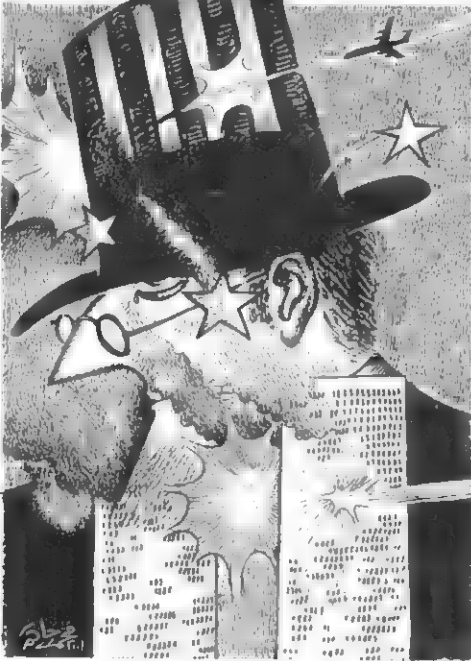
في يوليو ١٩٥٦ استغلت بريطانيا يوماً لتسليم ذلك الخبر الفليب - الفليب بالنسبة لها طبعاً - فإن جمال عبدالناصر أمم قناة السويس وكانت الحكومة الاقتصادية كبيرة وأعلن الإضراب كانت أعظم. إذ كيف يجزئ رئيس دولة صغيرة من دول العالم الثلاث تلت تحت الاحتلال البريطاني هذه ثلاثة أرباع قرن، ولم يكن قد مضى على مفارقة آخر جدي بريطانيا لها أكثر من أسبوع قليل، كيف يجزئ أي اقتصاد لها القدرة التنموية من دور القوة البريطانية؟ كان رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت، أنتوني إيدن، رئيساً لحزب المحافظين، وأرستقراطياً حتى الانقراض، ولم يكن على استعداد بالذات، فلما كان من الممكن أن تنصهر من رئيس حزب العمال مثلاً، إن بديل أن توجه إلى بريطانيا الخنفس مثل هذه الإهانة من دولة إيران. إيدن كان يعتبرها ليست فقط من غلة في الظل، بل وأيضاً من غلة في عدم التصحر.

لا يسع لمرء إلا أن يلاحظ أن هذه قضية بين الضبط الذي عمر عنه أنتوني إيدن والحكومة الإنجليزية في ١٩٥٦، والقضبة التي جبر عنه جورج بوش والأطراف الأمريكية في سبتمبر الماضي، رئيس المصيدة وعدم القدرة على التصديق، والشعور بالإهانة أكبر من أي شعور بالحرر في الخسارة البشرية أو المالية، وتكسب للصمد على الاتفاق الأوربي والمطاب والراج، وتكسب التنمية للعالم المتخضر، كن، وتكسب الإلزام للزعة العسكرية والتفصيلي، كن، وتكسب التخلف، بل وتكسب التفكير بتهار (وإن كان هذا قد جاء من إسرائيل) والتقدير من الصلوات في الزواجر (أو عبدالناصر) كما سبق أن سكتت بريطانيا على فكر فؤاد مصرية.



كانت بريطانيا في ١٩٥٦ في موقف لا حصر عليه، وكذلك أمريكا الآن، من عدة نواح. كانت بريطانيا قد خرجت قبل سنوات قليلة منحصرة في الحرب العالمية الثانية، ولكن انكسارها كان شيئاً مرموقاً وبديها نقيض، وكان من الواضح للجميع أن مركزها النسبي في الاقتصاد العالمي، سواء إذا لم ينعصها في إجمالي الإنتاج العالمي، أو إجمالي الإنتاج الصناعي، أو بتعبير آخر، بصرفها في مجمل التجارة الدولية، أو نصيب استثماراتها الخارجية في حركة رؤوس الأموال في العالم، أخذ في الانخفاض بسرعة. كانت كل الدلائل في منتصف الخمسينيات تدل على أنه إن مضى وقت طويل حتى تتحول بريطانيا العظمى، التي حكمت حتى وقت قريب امبراطورية لا تطرب عنها الشمس، إلى دولة كيبالية الدول، قد تغل لفترة عام أو قرون من دولة كاسويد أو لندريج، ولتفاجأ أن تكون لها مكانة أو قوة الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي، كان من

أيمن كان المخطط؟



ال «سي آي إيه» وفشل الاستخبارات الأمريكية

سليمور هيرش

■ بعد أسابيع من التحقيقات التي تجرى على مدار الساعة بشأن الهجمات التي وقعت على مركز التجارة العالمي والبنكاجون، لا يزال مجتمع الاستخبارات الأمريكي يعاني من الارتباك والانقسام وعدم اليقين بخصوص الطريقة التي ناط بها الإرهابيون عليهم، وكما كان يحدثهم، وما قد يقومون به مستقبلاً. وذكر مسؤولون حكوميون أن عدم وجود هذه المعلومات الوليفة كان العامل الأساسي وراء قرار حكومة بوش بتأخير إصدار الكتاب الأبيض للوعود الذي يتضمن الأدلة التي تربط بتنظيم إسماعيل بن لادن بالهجمات.

وهناك إجماع داخل الحكومة بشأن فضيحة: فقد خلطت الهجمات الإرهابية وكلفت بأمر كبير من الذكاء والفريق، ولم يكن مجتمع الاستخبارات مستعداً بدرجة كافية من المصير لمفاجئها. وذكر المسؤولون أن أحد الضحايا البعيرين قرأ ملهين قد يكون جورج ثينيت مدير وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه)، الذي يعتبر كليليرون في الحكومة استغاثته أمراً محتوماً. وقال لي مسئول رفيع المستوى: «إن الفيلام لاحقاً ثينيت. فهو يريد التخلص منه».

والخلافون منقسمون في الوقت الراهن إلى فريقين: الفريق الذي يشكك في مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) يعتقد أنه ربما لم يكن الإرهابيون - مجموعة مناصرة - كما وصفهم أحد المشاركين في التحقيقات. قبل أن يبدأ التدريب والعمل معاً من أجل هذه العملية. كما قال إن «هؤلاء الرجال نشيطون فريق كرة سلة جرى تجميع أفرادهم قبل المباراة. فهم حلفاء من الرجال ثلثوا معاً». ومازال مكتب التحقيقات الفيدرالي يحاول تحديده هويات المخططين وخلفياتهم، والحقيقة كما يعترف بها هذا المسؤول هي: «إننا لا نعرف الكثير عنهم».

ويشك هؤلاء المخططون أن يكون الفريق الانتحاري مخططاً وخسب، وتساءل ذلك المسؤول: «في أكثر أحداث غريبة، هل تعتقد أنهم كانوا ينفذون أنهم هادرون على إنجاز أربع عمليات اختطاف؟» وأضاف قائلاً: «إن الاستحالة على طائرة واحدة والهبوط بها على الأرض بعد نجاحها. ولا وجود للإنسان الضاري (السوبرمان)». وأوضح المسؤول أن أهم ميزة تمنع بها المخططلون، إلى جانب عنصر المفاجأة، هي التاريخ: ففي الماضي كان الحال ينتهي بالمخططلين سائمين على الأرض في أحد مطارات العالم الثالث، ولذلك نرب الظهور على أن يتعاونوا.

أما الرأي الآخر الذي يخرق في البنكاجون ووكالة الاستخبارات المركزية فيرى أن المخططلين أعضاء سنوات في التخطيط والتدريب قبل العملية. على أن تعقب تلك حملة

تضليل متعددة. وقال أحد المسؤولين إن «هؤلاء الرجال كانوا فوق مستوى أجهزة إدار الجميع - إنهم مشرفون. لم يكن هناك أكثر من خمسة أو ستة أفراد في نظرية الواحدة. ثلاثة يعرفون النخلة، والثلاثة الآخرون لا يعرفونها. لقد كانوا تأملين هناك منذ سنين وستين». وذكر لي مخطط عسكري أن كثيرين من زملائه يعتقدون أن الأزهاسيين «هبطوا إلى الأرض ولطمسوا أسلاك التليفون، قبل الحادي عشر من سبتمبر بكثير. وهو ما يعني أنهم أخذوا آثار انشغلهم. وهناك اعتقاد على نطاق واسع بأن الأزهاسيين كان لهم فريق مساعد، ويُنظر إلى هدم ثمن مكتب التحقيقات الفيدرالي من تشييع آثار المتمردين الذين حُلّقوا في الولايات المتحدة على أنه دليل آخر على التخطيط للحكم. وقال شخص على صلة بالتحقيقات إنه «لو كان الأمر من البساطة والوضوح بحيث يمكن إعداد عملية غريبة لن تمكّن، لما نثرت بقوى الارتباك بالصورة التي نثرت بها».

وبعد الكثير من المخططين أن العلور على بعض الأدلة المبدئية التي جرى الكشف عنها بخصوص هويات الإرهابيين واستعداداتهم، مثل كتب العميران، كان مستعداً، وأبذلني مسئول سابق رفيع المستوى في الاستخبارات أنه «لها ما كان البديل الذي كُرف لهدم عمداً» لكي يجرى وراء مكتب التحقيقات الفيدرالي. وفي مقابلات أجريت على مدى الأسابيع الماضية، أثار عدد من مسؤولي الاستخبارات أسئلة حول قدرات بن لادن. فقد قال أحدهم بوكالة الاستخبارات المركزية: «إنجيلس هذا الرجل في كهف من كهوف أفغانستان ويدير هذه العملية؟ إنه أمر شديد الشكامة. وما كان له أن يقوم به بفرده». وأخبرني ضابط كبير بالجيش أنه بما أن تقارير الدخول وغيرها من الوثائق لازمة لتسريب أفراد الفريق إلى داخل الولايات المتحدة، فقد يكون هناك جهاز استخبارات لجيشي كبير شارك كذلك في العملية. وأضاف المسئول قائلاً إنه «لكي تجعل شخصاً ما يقوم بظرفة» لكي يقتل نفسه. فلا بد أن إنساناً ما دفع له عائلته مبلغاً ضخماً جداً من المال».

وقال لي مسئول بوزارة العدل إنه «ليس بالضرورية أن يكون هؤلاء الناس جميعاً من طرف بن لادن». وأضاف أن مكتب التحقيقات الفيدرالي لا يزال غارقاً في بحر من المعلومات. ثم قال: «ما زلنا نتفحص الكثير من الأشياء». وفي الثالث والعشرين من سبتمبر قال وزير الخارجية كولين باول في مقابلة أجريت معه: «سوف نضع أمام العالم والشعب الأمريكي قضية بظفة». كما أوضح أن بن لادن مسئول عن الهجمات، إلا أن المسئول بوزارة العدل ذكر أن الكتاب الأبيض المختار قد لا ينتشر لعدم وجود حقائق قوية، وقال: «ليس هناك ما يكفي لإتمام الأمر».

وبررت الحكومة التأخير بما يليخته للصحافة من أن معظم المعلومات مستنيرة ولا يمكن نشرها إلا أن مسئولاً كبيراً بوكالة

يعتقد الكثير من المحققين أن العثور على بعض الأدلة الميدانية التي جرى الكشف عنها بخصوص هويات الإبراهيميين واستعداداتهم، مثل كتب الطيران، كان متعمداً. وأبلغني مسئول سابق رفيع المستوى في الاستخبارات أنه: «أياماً ما كان الدليل الذي تركه قد ترك عمداً، لكي يصير وراءه مكتب التحقيقات الفيدرالي».



المحققين، حسب معلوماته، وأعطوا على الكلام قبل أن يصاب أي من أفراد عائلته بآذى. وفي بداية التسعينيات، أصبحت الجماعة باقشاً بسبب الانشقاق الداخلي ولم تعد متفككة إرهابية ذات أهمية. (ويعتقد أن أبي نصر، وهو الآن في العبد السابع من عمره ويحيا في معتقل سجنه، يعيش عيشة هائلة في مصر). وأضال المسئول أن الأيمن هي الدولة التي تبحث نجاحاً ثامناً في اختراق الجماعة. هليلك أن تسبيل على عائلات أفرادها.

وهذه الإجراءات تفتاحها مع القاعدة الفلسطينية الأمريكية، وأساليب وكالة الاستخبارات المركزية، ولكن المسئول أصر أنه عندما يتعلق الأمر بإسامة بن لادن والمتواطئين معه فما من بديل سوى ذلك، كما قال. نحن مضطرون لذلك - أن نوقعه الواحد تلو الآخر. ليس نحن جادين بشأن القضاء على المشكلة، بل نحن ضياء إليها ما نطلق من ورائه؟

ويعد خمسة أيام من الهجمات، دافع نائب الرئيس بدو تشينسي عن مدير وكالة الاستخبارات المركزية جورج تينيت على شانه التفتريون لأن: إن الأمر سيصبح مأساة، إن نحن بحثنا عن - كجاش اداء. وأضاف الرئيس بوش بعد ذلك بادرة تأييد بزيارته مقر وكالة الاستخبارات المركزية. وفي مقابلة أجريت مع أحد كبار المسئولين بالوكالة الأمريكية الخاصة على عقد كل تينيت، بعد ما قال: «نخوف من هناك انتقادات كثيرة بعد ما جرى، إلا أن الناس لا يفهمون المنظور التي ورها جورج. هليلك لا يمكن أن تشترق كلمة تضم صمد رجال عندما يكونون أسود وخوفاً عم - مهما كان مقدار ما تعوله من أورو». ورغم اعتراف المسئول بعدم الرضا الشديد عن اداء وكالة الاستخبارات المركزية، فقد قال إن «جورج لم يلق أي كلام خلاف لغة الرئيس الشامة فيه، وألا يمكن أن يستقبل جورج في وضع كهذا».

ومع ذلك فقد أبلغني مسئولون آخرون أن أيام تينيت معدومة. إذ قال لي أحد المسئولين إنهم «اليدوية في سيجلة أي الخروج. وهو بائول إن يحسب المسألة - إما الخروج بدهو أو جعل الأمر يبدو وكأنهم فصول». وفسر أحد مستشاري البيت الأبيض تأييد تينيت الهلتي لتينيت بقوله: «في واشتغل بطعنت أمد لاؤك نالما في الصدر. فلا بد أن يلقى اللوم في ذلك على شخص ما». وأضاف أنه يرد أنه «بعد فترة مناسبة - أي حينما يحصلون على بعض الفتور بشأن المشكلة - سوف يرسل. وسمعت أن هذه الفترة تتراوح بين ثلاثة وسبعة أشهر. بل إن أحد مسؤولي تينيت القريبين قال لي إنه «بات في خير كان».

وقد أضر موقف تينيت أكثر، بعد الحادي عشر من سبتمبر. ما تبدت أنه سلسلة من الانتقادات العلنية بشأن فاعلية مركز مضاهة الإرهاب التابع لوكالة الاستخبارات المركزية، الذي أنشئ سنة ١٩٨٦ في أعقاب موجة من

وقال بيتر الجاصل على وسام العمل الاستخباراتي بعد استقالته في أواخر ١٩٩٧: «قد لا تصدق مدى سوء الحال، الذي لقد أبيت الأيمن من المرحلة ٩٣ - الظفرة التي سبقت في بنسلفانيا - مجموعة من لأيمن الرجبي. هل هذا ما تدفع ثلاثين مليار دولار من أجله؟ وكان يشير بذلك إلى الميزانية الفيدرالية الخاصة بالاستخبارات، ولم يدهش هو وزملاؤه من مكتب التحقيقات الفيدرالي لم يتفق تخذيراً من الهجوم. وقال أحد رجال وكالة - المكتب رافع مع الهجرام بعد أن تركت. ولعنه لا يجيد الاختراق. ولابد أن نلوم نحن به».

واليوم ليس لدى وكالة الاستخبارات المركزية ضباط الحالات الموهوبون في بيدروا مراكزها وقواعدها الكثير في أنحاء العالم. وقد أعيد أنشأ من معملها المتقاعدين على أساس تناوبي على يتولى مسؤولية قاعدة صغيرة في كراتشي باكستان، وهي نقطة مسجورة بالنسبة للنشاط الإرهابي. (كانت كراتشي المكان الذي قتل فيه سنة ١٩٩٥ - أمريكيا) أحدهما سوفي في وكالة الاستخبارات المركزية، مع عدم الانقسام من إلقاء القبض على رمزي أحمد يوسف في باكستان). كما يدير عميل متقاعد مركزاً آخر لوكالة الاستخبارات المركزية في دكا بميتلاباد، وهي دولة مسلمة يمكن أن تكون معملها للمجندين ويدير كذلك متقاعدون آخرون مراكز في أفغانستان.



والسؤال الصعب هو ما لدى الذي ينبغي أن تصل إليه وكالة الاستخبارات المركزية، وفي مقابلة مع اثنين من ضباط العمليات السابقين ذكرنا التفتريون التي استخدمها جهاز الأمن الأمريكي في مساهمة الناجح للإطباع بابي نصرال. الذي كان يفرض ما كانت تعرف وأهنا بانها «أخطر متفككة إرهابية في الوجود»، حسبما قالته وزارة الخارجية. وكانت جماعة أبي نصرال معروفة بدورها في هجومين مدميين بالدافع الإرشاد والقتال على مكاتب مراجعة الركاب التابعة لشركة الطيران الإسرائيلية الحال في طازري وروما وفيينا في ديسمبر ١٩٨٥. وكان أبو نصرال يهدف حياة عامل الأمن الملك حسين - الذي كان يطلق عليه الملك الفرم - وكان رد ذلك عليه. طبخاً لا نكره ضباط الاستخبارات السابقين - هو إن قال لجيش الأيمن: «هاؤوه». ولم يتحرك الأردنيون مباشرة في أنحاء لنهم في نفي شمال، وألا لكون القبض على أفراد عائلته القريبين - الأمهات والأخوات. وإعني التوصل إلى التهم التي شمال وأعني تقيفوا وظل من أن يعمل بانه التي قتلت له. حسب ما رواه أحد رجال وكالة الاستخبارات المركزية: «يا بني، سوف يهضمون ما لم نلعل ما يظنون منه». وأضاف المسئول بدعة إن كل

ذلك تعتمد الوكالة على علاقات الاتصال - وهي التقارير التي ترد إليها من أجهزة الاستخبارات وأجهزة الشرطة المدنية في أنحاء العالم - وعلى أنظمة جمع المعلومات الفنية. وأيس من السهل إعادة العملاء من جديد إلى الميدان. خلال الحرب الباردة، كانت لهم مهام وكالة الاستخبارات المركزية في تجنيد جواسيس من داخل السلكين العسكري والديبلوماسي في الاتحاد السوفيتي. وكان عملاء الو وكالة يتكفون بإعجل بأخبارهم موظفين ديبلوماسيين أو تقنيين في السفارات الأمريكية في المدن الكبرى. وكان الكثير من عملهم يمكن إبداء في السجلات الديبلوماسية وغيرها من المناصب الاجتماعية. وبالنسبة للعمل الذي يعمل تحت ذلك الغطاء، لم تكن عافية اكتشاف أمره تزيد في العادة على طرده من الدولة المضيفة وإعادة تقيفه مؤثلاً بالعمل المكتبي في واشنطن. أما اليوم ففي أفغانستان أو أي مكان من الشرق الأوسط أو جنوب آسيا، فإن عميل وكالة الاستخبارات المركزية لا بد أن يتجسس بالصفة المخفية ويكون قادراً على الاختلاط بالناس، ويتفقد الأيدي على العميل إن له علاقة بالأمريكيين أو بالسفارة الأمريكية، أو كانت هناك سفارة. ويعرف هذا الوضع داخل الوكالة باسم «الغطاء غير الرسمي». واكتشاف أو العمل لا يعني الموت.

ولم يحصل على لاجوء لكل هذا الضابط المحدث الذي يعمل اليوم داخل الدوائر الأمنية الإسلامية. في مقال نشر العام الماضي في «أطلانتك منطقي»، ترقول رول مارك جريشت. «هل عمل ذلك عشر سنوات تقريباً ضابط حالاً يقسم الشرق الأوسط الأيمن بوكالة الاستخبارات المركزية. من أحد رجال الوكالة لوله - إن معظم ضباط الحالات بوكالة الاستخبارات المركزية يلعبون في ضوحي فيرجينيا. إننا لا نلوم بهذا النوع من العمل». وقال ضابط آخر لجرشيت إن «العمليات التي تنطوي على الإسبال كاسلوب حياة لا تحدث». وفي الوقت ذاته أفسرت إدارة العملية ضرراً بالغاً من جرده سلسلة من الاستقالات والفتاعات بين أصحاب المناصب السياسية، بمن فيهم أربعة رجال اسماؤهم غير معروفة كثيرًا للجمهور. ولكنهم كانوا يلقون احتراماً كبيراً داخل الوكالة. وهم وولاس سميت، الذي اضي واحداً وثلاثين عاماً في الجهاز السري؛ ووليام أو لفرين، الذي كان قد تقاعد سنة ١٩٩٦ رئيساً لقسم وسط أوروبا؛ وديفيد ماتز، الذي كان رئيس مركز في عمان بالآردن عندما ترك الوكالة سنة ١٩٩٨؛ وروبرت بيتر، الذي يتحدث العربية وربما كان يعد تفصيل ضابط ميداني في الشرق الأوسط. وقد غادرو جميعاً الوكالة ولديهم إحساس بالمرارة بسبب استبقاها على إدارة الاستخبارات السرية. وقال لي ضابط سري سابق: «ن لن نل فضيحة الإرهاب إلا بعد أن نمدد تشكيل إدارة العمليات. وخذ النضاج الأول وأهم خطوط الدفاع هو الاستخبارات التي تقوم بها بشرة.

الاستخبارات المركزية أكد في الأسبوع الماضي أن مجتمع الاستخبارات لم تتكون لديه جند كمية كبيرة من المعلومات الأولية بشأن عمليات الإبراهيميين وتخطيطهم وتخليطهم. وأضاف المسئول: «سوف نلهم في يوم من الأيام، ولكننا لا نلهم شيئاً في الوقت الراهن». وأضاف هذا المسئول: «بالنسبة لي فإن الفلج شيء هو أن هؤلاء الرجال - الإبراهيميين - حصلوا على الأولى مجاناً. لقد كانوا يعرفون أن أسلوب التفتريون المخابراتي في خطف الطائرات هو اللعب من أجل المصلحة على أضافهم هذا المسئول: «بالنسبة لي بعد ذلك سيخسب الأمن على الطائرات التي حد كبير. ولذلك فهمنا كان ما خطفوه من أجل التهمة القتالية. لقد كان كل شيء أمامهم في موضعه الصحيح».

والخوف من وقوع هجوم ثلث أمر وده آخرون يشاركون في التحقيقات. وفي الوقت الراهن يشك البعض في مكتب التحقيقات الفيدرالي في أن الإبراهيميين يطيعون خطة خربية وضعاها المتأمر الثامن رمزي أحمد يوسف. الذي يعتقد أنه كان العقل البشري لتفجير مركز التجارة العالمي سنة ١٩٩٢ وكان يوسف مشاركاً في الخطط التي كانت تطلب ضمن ما تطلب به، بإطلاق السموم في الجو وتلجسير الأنفاق التي تربط نيويورك بنيو جيرسي. وكانت قضية يوسف وراء زيادة مخاوف الحكومة من التهديد المحتمل من ضاحكات تلك الضحايا الخطرة.

وطرح جنرال كبير مسؤولاً استخبارياً هو: «هل سيقومون بعمليات كيميائية بيولوجية على عام أو عامين أو ثلاثة أعوام؟ يجب علينا الآن إجراء تحول صعب من الاعتماد على فرض القائلون إلى شن هجوم وقلبي. وهذا أمر صعب. إذ لا يمكننا تجنيد ما يكفي من الأشخاص الكفاءه - كما قال - في السنوات الأخيرة كما نولف أولاد من خريجي الجامعات المعاصرة في استخبارات الكمبيوتر. أما هذا الأمر فيقتضي العودة إلى العمل القلبي الصعب، مع وجود انخفاض لثواء بهيوسون في أعناق الموارى المثالة ويتمتعون بقدرات جيدة».



إن وكالة الاستخبارات الحالية لا يعتقدنا القيام بهذا العمل. فعند انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١ والوكالة تزداد بيروقراطية وعدد استعدادها للخطارة، وهي ترى الضباط الذين يشاركونها هذه القيم. (ويطلق ضابط سابق إنه «الوحي باتوجه»). وهي تكلل بإطاره اعتمادها على الاستخبارات التي تقوم بها بشرة في الخارج وتخفت أعداد ضباط الساتر في الخارج - ولهم أعضاء الجهاز السري الذي يعرف رسمياً الآن بمباراة العمليات ومهمهم تجنيد الجواسيس. (وكان يسمى من قبل إدارة «الحيل المذرة»). وبدلاً من

أين كان الخطأ؟

التفجيرات واختطاف الطائرات وخطف الأفراد في أثناء الملاحم، وكانت الفكرة وراء ذلك هي تجميع الخيما من كل هيئة شرعية أمريكية، بما في ذلك المباحث، في مركز التدمير، يقوم بتنسيق المعلومات الاستخباراتية الخاصة بالأرهاب، وفي أكتوبر ١٩٩٨، وبعد الإضراب إلى أربعة رجال على صلة بين لادن على أن لهم دوراً في التفجيرات التي وقعت في المصالحين الأمريكيين في تنزانيا وكينيا، قام صحفيون تابسون مجلة «نيوزويك» بجولة في المركز، ذكرت، «نيوزويك» أن الاتهامات، كان يهدم بها أن تكون رسالة واضحة إلى بني لادن وأتباعه الهاربين: وهي أن الولايات المتحدة تعرف حقيقتهم وأين هم، وللمسة الطريفة التي تعاونت بها وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وكافا في يوم من الأيام خصمين بين فرطيين لدودين: للإفراج بشبكة بين لادن المروءة حكينة من مكبات أحدث ما توصل إليه في تعقب الجنحة، وليست سوى مجرد ضربة حظ.



ولكن الواقع أن مركز متفادسة الإرهاب لم يكن مصراعاً له بتفديد العملاء في الخارج أو التعامل معهم، فقد كانت تلك مهمة إدارة العمليات ومراكزها في الشرق الأوسط التي كانت لها أولوياتها، وحري بتدعيم مركز متفادسة الإرهاب بالأيدي من الأموال والتزيد من الطاقة البشرية بعد تفجير مركز التجارة العالمي سنة ١٩٩٢، ولكنه ظل وحيدة خطط لوران ليس محالوياً من ضباطها أن يكونوا خبراء في اللغات الأجنبية، وأبغني الفغير من رجال وكالة الاستخبارات المركزية، التي تتناول رغم كبر مكانة مركز متفادسة الإرهاب على هامش العمل فيه يتم بناءه على اختصار أي ضابط صغير أو طوط من ضباط إدارة العمليات، فقد كان مركز متفادسة الإرهاب ومركزان آخران من مراكز الاستخبارات الكبيرة، التي تتناول قضايا الاختراقات ومنع اختطاف الأسلحة النووية، مستندة طاقاتها على قدر كبير لمجهودات يرى المخططون المجهزون أنها تحول دون أدائها، ولموظفيها، وذكر مدير كبير تقاعد مبكراً، وكانت مهمته الأخيرة في إدارة أحد هذه المراكز أنها «مجبوراً» تتخارب فيما بينها، وليس هناك تركيز على الضحايا.

وفي سنة ١٩٩٦ اختير روبرت بير، وكان ضابط حالات وصل للحد من التروطم، ليحل محل مركز متفادسة الإرهاب، بعد شهور قليلة من إنشائه، وكان صاحب الاختبار مدمر دوان (رايو) كارلديج، وتصور مسودة مذكرات كينيا بير وتشترها دار كراون هذا الخريف ما حدث بعد ذلك:

كانت الأشهر القليلة الأولى أشد ما تكون إثارة بالبنية للدخول في عالم الجاسوسية، وكانت لدى ديوي الأسطة لكل يعلم ما يشاء بالأرهابيين، وكان لديه ما يريد من المال... ولكن لم يعض فطويل حتى أتت سياسة الاستخبارات على كل ما أراد ديوي أن يفعله. كان الأمر ينطوي على قدر كبير من المخاطر، وكانت العملية الفاشلة - أو حتى الناجحة - تخضع إحدى الحكومات الأجنبية الصديقة، وكان البعض يظن من مقصده المربح، بل كان البعض صمير للخطر...

قد تطلب من مركز وكالة الاستخبارات المركزية في بون تجنيد عدد قليل من العرب أو الإيرانيين لتعقب الجالية المهاجرة الشرق أوسطية في ألمانيا الغربية، فيما لبى الرد بأن ليس لديه ما يكفي من الضباط، وقد تطلب من بيروت أن تقابل عميلاً مديناً مسافراً إلى لندن، ففرض بسبب مشكلة أمنية ما، لم يكن الأمر سوى إغراق روتيني، ولكنه خرب كل ما حسي ديوي إلى خطفته، وبعد ستة أشهر، استطاع ديوي أن يضع يده على اثنين فقط يتحذران الغربية، أحنا وشماط آخر، واشتكي كثيرين من مجتمع الاستخبارات، أثناء محادثاتهم معي، من الشكوى من مدى صعوبة العمل مع إدارة العمليات، حتى في وقت الأزمة، فقد قال لي كير كبير سابق، إنه «لكن تعجب على مشكلة ما إدارة العمليات، لا بد أن تكون داخل إدارة العمليات»، وبالمثل تمكن مرابط برلماني لوكسالة الاستخبارات المركزية من إبراز سلطة إدارة العمليات والفير والراية، فقد قال إنه «لكن نتجح كمصير للاستخبارات المركزية، لا بد أن تغرب لإدارة العمليات، وتكونت في مصمدا

استخباراتية أخرى أن مؤامرات إدارة العمليات أدت في وقت من الأوقات إلى صراع مع وكالة الأمن القومي بشأن من الذي يسيطر على جهاز جمع المعلومات الخاص، وهو مشروع مشترك للوكالات ينشر فرق التحصين الإلكترونيين في أثناء العالم لرمس الاتصالات الديبلوماسية وغيرها من الاتصالات في أوقات الأزمات، وعادة ما تدار عمليات جهاز جمع المعلومات الخاص شديدة السرية، التي أفرت بعض نظم معلومات الحرب الباردة، من مبالغ مأمونة داخل السفارات الأمريكية، وكانت الكفاءة والتقدم يعولهما قدر كبير من التشاجر، وليلغني رجل عسكري شارك عام ١٩٩٨ في عملية جمع معلومات استخباراتية من خلال الإشارات اللاسلكية في الشرق الأوسط أنه لم يكن يمكنه متابعة النشاط مع مسئلي وكالة الاستخبارات المركزية ووكالة الأمن القومي في وقت واحد، وقال ذلك الضابط: «كنت ألقى بأحدهما في منزل مأمون في لرجينيا، وتخذ



فترة راحة للعداء، بعد ألتقي بالأخر، فما كنا ليمواجدان في غرفة واحدة، وإذا لم تؤد الأزمة الحاصلة إلى إصلاح الوكالة، فإنه من غير المحتمل أن تقدم لينا الاستخبارات في مجلس النواب والتشيوخ أي عون، وقد ألتقي لوفيجين وسميث وماتون وبير وغيرهم صرلاً مع أعضاء المجلس ومع العاملين معهم وقدموا وشهادتهم أمام الكونجرس في مسعى منهم لإحداث تغييرات، ولكن شيئاً لم يحدث.

وليس مستغرباً أن كلاً من الديمقراطيين والجمهوريين لديهم نفسيات مختلفة للخطأ الذي وقع، فقد ذكر أحد العاملين الجمهوريين بالجنة أن السناتور

ريشارد شيلي من الأيما، الذي كان رئيساً للجنة حتى تولي العام الحالي، أفرد أن المشكلة تكمن في قيادة الوكالة، كما قال إن «أدينا رجالاً في الميدان لديهم لفتار غلبية لا يكون دعماً من الأسماء»، وأضاف أن أحداً من كبار الديمقراطيين لا يرغب في إحراج المدير جورج ثينيت من مارين إجراء بحث أو عقد جلسات استماعاً للتحقيق في اكتشافات العميدة، وكان

ثينيت قد اصغى سنوات في العمل مع الديمقراطيين ضمن المصالحين بالجنة، وخدم كعضو في مجلس الأمن القومي وفي حكومة كلينتون قبل أن ينضم إلى فريق إدارة وكالة الاستخبارات المركزية.

إلا أن أحد الديمقراطيين يلقى باللوم على «سير العمل داخل لجنة مجلس الشيوخ، التي قال إنها تهمل الإرهاب لصلحة القضايا الأكثر شحنا من الناحية السياسية»، كان ثينيت يبلغ عن بن لادن منذ سنوات، ولكن لم تكن من التنظيم بحيث نفع في اعتبارها التهديدات التي تنمرضها في الولايات المتحدة، إننا نجرى وراءه ما نديمه نشرات الأخبار في الوقت الراهن.

والسناتور السابق يوب كيري من نبراسكا، الذي خدم أربع سنوات كبيراً للأعضاء الديمقراطيين في اللجنة ويعمل حالياً رئيساً للمرسة الجيدة بيبوديور، هو أحد اللامعنين عن ثينيت، إلا أن كيري يعترف كذلك بأنه لم

يعد يعرف «مدى إجادتنا عملياً، الخاص بالصور التشريعي، ولا يمكن لأحد أن كان أن يتجنب من هذا، لقد فائنا هذا شيء ما»، ومازال كيري غاضباً بشأن سياسة الولايات المتحدة تجاه أفغانستان في السنوات التي تلت هزيمتها لاتحاد السوفيتي، فقد قال كيري: «لقد انتهت الحرب الباردة وأغلقت أفغانستان»، أي أوقفنا كل العمليات الاستخباراتية فيها، ما حدث منذ بوش إلى كلينتون واحد من أكثر قرارات السياسة الخارجية الأمريكية إثارة للارتباك، وهو مكل فيضام في سبوتة، وقد تحدث عن مؤامرة لفتلة قامت بها وكالة الاستخبارات المركزية سنة ١٩٩٦ للإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين، «ولمنا كذلك بعملية عراقية غير مستقلة التفتيح، فكنت بذلك إشارة إلى أننا لسنا جادين».

وفي شهر يونيو الماضي، أبلغ شيلي منسوب الواضطن بوس، يعد جولة في الخليج العربي وسلسلة من الإشارات الاستخباراتية، أن بن لادن «هاب، وأظن أنه سيظل هارباً، لأننا نكل ولن نمل، ومضى يقول: «لا أفن أنه يعتقد القول بأنه على أدينا، لما اعتقد أن يديه مظلومان أكثر»، إلا أن شيلي كان يعد التفجيرات بن لادن في وقت عدا أن الوقت قد حان لكي يرحل ثينيت، فقد قال لصحيفة يو إس آيه توداي: «أفان أنه رجل طيب، وأنه فعل بعض الأشياء الطيبة، إلا أنه كانت هناك مرات أكثر لأفني فيها خلال الفترة التي اصمعا في مقصبة، كما قال إن ثينيت تنقصه للكانة التي تجعله يسيطر على كل الوكالات، فهو من ناحية يحصل المسؤولية، ولكنه في واقع الأمر ليس مسئولاً».

ويقول مسؤول كبير وديل لتسنيته إن رفضه دفع قيادات مجلس الشيوخ إلى التعامل مع القضايا الصعبة كان عرضاً لشكته كمدير لوكالة الاستخبارات المركزية، وقال ذلك الشخص عن ثينيت إنه «سياسي كذلك، وهذا هو السبب في أنه لا يطيعي له أن يكون في هذا النوع، لقد ليست له تلك الكانة التي تجعله يقول لأعضاء مجلس الشيوخ إنكم لا تعرفون ما تحدثون عنه».



ويصف روبرت بير في مذكراته «الوكالة الفلكة التي ألت برغز ياريس التابع وكالة الاستخبارات المركزية في أوائل التسعينيات فضلاً عنه، ولم يكن ضباط المصالح يتجنون عملاً جيداً، وكان العملاء المسجونون بالفعل متقدمين في العمر، وكانوا قد ألقوا انصالاتهم، ولم يكن يسدون أن هناك من يهتم، وصدم كثيرين في الوكالة في أوائل ١٩٩٢ عندما أبلغ مفلون بيرد برين رسم شرق أوروبا والأفغان السوفيتي، وأمام ذلك بدور كبير في دم وكالة الاستخبارات المركزية للمفردين الأفغان في الحرب الوحشية بعد أن انداد السوفيتي، مكرزة في الخارج أن روسيا سوف تعامل الآن كأي دولة صديقة أخرى مثل ألمانيا وفرنسا، ولم تعد وكالة الاستخبارات المركزية تقوم بتجنيد عملاء للتجسس على الروس، كما ألفت قرارات المراقبة بوكالة الاستخبارات المركزية ورفعت أجهزة التفتيش من أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا، وأل مسئول متقاعد:

قال أحدهم بوكالة الاستخبارات المركزية:
«يجلس هذا الرجل في كيف من كهوف أفغانستان ويدبر هذه العملية؟ إنه أرشد الضخامة، وما كان له أن يقوم به مقدره»

كتاب الزاوية



مذهبهم ومعتقداتهم

وجمع الأفغانيين سِتُون متعديون بمذهب أبي حنيفة لا يتساهلون رجالاً ونساءً وحصريين وبدويين في الصلاة والصوم سوى طائفة (نوري) فإنهم متوغلون في التشيع ولهم محاربات شديدة مع جيرانهم السنيين ولا يبالون بالصلاة والصوم وإنما يهتمون بأمر ماء الحسين (رضي الله عنه) في العشرة الأولى من المحرم ويسربون ظهورهم واكتفائهم بسلاسل مكشوفة.

والأفغانيون مع شدة تعصبهم للدين والذهب والجنس لا يعارضون غيرهم في حقوقهم ولا يتحاشون عن أن يروا شيعياً أو غير مسلم يقيم مراسم دينه ولا يمنعون المستحقين منها من نيل المراتب العالية في حكومتهم. فإنك ترى أرباب المناصب في البلاد الأفغانية من الشيعيين (القرل باش). وكل أفغاني يزعم أنه أشرف الناس لكونه أفغانياً ولو كان فقيراً وأنه لا يوجد الإنسان الكامل والإسلام الخالص إلا في جنس الأفغان والعرب. وكل قبيلة إذا أرادت أن ترم امرأة قتلاها أن يجتمع أمراؤها للمشورة وتسمى هذه الجمعية عندهم بجره. وإذا قتل أحد من قبيلة أحد من قبيلة أخرى فكل فرد من أفراد قبيلة المقتول يرى أنه من الواجب عليه أن يجتهد لأخذ الثأر يقتل رجل من قبيلة القاتل ولا يقتنمون بقصاص الحاكم ولا يتجاوزون عن ذلك ولو مضت عليه أعوام إلا أن يستجير بهم القاتل. وهكذا تكون الحال إذا قتل أحد من عائلة أحد من أخرى.

وقد نفع كثيراً أن الابن قتل أباه والأخ قتل أخاه ولا يعتقد الصلح بين القبيلتين المتحاربتين إلا بالصاهرة.

وصفهم ضابط متقاعد بانهم «لم يكونوا يقومون سياراتهم إلى أحد مطاعم مدينة واشنطن لئلا تلومهم من مشكلة الجريمة». واحتشد ليمان بيرغرراطية أخرى. تتكاثروا كالزئبق. الواحدة من الأخرى» كما قال رئيس مركز سابق. أما الضباط المقترسون الذين كانوا متشددين بشأن الاستمرار في تعيين الجواسيس فقد وجدوا أن الحصول على موافقة قبل اتخاذ أية خطوة مسألة انتقال من لجنة إلى أخرى. وقال الضابط المتقاعد إنهم «في الأيام الخوالي كانوا يقولون الذهب ولدت بهم». ومع ذلك كانت هناك عملية مراجعة أخرى تصرف باسم «نظام إعطاء صلاحية الجاسوس». وقال لي ضابط متقاعد آخر: «كان لا بد أن تكتب الكثير من الأوراق كي يرضى الرجال بالمرکز في كتابة التقارير وقتاً يزيد على ذلك الذي يقضونه في التشارع».

وقال ضابط ثالث: «كان أمراً أضعف له انظر. لقد كنا نجد أشخاصاً كرهيين. وكنت اتعامل مع رجال سنيين. فنحن لم نكن نجد قسماً يتسمون بالكرهية». ونضى قتللاً: «ما فعلنا ما نأفئنا جرم في حقنا. وهناك ستة أشخاص طيبين حاولوا إصلاح الأمر». وقال روبرت بير عن الإعلان: «لقد جعل يوم التمهيد أسهل بكثير. كنت أشاهد السلي إن وحسب. ولم يكن هناك من يبالي». ولم يكن لدى المجموعة الجنوبية الشيوعية الشائعة لوكالة الاستخبارات المركزية الحكومة من لغائية مراز في وسط آسيا وكانت جميعها مهددة من قبل المنظمات الأصولية. وخاصة في أفغانستان وباكستان وترتبطها صلات بطلانين وبين لائن - أي عملاء. بحلول منتصف التسعينيات كانت الوكالة ترحل. وعلى عكس الكثير من كبار المسؤولين في وكالة الاستخبارات المركزية، أقام بير مراز في بيروت وغيرها من مناطق الشرق الأوسط. وكان يدرك جيداً قدرة المنظمات الإرهابية على إخفاء أنهارها. وذكر لي أنه عندما بدأت وكالة الاستخبارات المركزية في ملاحقة منظمة الجهاد الإسلامي، وهي جماعة لينانية متشددة لها بعد سلسلة من أعمال الاختطاف في عهد ريجان، «قام رجالها بالاطلاع بشكل منظم على الوثائق في أنحاء بيروت، بل وتدمير كل سجلات انطاب. كما وضروا أجهزة تمتص في مطار بيروت واستطاعوا تمييز الأمريكيين. كانوا يعرفون من يربون خطاه قبل أن تهبط طائرته». وثغاب الإرهابيون على فترة الأمريكيين على النقاط الحارشات في أنحاء العالم عن طريق تخيير شرطائهم باستمارة - وكثيراً ما كانوا يقومون بما هو أكثر من مجرد تغيير لغائتي اللحن بل حتى تستخدم عاده. وقال بير: «هناك كبار مستشرق بينهم». وفي إشارة إلى الإرهابيين الذين وجهوا ضربة الصاعدي عشر من سبتمبر قال: «هؤلاء الناس يارعون إلى حد كبير جداً».

«إن تعرف أبداً الخسائر التي تعرضنا لها فيما يتصل بعدم الاستفادة من انهيار الاتحاد السوفيتي». كما رد ضباط سوفييت سابقون ولهمو المستوى لديهم معلومات استخباراتية أو غيرها من المعلومات. «لقد رد جواسيس متبرعون على أعقابهم. وكان ذلك أمراً يدعو للدهشة، وجميعاً أعلم فلم يفاوضه أحد».



وتخبر المواقف بعض الشيء عندما تولي كليفتون السلطة سنة ١٩٩٣ وفي ذلك الوقت كان بير مكافأ بالعمل بناء على طلبه في موقع صغير متقدم لوكالة الاستخبارات المركزية في موشن بطايجستان القريبة من الحدود الأفغانية. وكان يراقب عاجزاً الأصوليين الإسلاميين الذين ندعهم السوفوية. وهم طلائع طالبان. وهم يعززون قواعد القربى ويجندون المؤيدين ويجبرون العمليات داخل حدود الاتحاد السوفيتي السابق. وفي سنة ١٩٩٥ انتقدت الوكالة انتقاداً كبيراً بعد الأخبار التي قالت إن مصدراً يتقاضى أجراً في جواتيمالا تورط في مقتل صاحب فندق أمريكي وزوج حمامية أمريكية جواتيمالاي. وكان اسم ذلك المصور قد ظل ضمن كشوف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية رغم معرفه إدارة العمليات لانتشطه. ورد جسون دويتش. ثالث سديد لو كساه الاستخبارات المركزية خلال ثلاث سنوات، على ذلك الانتهاكات وعلى القبض العام بإصداره توجيهاً يدعو فيه إلى الحصول على موافقة مسبقة من القيادة قبل تجنيد أي شخص له مشاكل جنسية أو متعلقة بحقوق الإنسان. وأوضح دويتش فيما بعد أن المواقف تقوم على اختبار توازن بسيط: «هل المكسب المحتمل في الاستخبارات يستحق الثمن الذي قد يرتبط بالتعامل مع شخص ربما يكون قاتلاً».

وأعلن دويتش وقضائه «امر التطهير». كما بات يعرف، مصحوباً بالفصل النوايا. وكان يتضمن شروطاً لراجعة كل حالة على حدة. إلا أنه من الناحية العملية شطب مئات «الأصول» الجواسيس من كشوف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية بلا تمييز. كما كان له اثر المدمر على عمليات منافسة الإرهاب في الشرق الأوسط. وادى امر التطهير إلى خلق سلسلة من لجان الفحص في مقر وكالة الاستخبارات المركزية. قليل تجنيد أي جاسوس جديد، كان على ضابط الحالات الحصول على موافقة من لجنة المراجعة الكبرى. ويشترك ضابط سابق ذلك فيقول: «كان الأمر أشبه باختصاصي أمراض قلب في كاليفورنيا يقرر إذا ما كان بإمكان جراح في مدينة نيويورك فتح صدر مريض أم لا. وكان تقييم الجواسيس المحتملين يقوم به موظفون ليست لهم خبرة مباشرة بالعمليات السرية» (ويتذكر روبرت بير ذلك قسلاً: «الأمريكيون يكرهون الاستخبارات» ويكرهونها وحسب) وفي رأي ضباط العمليات، فإن أهم أسلحة في الحرب ضد الإرهاب للعالم كان يقفها رجال ونساء

بترتيب خاص مع مجلة

The New Yorker

٨ أكتوبر ٢٠٠١

ترجمة: أحمد محمود

ما بعد طالبان

الآن

فهمي هويدي

منطقة واسعة، وقد تكون فتيلة كهذه، أو فتيلة أخرى ببولجيه أو كيميانية نوازيبها في خطوطها، موجودة لمن يريد شراءها في السوق الدولية السوداء.

أيا كان قدر المبالغة أو الاختلاف في تلك المعلومات، فإن المجلة قدمت بن لادن باعتباره أخطر رجل في العالم، الذي يهدد الكرة الأرضية من الصاعقة إلى الصاعقة، وخططة التدميرية موضوعاً لكي تشيع الخراب في الكون الخلق سنة مثله!

كان واضحاً في تقرير «نيوز ويك» وفي إشارات أخرى عديدة، إن إدارة الرئيس بوش (الإن) الذي تسلم منصبه في شهر يناير - أدرجت ضمن اهتماماتها موضوع بن لادن وجماعته ونظام طالبان الذي يرويه، ولم يكن مسابقة بطبيعة الحال أن تسلط الضوء على بن لادن وتصوره على ذلك النحو المرعب بعد شهر واحد من تولي الرئيس بوش للسلطة.

تكمّل الصورة وتختصر علينا جهود البحث معلومات أخرى مهمة نشرتها المجلة ذاتها في عدد ٢٠٠١/١٩، في تقرير تحت عنوان:

إعادة التفكير في بن لادن، وفيه ورد النص التالي: شرعت وكالة الأمن القومي (الأمريكي) في الإعلان عن توظيف خبراء في اللغة الأوزبكية، لإضافتهم إلى مجموعة المتخصصين بلغة الباشتو، وهي اللغة السائدة في أفغانستان، فضلاً عن اللغة العربية التي هي لغة بن لادن الأم. كذلك تشرف الولايات المتحدة على مفاوضات كتيبة «حلف السلام» في آسيا الوسطى (سبتران لاسبات)، التي ضمت مئات المقاتلين، من الولايات المتحدة واوزبكستان وقازاقستان وقرغيزستان وتركيا. وهؤلاء يتدربون على القفز من مروحيات وطائرات تحلق على ارتفاع منخفض في الجمهوريات (القوقازية سايلا)، الجاورة لأفغانستان.

أضاف التقرير يقول: لقد قام الجيش (الأمريكي) أيضاً بإرسال طائرة النقل الحربية (سي ١٧) المستخدمة من القاذبة التكتيكية، في رحلة دون توقف، من الولايات المتحدة إلى

**سقوط النظام لن يعنى
نهاية طالبان، التي لن تختفى من الساحة،
وإنما ستتحول إلى حركة مقاومة جهادية، مستهدفة
من كوابرها المتترمة التي يقدر عددها بما يتراوح بين
٥٠ و ٥٠ ألف مقاتل، ومستهدفة أيضاً من أجواء
القنص التي تسمود الساحة
الأفغانية من جراء القصف**

وإن أصابعه ممددة إلى الشيشان والفلبين وإندونيسيا والولايات المتحدة والأرض المحتلة في فلسطين، وأنه بهذه الخطورة، فسأن مسقطاته استهدفت المحصول على أسلحة الدمار الشامل. في هذا الصدد ذكرت المجلة أن لحد القبض عليهم في نجسر سفارتي الولايات المتحدة في كينيا ونزانيا ذكر أن بن لادن وجماعته حاولوا شراء كمية من المورانيوم بقيمة مليون ونصف مليون دولار من تجار سودانيين في السوق السوداء. كما ذكر المدعون الأمريكيون أن بن لادن وأحد كبار معاونيه حاولا في مرات عديدة، منذ عام ١٩٩٢ شراء مكونات لتصنيع فتيلة نووية. وأضافت «نيوز ويك» أن «الخبراء يحذرون» من أن «زعيم «الأنهابي» قادر بسهولة على صنع ما يسمى بالقنبلة العنصرية، التي هي متفجرة تقليدية، ويمكنها نشر مواد مشعة فائقة فوق

قرب نيويورك، ثم استبعد بعد ذلك، وأصبح الاسم والتفصيل التابع له في العناوين التالية للإرهاب الدولي، وهو ما عبرت عنه مجلة «نيوز ويك» في عددها الصادر في ٢٠/٢/٢٠٠١، حيث نشرت تحقيقاً مطوّلاً وموسّعاً عن الإرهاب العالمي استغرق ١٢ صفحة. كان محور «بن لادن» والقاعدة.

في هذا التحقيق، الذي تضمن أكثر من موضوع، إشارة إلى بن لادن بحسبانه «التهديد الأكثر مباشرة وخطورة على الأمن القومي الأمريكي» - وأنه زعيم لشبكة إرهابية، سبقت الجهود الدولية المصممة لتدميره - وهي تعمل بصورة مكشوفة لشحن حرب مقدسة ضد الولايات المتحدة وحلفائها!

ليس ذلك فحسب، وإنما تسميت للمجلة إلى مسئول أمريكي - لم تذكر اسمه - قوله إن بن لادن يريد برنامجاً تخريبياً منه مائة عام (١).

■ الذي جرى في أفغانستان ليس أكثر من مشاهد من فيلم سينمائي، أعد له السيناريو منذ بدايات العام، ويلوح بملوكه الرباعي الفئاد: بوش - تشيني - بول - رامسفيلد، ومعهم في أدوار البطولة الثانية كوكبة من الضباط العظام من أساطين أسلحة البر والبحر والجو، الذين يهجمون في غرف العمليات وراء الأجنحة الإلكترونية الجبارة، وتتناوب بهم مهمة توفير أكبر قدر من الإبهار والإثارة، لاسم دول التحالف فهي تزدى دور، لكونها مرسى الذي لا يطلب منه أكثر من الظهور في خلفية المشاهد لتصوير صفها وجلالها.

الفرق بين هذا الفيلم وغيره مما أنتجته هوليوود أنه من تاليف السينمائيين وإخراج العسكريين، وأن نهايته مفتوحة، في انتظار الحقيقة الأفغانية التي تشتعل على الأرض. ولم تكن بحاجة إلى ذلك الاحتشاد المجلل أو للصف المجلجل، وهي بغیر ذلك كانت ستصعب في وضع أفضل لأرب، لكن مخرج الفيلم أراد أن يوفر له أعلى درجات الإثارة، لأن عيونه مركزة على الجمهور الأمريكي الذي لا يزال أسير الانفعال بما جرى في الحادي عشر من سبتمبر، الأمر الذي جعله متعطشاً للانتقام، ولم يكن السينمائيون أقل منه انفعالاً، لأنهم بدورهم متعطشون لاستعادة الهيبة ورد الهوانة، لذلك فلم يكن هناك مفر من إخراج الفيلم على نحو يليق رغبات الجميع، وهؤلاء يريدون أن يروا باعنيهم مشهد سحق «الأشرا» وتدمير مملكتهم، وانتصار الرباعي الأمريكي الفئاد.

[١]

السيناريو فحسب، وأقدم منه فكرة الفيلم، فإسامة بن لادن وجماعته من قيادات تنظيم «القاعدة» المتهمون في كل العمليات التي وجهت ضد المنشآت والاصالح الإمبريكية، من تفجير الخبر، والمقصود (روبنو ٩٦) إلى تفجير سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتزانيا (أغسطس ٩٨) إلى تفجير السفارة (سبتمبر ٢٠٠٠). بعد هذه العمليات أصبح اسم بن لادن يوضع على الطاولات كلها وفي حاشيات في أي مكان بالكرة الأرضية، حتى كان أول من أشتبه فيه حين سافرت الطائرة اللوبيج لتفجيرة عام ١٩٩٩

آسيا الوسطى - وهي مساحة جغرافية عظيمة تطل - لإفراج حكومات دول آسيا الوسطى بالسرعة التي يمكن أن تستجيب بها واشتغال في حالة وقوع أزمة.

هذه الترتيبات كانت جارية وانجعت أخيراً، على الأقل قبل ٨٣ يوماً من الهجوم على نيويورك وواشنطن. وقبل ١٠ أيام من الهسف الأمريكي لأفغانستان، وهو ما يعني أن «سيناريو» ضرب من لادن وجماعته وإسقاط نظام طالبان كان محدداً وجاهزاً للتطبيق. سواء وقع ذلك الهجوم أم لا يقع.

{٢}

على عكس ما يتصور كثيرون، فالأمر ليس كله شراً، لأن الولايات المتحدة بالهجوم المكثف الذي شنته، وبالأحشاش الدولية التي أقامته، أهدت من حيث لا تحسب خدمة جليلة لنظام حركة طالبان، لأنها أنهت عمره الإنتراهي في السلطة بعد خمس سنوات من تبوئهم لها (سقطت كابول العاصمة في أيديهم خلال شهر سبتمبر ١٩٩٦). ذلك أن حكومة طالبان بعدما تخلت عن دعمها بباكستان، وبعد أن أصبحت اعترافاً لها بها كل من الحكومة السعودية و دولة الإمارات، فقدت شرعيتها من الناحية العملية على المستوى الإنشائي، وهي التي لم يعترف بشرعيتها أصلاً على المستوى الدولي، وبخمس لغات الدول الست المجيئة لها حدودها معها. فقدت سدة أمامها كل المنافذ البرية، وهي مطبوعة الصلة أصلاً بالية منافذ بحرية، وجمارها على هذه الحدود، سياسياً واقتصادياً، لأن نظامها انقطع عن الاستثمار فيها فالتفت قدرته على الصمود (بخلاف أسابيع قليلة سينضب مخزون من الوقود ملأ واستنصب الحركة في البلاد بالشلل) وإذا أضفت إلى ذلك أن قوات التحالف الشمالية تحولت إلى رأس حربة لإسقاط النظام، وهي الدعوة بكل إمكانات الحملة الأمريكية، والمؤيدة بالمثل المصاروة، التي فتحت بعضها حدودها لها، خصوصاً أفغانستان التي تبين أنها أصبحت قاعدة عسكرية أمريكية مهمة في وسط آسيا، فسوف نجد أن وصول تلك القوات إلى العاصمة واستيلائها على مقابض الحكم ليس أمراً مستبعداً، وإنما هو مسألة وقت فقط.

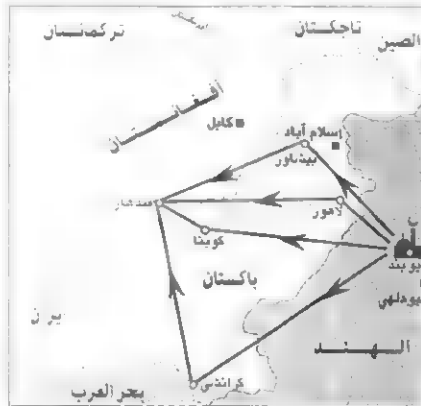
هذه المخاطر من شأنها إسقاط الحكومة، دون تكلفة بشرية عالية التمن كذلك التي يطمحها الشعب الأفغاني حالياً من جراء القصف الذي لا تعرف أرقام ضحاياه بالقطب، لأن هناك توتراً إعلامياً من جانب الأمريكيين والبريطانيين على نتائج العمليات العسكرية، وإن كانت المصادر الأفغانية قد قدرت الضحايا من المدنيين خلال الأسابيع الثلاثة الأولى بما يراوح بين ٦٠٠ و ٨٠٠ شخص، ذلك بخلاف عمليات التدمير للترتبة لمباني السكنية والمرافق العامة.

لم يكن إسقاط الحكومة بحاجة إلى كل تلك العمليات العسكرية والغارات المتتالية، التي أضرت بأهداف الحملة من ناحيتين، أولاً: لأنها زادت من تماسك صفوف حركة طالبان، وأجبت ظهور التحيزات بين أجنعتهم، بعدما أترك الجميع أن القصف وضعمهم في كفة واحدة، وأن مصيرهم مصير واحد، بالإضافة أنها زادت من الانشغال قبيل البشون حول الحركة - ذاتها - لأنها وضعت فصائل المصاروة في موقف خرج من شأنه أن يخلق باب التحالف الشعبي معها، حيث بدأ في هذه الحالة أن يبدل للرؤية الخلفاء نظام طالبان قاعدة على أجنحة الطائرات الأمريكية النفاثة، الأمر الذي يستدبر غضب الأفغان ويجرح كبرياءهم.

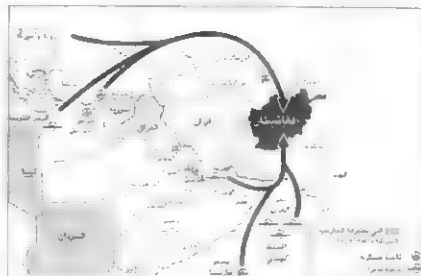


لقد أقرت الإدارة الأمريكية أن تستعوض قواتها وعضلاتها في سماء أفغانستان، وأن

قعد الرابع والثلاثون، نوفمبر ٢٠٠١م



القصور كتاب طالبان، من علم الملا إلى إدارة الميناء، مولوي حافظ الله خاني، من إصدارات معهد الدراسات السياسية بسلام آباد، عام ١٩٩٧



تقوم بتعميل الفيلم المشير لا إفساد نظام طالبان، ولكن لإشباع رغبات الانتعاش والغضب والانتقام لدى الجمهور الأمريكي، وهي تفعل ذلك فإنها على إدراك تام بأن ثمة جهوداً أخرى تبذل على الأرض - تقوم الأخباريات الباكستانية بدور رئيسي فيها - لترتيب أوضاع المستقبل الأفغاني، فيما بعد سقوط نظام طالبان.

سلوطة النظام لن تفتتق نهاية طالبان، التي لن تخفى من المساحة، وإنما ستحول إلى حركة مقاومة جهادية، مستفيدة من كوابير المتآزرة التي يقدر عددنا بما يتراوح بين ١ و ٥٠ ألف مقاتل، ومستفيدة أيضاً من أجواء الغضب التي تسود المساحة الأفغانية من جراء القصف، والتبشيرات التي يمكن أن تثار إزاء أي وضع مستجد، مدعوم من الولايات المتحدة، ومستفيدة كذلك من انتشارها في أنحاء البلاد التي ظلت مدمرة على ٩٥٪ من أراضيها خلال السنوات الخمس الماضية، ثم لا ننس أن طالبان تمثل عرق البشون وهم النسبة الأكبر بين سكان أفغانستان، وأن قيادتها تتركز في قندهار التي تعتبر أصل الأفغان، ومحيطها الشرقي والجنوبي يمتد إلى داخل حدود باكستان.

هذا التحول من سلمية حاكمية إلى حركة مقاومة جهادية مدعوم الآن بقوة في محيط طالبان، وفيما علق قائلاً قرأنا اتخذ بيضاء الصمد في قيادة الحركة، وأن التعليمات صدرت لحكام الأقاليم بالاستعداد للعمل كقادة ميدانيين ومواجه أي وضع مستجد، وفي ظل انقطاع وسائل الاتصال، فإن أولئك العادة أعطوا حق التصرف واتخذوا ما يرونه مناسباً من إجراءات وخطوات، دون الرجوع إلى القيادة.

من هذه الزاوية، يمكن أن نرى أن الحملة العسكرية الأمريكية أدت من حيث لا تحسب خدمة لطالبان، بتسميتها بإسقاط نظامها، ودفعها للانتقال من السلطة المعتدلة إلى خنادق المقاومة - كيف وإذاً؟

{٣}

لأن حكومة طالبان بعدما أضحت خمس سنوات في السلطة، أصبحت تواجه ما لا يقل سياسياً كبحراً، لم تكن ترى مخرجاً منه، فقد جلبت الآن والسلام للبلاد منذ فطحت كابول عام ٩٦ واستقام لها الأمر في البلاد، لكنها بعد ذلك فشلت في أن تقدم للشعب الأفغاني أي شيء آخر. مع، خلصت المجتمع من الحكم وفقدت مظهرها كالأحزاب الجهادية الذين أساءوا استخدام سلطاتهم بعد خروج السوفييت في عام ٩٢، وما أثار انتاج كثير، لكن الناس لهم مطالب حيائية أخرى فشلت الحركة في تلبيتها.

ومن الناحية العملية، فإنها خلال السنوات الخمس الماضية أقامت كياناً سياسياً ميسماً ومشوهاً باسم إمارة أفغانستان الإسلامية، وتصبحت على رأسه «أميراً» للمؤمنين - في استرجاع لأحد عناوين العصر الإسلامي الأول، وشكلت نفسها بمظهر الناس واتكاهم وسلوكياتهم، ولم تكن بشيء - له قيمته في البلد، وإنما غاية ما نهضت به هو دور الحراسة للفصل والموتود. ورد هجوم قوات التحالف الشيعي، التي لم تكن تشكل في السابق خطراً يذكر، وقد اكتشف موقف حكومة طالبان تماماً حين شحت الأمطار واشتدت المطاع في شتاء العام الماضي (٢٠٠٠) الأمر الذي أدى إلى نزوح حوالي ٨٠٠ ألف شخص من القرى إلى المدن، ووقفاً أعداد من الأطفال لم يتم حصراً، ولم تستطع حكومة الحركة أن تقلل شيئاً إزاء تلك الكارثة.

بمسببة قلة الخبرة وسوء التصرف من جانب عناصرها، ومن جراء الحصار الدولي القمسي الذي فرض عليها، فإن الحركة أصبحت في النهاية عاجزة عن أن تقدم شيئاً للمجتمع الذي ظل يعاني من شح الموارد وتعمل المرافق ويؤس الخدمات وتفتقر لقرارد ومجنود، وصار

الهيكـل البشـرى الجغرافـي للمجتمـع الأفغانـي

م	العرقية	حجم التواجد وماكانه	الديانة	اللغة	معلومات أخرى
١	المشركون الداثل.	٦٠ - ٦٠٪ من السكان يتركزون في جنوب شرقي جزيرة العرب، بين مالديف وإندونيسيا	مسلمون سنة وأصناف مما قبله ثيودور - مسيحي شيعه	المشرك	كثير وتبقى تجميع عرب في تمكاساتان - هذه مسيحيين - بين مسيحي أصناف أخرى في الجزيرة والصين - هذه مسيحي الكنائس وعلى الآن
٢	النايك	٢٠ - ٢٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي	مسلمون سنة أصناف ومسيحي مسيحيين الكنائس	النايك (لغة) فارسي مسيحيين	الكنائس الشرقية في أندونيسيا وديوش الكاثوليك منهم في الهند - وهم شعوب ويعتبرون من النايك
٣	الفرانسي	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في جنوب الجزيرة وهم في الشمال والجنوب الشرقي في الجنوب والفرانسي	شيعه إسلاميه	الفرانسي	رواينين بالفرانسيه الأولى ويعتبرون على أنها منهم النايك
٤	الفرانسي	١٠ - ١٠٪ من السكان يتركزون في غرب الكائنات	شيعه إسلاميه	الفرانسي	من أكثر المجموعات ثقافه في أندونيسيا ويشكلون مناسيب كبير وقبائل والصينيه هامة ويستندون في الفرانسي إلى ذلك
٥	الفرانسي	٦٠ - ٦٠٪ من السكان يتركزون في غرب الكائنات	شيعه إسلاميه والصينيه ويعتبرون من	الفرانسي	يشكلون في غرب الكائنات من أصل الكائنات
٦	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
٧	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
٨	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
٩	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٠	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١١	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٢	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٣	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٤	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٥	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٦	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٧	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٨	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
١٩	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
٢٠	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي
٢١	النايك	٨٠ - ٨٠٪ من السكان يتركزون في الشمال الشرقي الفرانسي	مسلمون نصف المسيحيين المسيحيين	النايك الفرانسي	النايك الفرانسي

تصنيف: كتابات علي بن أبي طالب

افغانستان: اجتماع أمير حوالى ٥٠ مليون عراقي: أهمها البشتون والهاجيج
 يتكلمون ٧٠٪ من السكان، والبشتون
 (٤٠٪) بـ سوزغوي في النصف الجنوبي
 والجنوبي الشرقي، أماخانداني: أفغانستان
 يوجد في حدودها النصف الآخر للبشتون
 المعروفين بـ قبائل "الساكنين"، والهاجيج
 يتركزون في الجزء الشمالي الشرقي، وفي حد
 كبير لا يمكن عدّهم أعداداً واضحة، مجموعة
 أفغانستان المجاورة: أفغانستان
 "البشتون"، والآخرين في "الداري"، التي تعد
 إحدى اللهجات الفارسية، والأفغان تكلمين
 بالحرف الفارسي.

البشتون والطاجيك من أهل السنة الأحناف
وعد الشيعة الفئة الثالثة في قبلا حيث
يمثلون حوالي ١٠٪ من السكان. وتضمهم هي
الداري.. ويشتركون على أعراق ثلاثة هي
الهازار.. والمقززيون.. والغالغرايون.. وهم
يشكلون هي المناطق الجنوبية المتاخمة إيران.
وعد الشيعة الأقلية عرقية. ينتمي الأوزبك
(٦٠٪) الذين يتركزون في المناطق الشمالية،
بجوار الحدود مع أوزبكستان. وفي بقية
المنطقة يندرج التركمان والقبول والقرغيز
والبلوش... الخ؛ وجميع هؤلاء أحفاد من أهل
السنة.

ورغم أن حركة طالبان عملت في الظلمة
لإيجاد نيل بمحاسن من الطغايا الأخرى، فعميت
الحكومة وزبائن من الكليبات والأوراق، فإني
نهيت تلك حركة بنشوني في سجنها العام،
وتجاهلني في حركته العام. أما التفتت
الشمالي الذي لقي في صف العرضة، وشكل
في ألعاب حول طالبان لي كابول في عام ١٩٩٠
فعمدو وكأنه تحالف للكلبيات الرئيسية، رغم
وجود بعض عناصر من البشون في هاشمه
والفصحة منهم قلب الدين حكمتاني
وعبدالرزاق سيال). لأنه يكون أساساً من
عناصر وقبائل طاجيكية وأوزبكية، وشيعة،
ومؤيدو المذلة المجرورة، التي تخبر أن تلك
القبائل تميل لاعتدادها، أو عولها أو شيعية،
لذلك لم يمازجوا نل نالون أو التحالفين
في قوته واستمراره والدعم الخارجي يأخذ
من اعتاده في التفتت والذم والكلين.

حركة طالبان لها واقع مغاير، فهي
 متجذرة عميقاً في التاريخ، وقاعدتها العربية
 في الداخل، حيث يمثل البشتون الأغلبية التي
 سبغت الإيديولوجيا، فضلاً عن أن معظم
 القادة إلى لخمائل «الباتان» في شمال أفغانستان.
 غير أن الحوافز هي - من دون كل البشتون -
 يعقلون العنصر الطغري للحركة، التي
 المعنى إلى القاعدة، وبذلك يمثلون شعباً
 بالثقافة وتأييد في ولايات الجنوب الغربي
 أكبر من الجنوب الشرقي، رغم أنها جميعاً
 باتان بشتون.

وإذا ما اقترب المرء أكثر من تضاريس
وخصومات الحركة، يجد في داخلها مستودعاً من
التمهيز الأول تمايزاً لبائناً، لأن

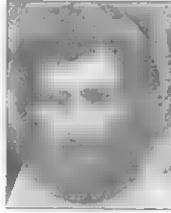
وكوادر طالبان، يجد فيها تفسيراً لكل ما سطر
عن الحركة من سلوك وممارسات بدءاً من
الفتنة التي حركت آل محمد عبر بعض
أصحابه إلى عام ٩٤٠ الذين قرروا تحدي
ومقابلة مفاسد ومطامع مثالي الأحزاب
الجهادية حين بسطوا نفوذهم على الأولاية
وأثروها لحسابهم الخاص، إلا أن تحذوا
الأحزاب الإسلامية الحاربه وشطرا طرفهم إلى
كاويل في سنة ٩٦٠ ونهتاه بتدعيمهم للإماره
الأمريكية، ولرفضهم الإنشراح لخطب تسليم
إسماعيل بن لادن.

ليست من إفساح الأكراد في بلادهم
كثيرين مروجين فيه ففكرة أن الأكراد صناعة
كاستانيات أو أمريكية، وما أخبرهم بها من
تعميمها للخل، إلى سبها على خلة الواقع
بمقتضىها، وإستجاباتها، إلى فرضت الواقع
على ثلاثة نصوص البلاد من الأكراد بين حزين
خسكتها وبديهي، لكنني انهم واعلم أن طابان
حين ظهرت إلى، وخرجت من بعد الحواف
الأكراد إلى البعث، نكرت الأخباريات
الباستانيات بسمة أخرى جعلت جوروا معها.
حتى جعلتها على الحصة سمرها إلى
كايول، بعدما روت أن العواصة المهمة آنذاك
إلى رجحت فيها كفة، «الطاجيك» لا تكن لها
الأكراد إلى سبها عن مصالحها ويحق
تعللها على إلى وسط أسيا، ثم قد فترتها وقد
إلى طابان رجا كستريتها فيقولون - في الرأي
العام، إلى رجل كستريتها فيقولون، والملاي،
واعتبرته مؤلف أكثر من غيره - إلى طرف ذلك
الأول، والتخلف به، ومن ثم تأمين الصالح
التي أنجحت الباستانيات.

وإذا كانت المخابرات الليكستانية في ذلك على اتصال مع المخابرات الأمريكية، وهو الاتصال الوثيق ناريفنيا، والذي تعزز أكثر الفناء مقاومة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان، فهو عنصر بحسب على الطرف الليكستاني وينبغي ألا يحمل على مواقف حركة طالبان أو بحسب عليها.

يؤكد ذلك كله أن يتحول إلى تاريخ الآن ذلك لغتنا نعيش هذه الأيام لحظات إنزال الستار على حكم طاجران ونظامها. وهناك إعداد في عواصم عدة، لوروييه وتسويوية. بعداً لرفع الستار على فصل جديد في «الروايات» الألفانية، فحيد، فطالين عن المسرح، كليا أو جزئيا. وأحسب أننا لن نستفيق كثيرا إلا أننا لن العوان المأز، حتى الآن لنصل حدمه. ما ماعد طالين.

لا يستطيع الحديث عن ذلك القيد قبل أن
نستكشف «جغرافية» المساحات والأطوار
ورسوخة الدعامات التي تشكل ذلك الطور
الجديد، بدءاً من الجغرافية المتضمنة (الوقود
القابلة، مروراً بالجغرافية الاقتصادية الحركة
طالين ذاتها، وانتهاءً بموافاق القوى الإقليمية
والدولية المعنية بمسئلتين أفغانستان
مصرحة الحدوث هو الساحة الأفغانية
تربيتها التاريخية البعيدة والتفقد، التي تسهم
لأنهم الجغرافي للبلاد في الحقيقة، لموقع
أفغانستان في وسط آسيا حولها من الناحية
العسكرية إلى يومنا هذا يقر القاصدون من شرق
القرارة إلى غربها، أو من شمالها إلى جنوبها
(والعكس)، وأولئك الذين الجغرافيا الطبيعية
الاحد. لذلك تحديد مصمات «أول حد حصار»



الشمالي، لكن تكون القوة الضاربة على الأرض - أو أوجه تلك القوة إن شئت - فإن ظروف هذا التحالف ليست أقل تعقيداً من ملامسات الدور الماكستاني. كيف؟ لأن شيئاً واحداً يجمع بين عناصر ذلك التحالف، هو مشاركتهم لحكم طالبان وإعترافهم بالسلطة. فيما عدا ذلك فهم مختلفون في كل شيء تقريباً. مختلفون عرقياً، فيبينهم البشتون الطاجيك والأوزبك والشيعية والزاره. ومختلفون كاتحاد متعصبين وشيعية التي عتسرية. وسختلفون في الموقف من باكستان. فربما من منطلق إزاءها. وحكمتهار وسباب مقيولان لديها. والأوزبك والشيعية يعارضون دورها. ومختلفون حول الموقف من الملك ظاهر شاه. بين محبين لحسونه ومعارضين لدوره. كما أنهم مختلفون إزاء التدخل الأمريكي من مؤيد له ومعارض (حكمايتقال إنه إذا دخلت القوات الأمريكية أفغانستان، فسوف يحارب في صف طالبان، وربما سيفال لا يصفان في نوايا الإطارة الأمريكية).

من ناحية أخرى، فإن قوات الإسلام من شاة مسعود. (١٥ ألف مقاتل الماهل من الطاجيك، وتمثل العمود الفقري للمعارضة) هذه القوات التي يقودها الآن الجنرال «لهيج»، ومعهم قيادات حرب الشوري السابقين، وبخلاف من أن تكون لوزبكستان بهاغوا مع واشنطن في الحملة العسكرية لها هدف آخر ليمد. إذ يشك في أنها تريد أن يسيطر الجنرال الأمريكي عبد الرشيد يوسف على المحاكمة الأفغانية. كما أنهم يخشون من أن يكون قادة مماندين مثل إسماعيل خان في الغرب، وللكاد عبد الحق في الشرق، وغيرهما من القادة، أن يولموا بصفتهم جانبية بعيداً عنهم لصالح آخرين، مثل الملك ظاهر شاه. وبوجه عام، فإن القوى الإسلامية في تحالف الشمال تتطلع بعين البعد إلى «موسم»، وتعترض رجلاً تهازيارياً وطنلياً، صمته السوفييتي وتعتذر على رأس ميليشيا أوزبكية لضرب المجاهدين، ثم دخل بعد ذلك في تحالفات وعقدت عديدة معهم. هذه الملامسات تشكل نموذجاً للتعقيد التي تكمن وراء المساحة التي تبذل لتزريب المستقبل في أفغانستان، وتسلط الضوء على مدى وعورة الطريق إلى ذلك المستقبل.

[٩]

إن تعقيد طالبان من المساحة إلا في حالة واحدة، إذا أخفى الملا محمد عمر من المسرح، (قتل في غارة مثلاً)، لأنه الآن يمثل الخطيط الوحيد الذي يربط بين حيات الحركة. وبعد ذلك عليه الإجماع، وأغلب أوجهه الماهلين بكتن، فكما أنشرا قنبلاً، وناشطون وقادة سيدنيون في أحزاب أخرى مازالت قائمة (القوة الإسلامية التي يقودها المولوي محمد يونس خاين، وكرسة الانقلاب الإسلامي بقيادة المولوي محمد حبي)، إذا أخفى الملا عمر، فسوف ينظره القعد، وسيتخذ دور طالبان على نحو تدريجي، الأمر الذي سيخرجه في الوقت نفسه من المعادلة الأفغانية. لذا إذا كتبت له النجاة، فقد ذكرت أن طالبان سيتحول في الأغلب إلى حركة جهادية، مستفيدة من كوارثها وفي الانحلال المتوقع حولها، سواء من جانب الذين استبقرتهم

إن تعقيد طالبان عن المساحة إلا في حالة واحدة، إذا أخفى الملا محمد عمر من المسرح، (قتل في غارة مثلاً)، لأنه الآن يمثل الخطيط الوحيد الذي يربط بين حيات الحركة. وبعد وفاة الملا محمد رباني، لم يعد وراءه رجل ثان يثق عليه الإجماع، وأغلب أوجهه الماهلين كانوا، كما أنشرا قنبلاً، وناشطون وقادة ميدانيين في أحزاب أخرى

الصلب على موقف مسلمي تركستان الشرقية (مقاطعة - سيبكيان الصينية حالياً) البالغ عددهم حوالي ١٢ مليون نسمة، يتطوعون إلى الاستقلال، ويبحثون كل فرصة متوافقة للتعبير عن مشاعرهم. «الولايات المتحدة الأمريكية، التي غاية مايمهها في أي وضع أفغاني أمراً: ألا يكون مصيراً للإضرار بمصالحها، وأن يوقف زراعة الأفيون الذي يصل بعضها إلى الولايات المتحدة في نهاية المطاف. ولايستبعد أن تتخذ واشنطن من الوضع الأفغاني ذريعة للبقاء في وسط آسيا، فربما من اللزوات الكبيرة في المنطقة، وما بينهما نقط بحر فزوين وحقوق افغان في تركستان والمعلومات المتخفية تشير إلى أن الولايات المتحدة عازمة على البقاء لفترة غير قصيرة في أوزبكستان.

اليد التي تحفظها على أن يكون لهاكستان اليد الدولية في تقرير مستقبل أفغانستان، ثم إن إيران ترى لنفسها مكاناً مساوياً لهاكستان في تلك المسألة، علماً بأن البلدين كانا يقفان على طرفي نقيض، من حيث إن باكستان ظلت مؤيدة لطالبان، بينما ولت إيران في صف مع المعارضة الماهلية. في الوقت ذاته فإن باكستان ليست على علاقات مع مع المرموز الطاجيك والأوزبك التي تكون التحالف الشمالي فضلاً عن ذلك فلها هوجيتاد إزاء عودة الملك ظاهر شاه الذي اعتبره أثناء حكمه أن باكستان مقصدة لأرض بنونستان، ورفض الاعتراف بها.

وإذا كانت الولايات المتحدة تترام على دور رئيسي لهاكستان في ترتيب مستقبل أفغانستان، كما تترام على قوات التحالف

لمن عدم الاستقرار في أفغانستان حيث يتدفق عليها اللاجئين مع كل أزمة تترام بها البلاد، ولديها الآن أكثر من مليون لاجئ أفغاني، لذلك فإنها تطلب بأن يكون لها دور في رسم مستقبل أفغانستان، وقد أعلنت على لسان وزير خارجيتها كمال خرازي رفضها مشاركة حركة طالبان في أية حكومة مسجدة في كابول، كما أنها عبرت عن قلقها من الوجود الأمريكي في وسط آسيا وراء ظهرها، وبالقرب من الاحتمالات الخطيرة الكبيرة التي يحفر فزوين.

«روسيا الاتحادية، التي تعتبر أن ما يجري في أفغانستان يمكن أن يؤثر على نواضع المسلمين في بلادها، وكثيراً ما اتهمت حركة طالبان بأنها على صلة بالتمرد ودعوات الانفصال في الشيشان، تبنيتها لتعكير الوضع في أفغانستان له تأثيره المباشر على أوضاع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، التي تترام موسكو بتعزيزها مجالها الجوي، وحديثها الخفية، ومعروف أن الروس لا يزالون يتخطفون بغوات عسكرية لهم في تلك الجمهوريات.

«الهند، هي إحدى الدول التي دعمت قوات التحالف الشمالي للمعارض، وكان لها يد في تعيد وتكوين موقف الجناح الأمل للطاجيك. ويقع الرئيس السابق برهان الدين رباني، الذي لم يكن - ومعه القائد الرائل أحمد شاه مسعود - على وفاق مع باكستان، ويهمها الوضع الأفغاني من حيث أنه يمكن أن يكون مصيراً للتحفظ على باكستان. يمثل ما أن باكستان تستخدم كمخبر عورة للضغط على هند.

«الصين، لها حدودها المتواضعة مع أفغانستان (٧١ كم)، وكم اعتمد بالقوة الأفغاني من ناحية تاجيك تانيرد بالإيجاب أو

رئيسيين كانوا متنافسين ومتصارعين تاريخياً. هما: غزاني، التي ينتمي إليها الملا محمد عمر، والهيبة، إبدالي، التي كان ينتمي إليها رئيس وزراءه الموقوف الملا محمد رباني. وهذا التناقص بين القبليتين، يمكن إحياءه من جنب أي طرف له مصلحة في ذلك.

التي تميز فكر، بين شيار متشدد يمثله الملا محمد عمر والملا أمير خان منفي وزير التعليم، وشيار آخر منفتح ومعتدل يمثله أثنان من رجال الصف الأول هما مولوي جلال الدين خاين القائد العسكري المعروف، الذي عين مؤخراً قائداً عاماً لجيش طالبان، إضافة إلى كونه وزيراً لشؤون الفيلك، وله دوره المهم في حشد نايد الفيلك البشتونية وراء الحركة، ثم مولوي عبدالكبير حاكم مدينة جلال باب، وهو شخصية مستقلة نسبياً عن الملا عمر، وله علاقات الخاصة مع الحكومة الماكستانية وجهات متصارعتها، وهو الذي اقترح من قبل تسليم بلان وصفاحته في دولة تالند، في حين كان الرأي الرسمي يدعو إلى احتجائه داخل أفغانستان بقاءاً للشرعية الإسلامية في حالة تقديع لدله اتهامه.

في هذا الصدد، لا نقولنا ما لاحظنا أن الرجلين خاين وعبدالكبير، يتبعان إلى ولايات الجنوب الشرقي، لكني نستشعر أن قصصهما في حكوم طالبان أقل مما استأثر به أبناء ولايات الجنوب الغربي، من الفخاريين وأخرياهم.

بشرد اسم وزير الخارجية للملا وكيل أحمد موقول بين العناصر المعتدلة، وهو ملا استبعد فهو صان موقعه الراهن يوفر له فرصة أفضل للإطلاع على العالم الخارجي وتجاوز موقفه، وهو الذي كان مغرباً عن «مسير المؤتمنين» ومسؤولاً عن عقيدته، ومسئوراً في ذات الوقت، وقد ساعده على الإفتراف من الإدارة الخاصة للملا عمر، كونه قنصلها في الأصل، وأنه ابن أحد العلماء الذين استشهدوا بأبان الاحتلال السوفيتي وهو الشيخ الحدت عبدالغفار.

[٨]

لا تقتصر صورة خلفية المشهد، مالم نخل أيضاً على مواقف الأطراف أخرى فعنية باشتان الأفغاني، الذي أصبح يهد عدة دول أخرى في المنطقة وخارجها، وذلك الدولة خروسة على أن يكون لها دور في وضع خرائط ما بعد طالبان، لأن الوضع الأفغاني من شأنه أن يؤثر على مصالحها، بدرجة أو أخرى، هذه الدول هي: «باكستان»، وهي هاجرة لصالحها المعصلة الأولى، التي تشارك مع أفغانستان في حدود وصراع تجاور مصمة أية دولة أخرى، إذ تصد تلك الحدود بطول ١٦٦ كيلومتراً، ويسبب الجوار، والتدخل الجغرافي والعرفي، والأهمية الاستراتيجية التي تمثلها أفغانستان كجدارية لهاكستان إلى وسط آسيا، فإنه يصعب ترتيب أي وضع سياسي مستقيم أفغانستان دون أن تكون باكستان شريكاً فيه، أو راضية عنه. «إيران»، التي لها حدود مشتركة مع أفغانستان بطول ١٤٨ كيلومتراً، فضلاً عن وجود نسبة معتبرة من الشيعة في الولايات الأفغانية الممتدة إلى الحدود، ثم إنها الدولة التي تدفع منذ عشرين عاماً مع باكستان - وجهات نظر ٢٨

كتاب الزاوية

الزراعة في بلاد الأفغان

إن البلاد الأفغانية لاختلاف أبعادها عن خط الاستواء ووجود الجبال العالية والأودية المنخفضة فيها تختلف أهويتها حرارة وبرودة على حسب المواقع وتختلف بتغيير الفصول والأزمان ولكنها جيدة للصحة خلوها عن عفونة الفساد وغل ما تقع فيها الأمراض الناشئة عن فساد الهواء كالأمراض الوبائية . وبووت المدن والقرى طبقة واحدة مبنية غالباً بالطين خالية عن الزخرفة والزينة إلا مدينة كابل فإن جل أبنيتها بالأخشاب والأحجار وقد يوجد في بعضها حدائق وجداول وحياض . وشوارعها وأزقتها ضيقة معوجة خلا شوارع مدينة قندهار فإنها واسعة مستقيمة . والجموع الشديدة المترفة التي كانت في تلك البلاد في الأزمنة السالفة صارت بسبب توالي هجمات الأعداء ودوام المحاربات خاوية على عروشها إلا القليل منها .

وأراضي الأفغان قابلة لأنواع المزروعات ترويضاً أنهر ونهيرات ولكن لكثرة الفتن وعدم مهارة الأهالي في فنون الزراعة وإحكام الجسور وحفر الترع وبناء القناطر تكون غالب الأراضي المرملة بلا انتفاع تعتمد به . ومع ذلك فالأهالي يزرعون البر والشعير والأرز والذرة والدخن والباقله والحمص والبقول والخضروات وغيرها مما تقوم به معيشتهم ولا يهتمون بزرع قليل من القطن والتبناك والأيون والحشيشة للتجارة ويسمون بقدر طاقتهم إلى غرس الأشجار وتربيتها كالذكره والخوخ والشمش والكمثرى والتفاح والسفرجل والرومان والجوز واللوز والعناب والفسق والتوت وغيرها . وأهالي هرات برون دود القز . ويزرع في جلال آباد قصب السكر .

ومستشاروه . لم إن باكستان ليست متحمسة له للسبب الذي ذكرناه . كما أن رباتي وفريه ليسوا مرحبين به . وحجتهم في ذلك أنهم لم يناضلوا ويصمدوا طبقة السنوات التي ضلت . لكي يسلموا السلطة في النهاية إلى الملك الطابع في التخلي منذ عام ٧٢ .



تشكيل حكومة من فائدة التحالف لا يخلو بدوره من محاليل . فالانكشافات شديدة بين فصائل التحالف . ثم إن الدور البارز للطاجيك فيه لا يد أن يثير لقي البشتون . الذين سيكونون لفيهم في ذلك الوضع الجديد . ثم إن هناك حساسية لا يمكن تجاهلها من جانب باكستان إزاء وجود الطاجيك في حكومة كابول . وليس مروجاً في هذه الحالة كيف سينصرف الأوزبك والظفر ويعملون مستقلين عن قوات التحالف التي أنشأها القائد الراجا أحمد شاه مسعود . يبدو الرأى الثالث أكثر قبولاً من حيث إنه يضمن على رأس الدولة حاكماً بشتونياً وإلى جواره حكومة من فائدة التحالف وعناصر من طاجيك . وهو حل له برضيه الجميع . يستفهمه إبراز المحترض على اشتراك طاجيك . والهند التي لن تغطي امتصاصها من تشكيل حكومة تقي لبرون في باكستان .

في التقاليد الأفغانية المستمرة منذ ٢٥٠ سنة على الأقل أن أمراً مصيرية من هذه القبيل يسمونها «الوليا جيرا» وهو تشبه بالبرهان الذي يجمع فيه ممثلو الأمة . من زعماء القبائل والأعراق والعلماء . ومنه جهوه نيل الآن بين الأطراف الأفغانية المختلفة لتوفير قدر من الإجماع حول تصورات المستقبل وصيغة «ماعد طاجيك» . أبرزها ذلك المؤتمر الذي عقد في بيشاور في السبعين الأخير من شهر أكتوبر تحت عنوان «السلام والوحدة الوطنية» . ولو حظ أن الوفد الذي ممثل لك لم يشارك فيفسه . ربما أن المؤتمر كان نحت رسالية باكستانية . وهناك مؤتمر آخر مماثل يعد له في اقتره . غير إن ممثلي التحالف وممثلي الملك سيشاركون فيه . وقد رجحت به تركيا . المعنية بالوضع . باعتبار أنها تصنف جمهوريات بالوضع . باعتبار أنها تصنف جمهوريات وسط آسيا ضمن «العالم التركي» . ولأن الأمر ليس بسيما . بسبب انكشافات التي ذكرناها .

فالغلب الظن أن ذلك الإجماع المنشود لن يتحقق في وقت قريب . وأن الظروف ليست مهيأة بعد لاتخاذ «الوليا جيرا» . الأمر الذي لا يستبعد معه أن تفرق الأفغانستان في وجه من الغرض لبعض الوقت . وهو المصير الذي سنعاول تهيئة أطراف عدة . باكستان في مقدمتها . ولأننا نعلم أنها لا توجد في السياسة عامة كلمة «أخيرة» أو «حيدة» . فنبغي الانسحاب من الاعتبار مسار الحملة العسكرية الأمريكية الراهنة وتقليلها . وضغوط الرأي العام العالمي التي تضرب بعض الوقت رافضة لاستمرارها . لأن ذلك المسار سوف يؤثر بالضرورة على مواقف وحساسيات مختلف الأطراف .

انتظار إن لكي نلغ على نهاية الفيلم . ونعرف ما مصير اللامع وطاجيك وأسامة بن لادن ومنظمة القاعدة . ثم ما الذي تبلي من أفغانستان ومن الأمريكان على الأرض .

الغارات الأمريكية . أو من جانب القبائل البشتونية التي تعذر أن الانتصار لطايفان هو تخليص لقدم البشتون . الحكام التاريخيون «الغالبان» في مواجهة الأعراق الأخرى القادمة من الشمال مدعومة بالقوى الأجنبية (لاحظ أن عشرات الآلاف من البشتونيين المقيمين في باكستان احتشدوا على الحدود وهجروا العبور عنوة للحرب مع طاجيك) .

الطلب الظن أن قادة طاجيك الذين يفتكرون على ذلك النحو . لا يزالون مستقرين بتجربة الجهاد الأفغاني ضد الاحتلال السوفيتي في الثمانينيات . أو على الأقل فهذا ما فهمته من الوثائق الباكستانية المصلحة بهم . واستنداء هذه التجربة بين من خلل في القياس . لا يضع في الاعتبار جملة المتغيرات الدولية التي حدثت في العشرين الأخيرين . فهو يخلو مدخل أن العالم انتقل من المرحلة الثنائية القطبية إلى مرحلة القطب الواحد . وإذا كانت الولايات المتحدة قد شجعت الجهاد ضد السوفييت في الثمانينيات . فإن الكل ضدهم الآن . وإذا كانت باكستان أنذاك عملاً لهم وصمداً للإمداد والتموين والتسليح ومركزاً لتجميع الأعداء . فإن ذلك الباب المغلق الآن تماماً . ثم إن القتل ضد السوفييت إذا كان له لأي إيجاباً وحسيناً . جهاداً . فإن هتكيف الطرقي للقتال ضد أي حكومة افغانية أخرى لن يعطي بطلاً من ذلك القبيل .

في كل الأحوال فإن حركة طاجيك . في حالة استمرار وجوده ولا عسر . مستقل طرفاً لا يعنى تجاهله ضمن الاستقرار في افغانستان . وإذا استثنينا موقف إيران الرافض لأي دور للحركة في الحكومة الفيلية . فإن أغلب الأطراف الأخرى تميل إلى اشتراك بعض رموز الحركة في تلك الحكومة . باستثناء وفرة التناقض بين الفيليين الكيريين في قندهار (الحزبي وإيديا) . أو وفرة المتشككين والمتشددين . أو بشتون الجنوب الشرقي المتهمين سبياً في مواجهة بشتون قندهاريين في الجنوب الغربي .

هذا اللعب على التباينات يفتقر في أنه يستهدف شق الحركة وإقصاء الخلاص محمد . وهو الدور الذي يمكن أن نقوم به . من غير هرجاء الغارات الباكستانية وليغة الصلة ببعض قيادات طاجيك . والتي سيعود أن تستبعد للولايات المتحدة أو باكستان الإغرامات المالية لإحداث ذلك الشق . عن طريق استقطاب بعض زعماء القبائل . وربما أيضاً بعض عناصر الحركة ذاتها .

[١٠]

الفرض الأساسي الذي نحن بصدد أن نضع حكومة أخرى غير طاجيك سوف تتشكل في كابول . لكي تملأ الفراغ الناشئ عن غيابها ولو بصفة مؤقتة . والاختيارات الطروحة تتشكل تلك الحكومة ثلاثة . أن تكون برئاسة الملك طاهر شاه . وبمساعدة قادة التحالف الشمالي . أو أن تكون من قادة ذلك التحالف بقدرة منهم الرئيس السابق برهان الدين رباني . مستبعداً منها الملك طاهر شاه . أو أن تكون بمشاركة الجميع لك والاتحاد وجناح من طاجيك .

عودة الملك مرغوب فيها أمريكياً وأوروبياً بالدرجة الأولى . لكن الطريق ليس مفتوحاً ولا مهيأً أمامها تماماً . فالملك سيعود رمزاً وواجهة فقط . وأن يحكم بسبب ضعف صحتة (عمره ٨٦ عاماً) وإفما الذي سيدير الأمور هو ابنه

■ ■ ■ السلاسل هاندي إلى رحلة. عرقلت منطقة البدء فيها ولم تتمكن أكثر الآن من الوصول إلى كلمة ختاشياها. تساهلت عن الأدب الأفغاني ومولعه من الكتابات المصرية والعربية. دراسة وتحليلاً وترجمة. تحت تصورات أنثى ساجد بنفسى إزاء زحام كتابيات. توفى في إقامته خزانة. فإنه بي زلة حالة من القدرة الشديدة. وفاتها تعكس حالة عدم اعتماد عريضة شاملة باب هذا البلد البعيد الغريب.

كيف صار هذا الإهمال الشديد. الذي يصل إلى حدود الجريمة مع بلد تبنى منه مجال الدين الإسلامي؟ في قرية أسعد آباد من قرى كند التي تبعد ثلاثة أيام عن كابل. في رواية أنه ولد سنة ١٨٧٨ وفي رواية أخرى ولد في السنة التالية. وفي ٨ مارس ١٨٩٧ تولى الأفغاني على أثر عملية جراحية لإزالة سرطان في الفم. ودفن في نفس اليوم. دون أي مراسم في مقبرة عمادية بالإسكافية. وكنت انصوري أنه ولد في نيمية أيضاً. ولكن انصح لي أنه ينتمي إلى بلدة أسعد آباد حوران تقع شمال غرب أفغانستان وإيران. وجنوب شرق تركيا. وشمال العراق وسوريا. وأنه ربما كان من الأكراد. هذه الفئة التي قدمت لامة الإسلام والحربية الفضل ابتداءً عنها في الأدب والشعر والموسيقى والزراعة ابتداء من العصر الوسيط وحتى الآن. ولكن تلك قضية أخرى.

كانت حالته من الشدة إن جبال الدين الأفغاني خرج من أفغانستان. واكتسور محمد عمارة بصري على أيه أفغاني أسماً ولعلها. وهي هودي يذكّر في كتابه. طاباين جند الله في المعركة القلعة أن ضريح السيد جمال الدين الأفغاني في حرم جامعة كابل لم يدم تماماً وإنما أصابته لخرقة طامحت جزءاً منه وصهبا كان الخلاف والاختلاف المشير حول الرجل وموره. وشخصيته وتاريخه ومولده ونشأته ومذهبه ومرآجل حياته. وفاروق وفاته والفكر وعقليته وإيمانه. ولعلها. الزوم في العالم الإسلامي من أفغانستان إلى إيران ومصر والأميرالوية الحديثة. لا يمكن إنكاره أو التقليل من قيمته.

إلا أن البلد الذي انحصر منه لم يقابل منا سوى بالإهمال. قال لي الدكتور حسين صبيح المصري. أن السبب في ذلك هو حداثة الدولة الأفغانية. وأن أدبها المكتوب مورج بين أكثر من لغة. لفيها كتابات أدبية أفغانية ولكنها مكتوبة بالفارسية مثلاً. وكثير من المؤرخين صاملوا مع تراث البلد الفكري باعتباره جزءاً من التراث الفارسي. أو جزءاً من تراث شبه القارة الهندية. ولهذا. أكد لي - أن نجد ما تبحث عنه أبداً.

الموسوعة الإسلامية تقول إن البلاد المعروفة الآن باسم أفغانستان لم تحمل هذا

الاسم إلا منذ أواسط القرن الثامن عشر عندما تدع الجنس الأفغاني. وكانت المقاطعات المختلفة تحمل قبل ذلك أسماء مختلفة. ولم تكن للمملكة وحدة سياسية محددة. ولا الأقسام التي تتألف منها مربوطاً بعضها ببعض بأي رباط جنسي نو لوى. وكان معنى اسمها قديماً بلاد الأفغان. ويصف أبواب عن التكوين الجيولوجي. ووصف الجبال. والأنهار والتكوين العام والمناخ. والتقسيم السياسي والسكان والشعوب التي من أصل فارسي والجنس التركي والفولجي. الشعوب الأرية غير الإيرانية التي تتلفن جبال هوكوش. وفصل الوصول إلى ما جاء في الموسوعة عن اللغة والأدب في أفغانستان. أنوف أمام المعلومات السابقة لاستخلص منها بعض الحقائق...

أولها. أن موقع أفغانستان أكثر من استراتيجي وأكبر من مهم فهي مقفل بين حضارات ومول. وأن هذا الموقع يفر ما نعلمها أهمية من نوع خاص. فلد كان لغة طاردها عبر سنوات عمرها القليلة.

ثانيتهما. أنه هذه الدولة أسسها أحمد خان الإبراهيمي. أحمد شاه بابا. سنة ١٧٧٧ أي أن عمرها الآن بالحساب الدقيق مئتان وأربع وخمسون سنة. أعمال التصوب فإنها سنوات قصيرة جداً. لا يمكن سكان البلد من الانصهار لأن هذه عملية تدم غير قرون طويلة. إن الأجناس التي تؤلف سكان أفغانستان أربعة: الأفغان. الفرس. الترك. والمغل. سكان هندوكش الأريون. وبالتالى فإن مشكلة هذا البلد تتمثل في حداثة التاريخ التي تتناقض مع صلب الجغرافيا.

ثالثتها. أن للدولة الأفغانية حدوداً مع ست دول هي: إيران وتركمانستان وباكستان وأوزبكستان والصين وباكستان وإن كانت ليس لها ميثاء بحري. ولا تطل على أي بحر أو محيط.

رابعها: أنه طبيعة المكان وعرة. الجبال هي العلامة الأولى. فيها جبال عالية لمرجة لته يقال عنها سفك الكون والعالم. وجميلة لحد القول عنها سويسرا الشرق. كما قالت لي الدكتور عفاف زيدان رئيس قسم اللغة الفارسية وأديبة بكثرة بلد الأهر. ونها بلد ينلو من البيئة الفتحة التي تعبرها في عتائم الخلاء من علامات الحضارة في العصر الحديث

خامستها: أنه رغم قصر عهد الدولة فقد تعرضت لثلاثين. الأولى إنجليزية ١٨٤٠ والثانية سوفيتية ١٩٧٩ - ١٩٨٩. وكان الفصل نصيب كل منهما. فقد نعب الغزاة وبقيت أفغانستان.

عن اللغة والأدب في أفغانستان تقول الموسوعة الإسلامية. «إن الفلسفة التي يتبم الكلام بها في أفغانستان هي من الشبهة الفارسية. ما عدا التركية التي نطعم بها في إقليم جيوجون قبائل. جهاريمانق. ولغات الكامر في كافرستان ومن هذه اللغات الفارسية ويتكلم بها التاجيك في ولايت كابل وهراة. وفي مدينته الخاصة بهم في بنخشان وفوهندان. ويتكلم الفارسية أيضاً البزارة المغل وفزل بيش كابل وهراة الذين هاجروا إليها في القرن الثامن عشر وهم من

اللغيات التركية في شمال فارس. وظلغة الفارسية المستقلة في أفغانستان أدبية ولد حافظت على خصائصها الجبل والمعرف القديمة. ورغم اختلافها من الفارسية الحديثة.

واللغات الإيرانية الأخرى تنسب إلى الشبهة الإيرانية الشرقية. وتشمل الشهود مجموعة غلبة وبركست التي تكتب بها فيلابل أرمي. واليشنو أو الأفغاني وهي لغة الأفغان وتنتشر في كل بلادهم. داخل الشمال الأفغانية المطلة وخارجها. محدودة من الشمال بلغني كافي ورد. ومن التشرق بالبنجابية العربية أو الهندية. من الجنوب بلاد «بلوخي» ومن الغرب بالفارسية.

وأدب البشون التي استمر إلى وقتنا هذا بدأ في القرن السادس عشر وغالبه شعر وفيه بعض مؤلفات نثرية هامة واستلما إلى التاريخ مثل مخزن بشنو. ومخزن بسلا لأخون دوزيز. وتاريخ سرمع الفضل خان خطك. ولهم الشعراء شوشن خان زعيم السطك الذي سجن عدة من قزمن في بلاط الاميرالمور أوربان زيب. وميزور خان الأنصاري الشاعر الصوفي. ومن الشعراء الشيعيين عبد الرحمن وعبد الحميد. وقد ترك كل واحد منهما ديواناً له طابع صوفي لم عبد القادر خطك وأحمد شاه تلك المراتي الكهين. ويخبر الأفغان عبد الرحمن أحسن شعرناهم. ولكن الرأي الأيوبي يبطن شعر شوشال ليساطه وقوته. ويمكن التقدية وما هو إلا ترديد للمناجح الفارسية. وإلى جانب هذا الأدب هناك شعر شعبي حكلي لم يستمر الانظار إلا مؤخراً. وقد جمع دار مستشرق هذا الشعر فدفع عنه عادية النسيان. وهذا الشعر يعبر تعبيراً صادقاً عن عواطف الشعب الحيقالية في الحرب وفي امور السياسة والحب. وجمع توربيري أيضاً بعض الأغاني والأحاديث والأمثال كان نشر هول بعض لغات جيشاه. وليس لواحد من هذه الأغاني الشعبية تاريخ قديم. ولا توجد اشعار خصائية عن الهجرات الكبرى وفشوحات الجنس الأفغاني. ما عدا قصيدة خاصة بأحمد شاه. وأغلب هذه القصائد يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر. وليس فيها ما يوازن بالفصحى المعاصرة الجديدة التي لفيابل بلوخستان وفي لغة يشنو مؤلفات دينية كثيرة. نطقاً ونثراً. وقد طبع عدد كبير من هذه المؤلفات على الحجر في بشارت ولاهور. وليس لأغلبها قيمة أدبية كبيرة. ويمكن أن يذكر منها «مير حذرة» وهي قصيدة طويلة لشعها ميان محمد الصفاح.

بعد رحلة بحث مذهنة في مكتبات القاهرة سواه العلامة منها لو مكتبات الأصفه. عرلت على رواية مشهورة من الأدب الأفغاني الحديث. ورواية أخرى مخطوطة. ومقابله طويلة مع كاتبة افغانية. وقد استغرقت أن من يكتب الرواية في أفغانستان من النساء برغم القيود المفروضة على المرأة الأفغانية. وقد قالت لي الدكتور ماجة مخلوف الأستاذ المساعد بأسم لغات الأمم الإسلامية في كلية الآداب جامعة عين شمس: إن هذا من الأمور الطبيعية إن تكف المرأة النص الروائي. لأن الرجل متفرد طوال سنوات طويلة للجهاد والتفاح ضد أعداء البلاد. وكتابة النص الروائي تتطلب تفرغاً شبه تام. لا يحدث للرجل وإن كان يتوفر للمرأة.

أفغانستان من الفخر!

يوسف القصيد

ماذا تقرأ في روايات

وهي مؤلفة الروايتين ومراراً معروف كما يقول الدكتور محمد حرب مشرجه رواية -الهجرة من أفغانستان- ولدت في كابول عاصمة أفغانستان عام ١٩٦٠، ودرست المعلمين الابتدائية والإعدادية في أنقرة عاصمة تركيا عندما انتقلت والدها في الإزاعة التاريخية لفسد اللياقو الموجبة إلى أفغانستان. وتخرجت في مدرسة مسعود الخوري الثانوية للبنات في ولاية لاغمان الأفغانية. وهي ابنة التي تجرى فيها أحداث روايتها، وكان تخرجها عام ١٩٧٨. وفي ذلك العام قبض النظام الشيوعي في أفغانستان على والدها، وألقي به في السجن. فكان نوازماً أن تعود أسرته إلى جاريها موطنها الأصلي. واضطرت مرآة إلى العمل في تدريس اللغة الإنجليزية للبنات في المدرسة الثانوية. وفي عام ١٩٧٩ احتل الاتحاد السوفيتي أفغانستان احتلالاً مباشراً بواسطة القوات المسلحة السوفيتية. ومن هذا الاحتلال قامت السلطات في كابول بإطلاق سراح عشرات الآلاف من المسجونين المعادين لها، الذين لم يتم عملية تصفييتهم وقتلهم بعد. ذلك كنوع من الدعاية وحتى تخلف معارضة الشيوعية في داخل أفغانستان. وكان من بين المطلق سراحهم والده الخاتبة مرآة أسندت الحكومة الأفغانية لوالدها منصباً لكنه كان مراقباً في كل حركاته وسكناته بواسطة مندوب المخابرات الأفغانية. وعلى ذلك استقرت الأسرة مرة أخرى في كابول. وعملت مرآة معروف معلمة للغة الإنجليزية في مدرسة فالاجا الإعدادية للبنات في كابول. وكانت في نفس الوقت تدريس كتابية في أكاديمية المعلمين. ومن جانب آخر تستند طليقة مع أسرهما في تربية استعداداتهم للهجرة إلى مدينة الأنصار ببنزور. وكانت هجرة مرآة معروف مع والدتها وأختها في ٢٠ ديسمبر ١٩٨٠ إلى بنشاور وهذه الهجرة شكلت الهجرة الأولى التي خرجت منها الرواية.

وفي رسالة كتبها الروائية إلى أحد معارفها سنة ١٩٨١ تقول: إن أختها الكبرى جاهدت في الداخل -أي داخل أفغانستان- وأخاها الأوسط يشرب على أعمال الجهاد العسكرية في أحد المعسكرات على الحدود الأفغانية. وأختها الأصغر باع منجول في الشوارع. ورغم صغر سنه إلا أنه يقوم بدور في الكسب من أجل الاتفاق على أسرته. والدها يعمل في شئون المهاجرين الأفغان. في مكتب حزب إسلامي في باكستان. وهي تعمل معلمة في المرحلة الإعدادية للبنات وعضو اتحاد النساء في حزب إسلامي لرعاية نساء المهاجرين الأفغان.

الهجرة من أفغانستان

وتحت عنوان الرواية تعريف بها على طريقة جرجي زيدان. رواية والهمية تصور هجرة النساء الأفغانيات والمسنين من أفغانستان إلى باكستان. وما عبادت في الطريق من ظلم الروس والفساد الكفار وفنلج المرتدين وأحوال الصحراء ووعورة الجبال ومعاناة الخوف والاضطراب.

الهجرة من أفغانستان ثلاثية. الجزء الأول



منها عنوانه: هجرتي. والثاني: الظلم من
بغزى. والثالث: هجرة منور. والرابعة
تستخدم في هذه الروايات الثلاثة القصيدة
شعير الملتكم أنا، ومن الواضح أن الكاتبة
تكتب تصويها الثلاثة وهي مستفيدة إلى
معرفة واسعة بالنص الروائي الغربي الذي
اكتسبت دراسته في النصف الأول من القرن
العشرين. هذا رغم المحتوى الشرقي الذي
تحاول أن تقدمه.

تأخية وتضخم ثم للرجل الذي صعد معها إلى السيارة من ناحية أخرى، وهما ربائياتا، هي مفرقة على سحمة من المشقة. ولأن التفر إلى هذه الفتاة التي حرمت من ثمة الحياة، وإن كان الرجل الذي مع الروسية يطلب من البطة النزول، ولكن يتخذها ضابط أنفاني مذهب ويعيدها إلى السيارة، وعندما توفين دورية من جديد، تهبط: يا أهل الأرض، هل تنامون؟ ثمالوا وانظروا ماذا يحدث لمسلمي أفغانستان من مصائبها وما أن ننتهي من كتابتيه حتى تبدأ رغبة من رديفات الرحلة كتابتها، وهذه مجرد حيلة فنية حتى تواصل الحكى.

والآن، نحسن ونسجيا على الخبز الجاف الذي لا نجد له ولا تشكو من شيء، لمط العصب غصاً، تفضل الموت على الحياة في أسر الفكر. ونظن برغبة أكثر جوعاً. ذلك اليوم الذي نرتفع فيه أصوات الانتصار وننتهي الرواية هكذا:

والله مضم مورد، وهو كره الكافور. يقول الدكتور محمد في باب تصنيفه لهذه الرواية:

رواية تدخل في حقل الأدب الإسلامي وهي عمل إنساني أيضاً، إسلامي في أسلوبه وروحته وفي واقعية تصوير الجهاد ومشاعره الهجرة والمهاجرين وهى عمل إنساني يعود الناس لعرفة شعب مظلوم وعمره يسو هذا الضعب ورفعه بمخالفته على دينه وعقيدته وإنظره لتكون الحياة فأطعت العقيدة من شأن هذا الضعب الذي حارب - وما يزال - في سبيل الله أولاً وآخرى. ولم تقتصر دور الحرب الجهادية على الرجال فقط. بل شارك فيها وبمجانبة وأضحى: النساء والأطفال الإناثيات والبيد ومن الضعف. وكذلك الأطفال أيضاً. وشارك فيها من لم يساعده محمته وكبر سنه من الرجال والنساء يتبعهم في الهجرة والجهاد.



وفضلنا عن لثني لأصيل إلى تمثيل الأدب الإسلامي رغم وجود راية في الحققة العربية السعودية تدخل هذا الاسم بل وتصدر مجلة أيضاً. يمكن أن يقال إن هناك أدبا كتبه مسلم أو أدبا يطرح قضية إسلامية، أما منحه مسلم دينية فهذا يدفعنا إلى ضرورة الاعتراف بوجوده في مسيحى وأدب يهودى. وكان المرحوم الدكتور نجيب الكيلاني أول من استخدم تغيير الأدب الإسلامي وذلك في كتابه: مدخل إلى الأدب الإسلامي، الصادر عن سلسلة كتاب الأمة التي تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في قطر. جسد الأخرة ١٤٠٧ هـ. ولم يكف الدكتور نجيب الكيلاني بهذا الكتاب المتفطر، ولكنه كتب عدداً من الروايات الإسلامية كتمالك للأدب الإسلامي منها إيلي تركستان - عمالة إشمال - عذراء جاكترى - بعد يظهر في القدس - رحلة إلى الله، ويتحدث نفسه من أول القرنين إلى الأدب الإسلامي، بعد ما كانت هذه التسمية هي المستولة عن سبغ المؤلفة في الكتاب. فالشخصية لها بعد واحد، ليس فيها ما في البشر العاديين من تناقض وتناق وتناق والتناق وحيدة وتردد. لقد قسمت الأدب الرواية إما إلى مجاهدين وهؤلاء شخصيات كاملة متكاملة فاضلة، يشع الإيمان منهم، وروس وأفغان يتعاونون معهم وهؤلاء أشرار، متعمد المؤلفة كل الصفات السيئة التي تخطر أو لا تخطر على بال أي إنسان على الأرض، والحياة في الواقع

رواية تدخل في حقل الأدب الإسلامي وهي عمل إنساني أيضاً، إسلامي في أسلوبه وروحته وهي واقعية تصوير الجهاد ومشاعره الهجرة والمهاجرين وهي عمل إنساني يقود الناس لعرفة شعب مظلوم



تخلو من هذه التفسيف القروية. ذلك أن الطبيعة تخلو من اللون الأبيض فقط واللون الأسود فقط. الأبيض فيه ألف درجة من الأبيض، والأسود آلاف كدر من درجاته. إن اختصار الطبيعة البشرية داخل النص الروائي إلى إنسان وأفغان تحصر هذين من الدراسات الإنسانية في تخلفا وثقوة وترقعا.

معسكر الأراميل

رواية معسكر الأراميل مثل سابقتها مكتوبة بالتركية، وتعتمد على ضمير المتكلم وترجمتها مكتورة مأجدة مخلوق لتلميذ الدكتور محمد حرب، ومعسكرات الأراميل لا تعيش فيها إلا النساء والفتيات ومنهن الأولاد الذكور الذي لم تتجاوز أعمارهم الخامسة أو الثالثة عشر. كما تعيش فيها النساء والأطفال الذين لفظوا أعينهم، ومع هؤلاء تعيش أمهات وزوجات الشهداء، الرجال حول أو فوق، ولا ملجأ لهم سوى الله العلي العظيم، وتقدم إحدى الجماعات الإسلامية إلى تصاريح المومنات في كل أولئك الموجودين في معسكرات الأراميل منذ عام ١٩٨١، وهو العام الذي ننتهي فيه أحداث رواية الهجرة من أفغانستان. وذلك قبل قيام اتحاد الجماعات الإسلامية الأفغانية. كما كان بؤلة باكستان توليهم بؤرها إعتماداً خاصاً، وكل من يعمل في المعسكر من النساء مرضيات أو حارسات، والرجال الذين يحضرون بكمون من بريدين في خيمه صغيرة على باب المعسكر الدة راجع سامع كل يوم، هو وقت الزيادة التي راجع يومين من دخول المعسكر. وكذلك النساء الغريبات يمتن من الخلل ما لم يكن هناك سيد بير الزيادة.

المعسكر الذي تدور فيه أحداث الرواية اسمه: ناصرباير وهو واحد من عدة معسكرات موجودة في أنحاء بيشاور، وبالطلة واسمها أيضاً مرال. وهو اسم المؤلفة واسم بطة الرواية السابلة: «الهجرة من أفغانستان - ومرال تكلم من شقيقها عبد الرزاق اللهاج في المعسكر لأنها تريد كتابة قصته:

«كنت مشغولة في التعرف على أمهات شهداءنا، وزوجاتهم الضعيفات وأطفالهم الإبراء المساكين. كنت أريد معرفة كل شيء عنهم. نرى كيف استنصرنا قاربهم؟ كيف لقي الأخ والأخت والزوج والأطفال والأولاد. كيف لقي أحقهم في سبيل الله؟ وكيف لفظوا؟ وكيف عذبوا؟ ثم كيف استنصروا؟ من المواضيع أنها تستخدم ضمير المتكلم «أنا» في هذه الرواية أيضاً.

تتمثل مرال على رسالة من مسكر لادينية تعرفها من وجهة إلى طبيعة في المعسكر اسما: أسرى، وفراوية مطية، وتكتب وتكتب متناصية لها تعاني من الحر الشديد خلال رحلة الطريق مع شقيقها.

يفيض عليه وسجن في سجن بجلال آباد وتتمكن منه من زيارته وتصل وتكسى هذه الزيارات.

ولأن النساء يهربن من أفغانستان فاراراً إلى أفغانستان تونك أن تصبح من روايات الطرق والسفر:

«الطريق الحرق، أبنيا العرق التي لا تعرف النهاية أبداً، أبنيا الجبال المحمرة التي يصعب اختصارها، من يرى جدره كم ناف من البشر شاهدينها، إنك تريد مستندين عودتهم ذات يوم، يعلم شوق العودة إلى بلادهم، وقد تم لله نور إن شاء الله، نحن أمام قصة نخبر من داخل قصة، إنه شغل معروف في تراث الحكى، التشرقي، نتراف في كل ليلة وليلة، باتذاتي في الفترات البتيدة حيث يجتمع الملك، في سالف العصر والأوان - مجموعة من البشر، ويطلب منهم أن يتناوبوا على حكم هذه طولة له، كل واحد بعد فضل منها.

في هذه الرواية تفاصيل الرشوة، من يريد من يريد من أفغانستان لابد أن يدفع رشوة، ومن يريد الحصول على جثة شهيد لابد من دفع رشوة، وإن كان الرشوة وجوههم كاملة، فإن الذين يدفعون الرشوة مشغولون وجوههم وقصص، يتنور الإيمان، والصغار في المدرسة تخطي لفظهم بنور الإيمان. في رواية معسكر الأراميل جردة أكبر في مناقشة قضايا كثيرة، إننا نجد واحدة تقول فيها:

مناسبة للمعسكر، لأن الناس في كابول يصفون عن يريدى الشايدون، ترد عليها بن استمع إليها:

«إن هؤلاء الشيوخ هم سبب خلفنا، إن بنات العائلات الغنية كتبن سافرات ومعلمات والشيخون يتساقطون عن حنن، ويصفون اعرف عن أعظمتهم، في حين يجهلون من سولونا نحن وذهابنا إلى أفغانستان وأفغانستان السجائر إلا كبير، ويولون أن كل منهم في تقاربتنا، وإن كانت هذه تعد مناقشة وليست أملاً نأها إسماني في رجابة الشرائع الروائي، وتم لعل وصول طليبان إلى الحكم، وإن كان هذا حال النساء، فلما عن أشتاب؟ نقول الرواية: «أما الإنياء فطع انصموا بدهم إلى وثلة مجموعا، منهم من خرج الشعب، ومنه البرشمي، ومنهم من ينتمي إلى حزب الشبهة الخالدة، وهو حزب الصين الشيوعية، وكلهم يخدمون بالرفاء، فلا بد بينهم الخلاف، يبروا الخلفاء وأقوا بعضهم البعض.

تنتقل هذه الرواية عن الأولي أن فيها مواش تكتي خلييات الأحداث، ولو جعلت هذه الهواش وحدها، يمكن أن تدم سوجزا لتاريخ أفغانستان الحديث. في ربع القرن الأخير، وإن كان ليس واضحا أن كانت هذه الهواش من صمت الكاتبة أم أن التفرقة في التي أضافتها، حتى تسعد القارئ على الفهم والاستيعاب، وإدراك خلييات الأحداث، وإن كان ببلوك كاسميرل يحصل على أكبر قدر من الانهاسات في صلب الرواية، وليس في مواشها اتهام له بأنه يهودي، والمطوب هو الفصول عن الحكم، وطرد الروس من البلاد في نفس الوقت، ومن يطلب من أي أسرة خلع حجابها، لولا أنه ليس بغير صراحتا، أعيدوا إليها جديها، نريد الأسو من جديد.

تعتبر صاحبات الحكايات أن تدخل الله سبحانه وتعالى يمكن أن يحقق لهم النصر في حكاية مفرول عن بطولتها، بعد أن يلوم حجابها، بلولة بطلتها ويستفيدوا، يدخل الروس بحثاً عن الشهاد:

«فتنح الروس كل أرجاء، اللقمة تفنينا ديفاً فتنوا



**قسمت أبطال الرواية إما إلى
مجاهدين وهؤلاء شخصيات كاملة
مكتملة فاضلة. يشع الإيمان منهم.
وروس وأفغان يتعاونون معهم وهؤلاء أشرا.**
**تمنعهم المؤلفة كل الصفات السينة
التي تخطر أو لا تخطر على بال
أي إنسان على الأرض**

كتاب الزاوية



الصناعة والتجارة

والصناعة في تلك البلاد قليلة جداً وهي ما ورثوه عن
آبائهم من غير اهتمام بإجادة وإتقانه. فمنها نسج الأقمشة
الخيرية وعمل صنف من الكشمير غير الملون المسمى عندهم
«بتو» باللباء الفارسية والفراء «السكر» من جلود الحمل في
مدينة كابل. ومنها عمل الألبسة الملونة الجيدة في هرات.
ومنها الجوخ المسمى برك كما أشرنا إليه سابقاً في قبيلة هزاره.
ويوجد في كابل وقندهار معامل صغيرة لاصطناع المدايع
والبنادق والسيف.

ومعاملات بلاد الأفغان التجارية لم تكن غالباً إلا بينها
وبنى الهند وبخارى وإيران. فالصادر منها إلى الهند هو
الصوف والقطن والفواكه والتبّل بأنواعه تحمل على ظهور
الإبل. وإلى إيران البرك والفراء وصف من النعال وشيلان
الكشمير المجلوبة إليها من بلاد كشمير «وعتير سر» ويحلب
إليها من بخارى والهند الجوخ وأقمشة الكتان والقطن والشاي
والسكر والزجاج والخزف الصيني والقرطاس والفولاذ
والحديد والحاس والزئبق ودود القز والعقاقير وغير ذلك من
إيران الأقمشة والأسلحة. ويوجد فيها معادن كثيرة ولكن
الأهالي غير قادرين على استخراجها والاتضاع بها. ومنها
معدن الذهب في قندهار ومعدن الحديد في بلاد «خست
وكرم» ومعدن الباقون في كابل ومعدن الحديد والكبريت
والباقوت واللازورد في بدخشان. وغير هذه توجد معادن
كثيرة معطلة وهذا ما أردنا بيانه في كيفية سلطة الأفغانيين
ووضع بلادهم وطرق تعاضدهم وسرد تباينهم والله ولي
التوفيق.

في رحلتي الأدبية. ومن موهبا كانت القصة
للمصورة في النوع الأدبي المفضل عندي. وهي
اضطراب عربي أدبي بحسبه للكتاب الأجانب.
وخاصة كتاب أوروبا وأمريكا.
التفتت سوججى بكليّة الآداب ومدرسة
الفنون الجميلة بكابل. قضت عاماً كاملاً في
مدرسة الآداب في فرنسا. وعندما عادت لبلادها
سنة ١٩٧٣ وقع انقلاب محمد داود العسكري
على أي يد نائبه حفيظ الله أمين. وكان ذلك
بداية سلسلة من الصراعات. بعد ذلك خمس
سنوات قتل داود في انقلاب عسكري آخر. وفي
سبتمبر سنة ١٩٧٩ قتل الرئيس نور محمد
تراوي على يد نائبه حفيظ الله أمين. الذي
اغتنمته القوات السوفيتية بعد ذلك بشهرين.
ثم نصّبوا بابراي كاربيل على البلاد.

خلال سنوات الحكم السوفيتي العسيرة
لأفغانستان عملت سوججى مترجمة في
السفارة الفرنسية بكابل. ونشرت بعض
أعمالها في كابل رغم الرقابة. وذلك من خلال
النشر الأفغاني الوحيد في البلاد كلها وهو
اتحاد الكتاب الأفغان. وبعد أن تدهورت
الأوضاع في بلادها بسرعة شديدة سنة ١٩٩١
انتقلت زارباب إلى مولدبيّة بفرنسا مع
ابنتيها. وبعد أن استولت طالبان على كابل
سنة ١٩٩٦ لحق بها زوجها الكاتب الأفغاني
المشهور وافغور زارباب. سوججى كتبت
باللغة الداريجة أحد أشكال الفارسية والتي
تشكل مع اللهجات الفارسيّة الرسميتين في
أفغانستان. واسمها يعني بدر التمام.

تقول «بدر التمام» في حديث طويل معها
نشر في مجلّة رسالة اليونسكو. التي تصدرها
المنظمة الدولية. وتطبع ٢٨ لغة من لغات
الضام الحية. وأجرت هذه المقابلة معها
جاسمين سوبوا وهي صحفية في مجلّة
رسالة اليونسكو. تقول في هذا الحديث:
«لقد كنت محظوظة لأنني عشت في وطني
عندما كان في بداية تذوق طعم الديمقراطية
والحديث والإصلاحات. وعندما كان يحارب
النظام الإقطاعي الذي كان ما يزال قائماً في
بعض المناطق. وفي سنة ١٩٩٤ أقيمت قواعد
لّز. وتدار ما كنت ترى امرأة ترتدي الشافور
«الحجاب» في أي مدينة. وانضمت المرأة
بسرعة كل مجالات الحياة. فأصبحت طبيبة
وعضوا في البرلمان وجندية ومنظفة وسائفة
حافلة. وبما لم تكن تستيقظ كبيرة. ولكن كان
مواقبات في العديد من أوجه النشاط. وكان
نظام التقسيم في الجامعة متحرراً. ضم الشبان
والنساءيات وفُتحت أول مدرسة ابتدائية
مبتكرة. وكنت تستطيع أن تجد في كابل كل
أصناف الكتب من جميع أنحاء العالم مترجمة
للفارسية نحن نمشي حياة حرة وراضية.
ونحن نعمل الاجتماعات العامة. وننحدث
بانتفاخ وننشئ الأحزاب السياسية.
لم نقترب بدر التمام حتى الآن. تقول عن
الوضع الراهن في بلادها:

الحديقة. والحجرات والأسقف. فتشوا في كل
مكان بحثاً عن جسد أي واحد من أخوتي
الشهداء. لكن ذهب بحكم سدي. فكله نعالى
العظيم الذي سخر الفلمة لحماية أولئك الذين
استشهدوا في ميده في عهد الرسول عليه
الصلاة والسلام. هو الذي أعمى عين الكفار عن
أجساد أخوتي الذين استشهدوا في سيرة حتى
لا يتأخّر تفكير خلفهم ولا يسفروا أو يعلّوا
بأجساد الشهداء.

وتنتهي الرواية ببؤس:
«سقتلني الأفغانستان وعندنا سننتشر
نحن الصغار في كل أنحاء الدنيا. ونسارع
للجهاد وساطع إلى أن يرتفع نواء الإسلام خلفاً
لروح الدنيا كلها. الحق معنا. النصر قريب
بإذن الله والسلام. ثم كتبت: تمت بحمد الله
وتوفيقه.

من الواضح أن الرواية الثانية أكثر نصفاً
من الأولى. وهي رواية أحداث. ولكنها ليست
للجهاد وساطع إلى أن يرتفع نواء الإسلام خلفاً
لروح الدنيا كلها. الحق معنا. النصر قريب
بإذن الله والسلام. ثم كتبت: تمت بحمد الله
وتوفيقه.



والآن تلقي بكاتبة أفغانية ثانية لديها
جربة في طرح ما تريد قوله. تكتب القصة
المصورة. وهاجرت في الأخرى من أفغانستان
ولكن إلى مكان بعيد هو جنوب فرنسا.
وواجهت جماعة طالبان. وإن كنا لن نلتقي
بعض لها. ولكن بحديث طويل أجري معها
تنظم فيه عن نفسها وبلدها وما جرى فيه. بل
وتدعو زوجها إلى الحاق بها في المنفى. كلامها
سابق على الحق الأخيرة في بلادها. وربما
غيرت التطورات اللاحقة من موقفها. ولكن تبلى
شهادتها في جود الزمن الذي قبلت فيه.

بدر التمام

التعريف بها والتعرف عليها أولاً: اسمها
سوججى زارباب مولودة في كابل سنة
١٩٤٩ بدأت نشر القصص القصيرة وهي في
السابعة عشرة من عمرها. تقول عن تلك الأيام
البعيدة:

«ولدت من أبي حب الآداب. كان أبي رجلاً
من طراز خاص. لم يشعري أبداً أنني مجردة
فستاء. ولم يعضني من لسن أي شيء. ولم
يجبرني على ترك شيء. كان في منزلنا
تأثيريون عندما كنت طفلة. ولكن في كان يقرأ
لنا الشعر في الإسميات. وقد حفظت هذا الشعر.
تلفني على لحي من يومها. كان إذا بدأني في
إلقاء قصيدة. أعلمتها لنا حتى آخرها. كنت في
الثالثة أو الرابعة من عمري في ذلك الوقت. بعد
تلك كان للشعر كلاسيكي الفارسي الكبير

الفرار



تقدم
أحدث إصداراتها

محمد حسنين هيكل عام من الأزمات

كلام في السياسة
٢٠٠٠ - ٢٠٠١

في هذا الكتاب

هجوم الماخن
• عن المسلمين والأقباط في مصر
• المستقبل المزعوم للمصري
• رئاسة الدولة في مصر
• الدين والسياسة والأب
• كتاب وقفا، وملاحظة

هجوم الجوار

• الوثائق الإسرائيلية
• الطغواط اليهودية في
• الاستراتيجية الإسرائيلية
• مقابلات إسرائيل والسلام المستحيل
• مازق إسرائيل الأخير
(مع واقف ملهنا المروية)
• حدود السلاج



ما الذي بقي من
وطني؟ الأرض الزراعية
دمرت وزرعنا القمامة
آلاف الأمامل والأيتام
والشوهين، عالت في بلاد
الحرب والبرد
والجذب والمجاعة

والآن ابتكنا بطالين الذين لا يعرفون شيئاً عن أفغانستان إنهم طلبة على ديني، عملوا في كليات أفغانستان منذ الصغر، وجاءوا بطورة تدميرية تدمر كل شيء، لقد سمعت أنهم أهرقوا بمئات اللقروم كلها، واقتتلوا كل مناجار الفساق، وقد كان الفسق من أهم مصاربات أفغانستان، وكل تصرفات طالبان تحكمها فكرة واحدة: جعل البلد أياها تدمية ثامة. القضاء على الزراعة وعلى خطم الري، وعلى الاقتصاد لتصبح بلاداً مدمراً تدميراً تاماً. كان خراب الروس من الدبابات، وخرباب طالبان من الحرب، كنا محتلين بالتمصب السياسي، والآن أصبح لدينا تمصب ديني، والتمصب أيا كانت طبيعته يعنى البصيرة.



وتقول عن حالة الهجرة من أفغانستان... إننا شعب شديد الارتباط بأرضه وأسرته، والآن نحن مهجرون حول العالم، في أوروبا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا وآسيا، ومعظم اللاجئين لا يعرفون لغات البلاد التي لجأوا إليها، ولا يستطيعون الأمر حسن لو ست سنوات حتى يستطيعوا الانظام، إنه لأمر شديد الصعوبة أن نجبر على البحث عن ملجأ في مكان آخر في العالم، لقد استمرت الحرب عشرين سنة، جيل كامل ضاع وستة ملايين لاجئ أفغانى، إنها صورة مرعبة، إن تشبهت أمة هو الفضل وسيلة لحماها.

علينا أن نتحرك بسرعة، فسيب الوقت ماضٍ فينا، إن وطني يلفد جيلاً آخر، لأن الأطفال لا يتعلمون، التعليم حق أساسي لأطفال العالم، لما لا يمكن أن يكون حلماً ممكناً لصحبا أفغانستان؟ فلا يسمع لهن سوى بالذهاب إلى الكليات حتى سن العاشرة أو الثانية عشرة، وماذا يفعلن؟ يحفظن الشعر العربي، والعربية لغة لا يفهمها والأحال ليس بفضل بالنسبة للصبي، لقد أبى عدم وجود المدرسين والأدربين والتجهيزات إلى تحويل المدارس إلى دور رعاية بلا خدمات تعليمية، هذا دفع الناس إلى وجود مدارس سرية في كابول، الأمهات تعلمن الفتيات في البيوت، إنه نوع من المقاومة، ولكن يجب أن ننحلي المرأة الأفغانية بالخاطر من الشجاعة حتى تقدم على مثل هذا العمل، لأنه غير قانوني.

إن طالبان - تقول بوب التمام - تستمر على ٩٠ بالمائة من البلاد، والأمير لم يشوقت عند استئصال الأقليات العرقية واضطهادها، ولكن الشعب كله أصبح يعيش تحت التهديد المستمر بكل أنواع العذاب والإتال ومعظم الذين بقوا في كابول، لم يكن يقاتلهم إلا لسبق ذات اليد فهم يبيعون القوافل ليعيشوا قوافلهم عيشة بشكل يوق الخيال.

والآن المتحدة قصاصة، فهي تفكر ولن على شكل حكايات، وتمكن الحكاية التالية:

سمعت أن لحد الأفغان الذي كان يعيش في باكستان، لم مات وكانت وصيته أن يدفع في كابول، ففكرت أسرته أن تأخذه في نصحه إلى هناك، ولكن عندما وصلوا إلى الحدود الأفغانية، أوقفت طلبة الجبازة وأرادوا التفتق من محتويات القميص، حيث إن القهريب كان يجري على أشده وعندما رأوا جثة رجل الميت، ووجوده غير ملتح وهو امر غير إيجابي في باكستان، فعما كان منهم إلا أنهم قاموا بجثة الجثة لثمانين جثة غافيا لصاحبها على أنه كان حليفاً، إنه جنون بلا حدود، جنون مطلق.

ولأنها تعتبر نفسها امرأة أفغانية قبل أن تكون كاتبة، فهي تخط بابلها المرأة الأفغانية من قبضة هؤلاء المهورسين، ذلك أنه قبل مجيء طالبان إلى حكم أفغانستان كانت المرأة تشكل ١٠٪ من عدد المراسلين وهو دليل واضح على مستواها اللغوي، أما الآن فهي مستبعدة من المجتمع، إنها في أزمة شديدة جسدياً وفكرياً ونفسياً، فأمرأة لا يسمح لها بالذهاب في طريق رجل والأسوأ أنها مازالت تبايع كزريق أبيض في باكستان.

ونشي بدر التمام هذه المعزولة الضمنية بفشارل:

ما الذي بقي من وطني؟ الأرض الزراعية دمرت وزرعنا القمامة، آلاف الأيتام والأيتام والشوهين، عالت في بلاد الحرب والبرد والجذب والمجاعة، ملايين اللاجئين يعيشون في خيام، معظمهم في باكستان وإيران بدون طعام ولا ماء وفي ظروف معيشية غير إنسانية، وتعود نفسنا، ما الذي بقي من وطني؟

هناك أيضاً لكاتبة الأفغانية شجيبة هانسي الخفعية في باريس التي اطلعت عن رغبتها في العودة إلى بلادها، هذا في الوقت الذي يهاجر فيه الجميع ويهربون من البلاد خوفاً من الضربات الأمريكية المفاجئة، وهي ترقب في العودة حتى تشد من لزر بلادها في هذه المحنة، شجيبة هانسي في السابعة والعشرين من عمرها، وقد تم تلقيها إلى منفاهها الباريسي بعد نشرها رواية تدور حول فتاة أفغانية تعيش في الانتصار، وفي الرواية تعارض حركة طالبان وكافة مؤسساتها وقد قامت هذه الكاتبة بإنشاء منظمة دولية: أفغانستان الحرة تضم حوالي ١٥ ألف فرنسي وه مليون إنسان من العالم، وتقدم هذه المنظمة خدمات تعليمية ومالية دولتها تشمل إنشاء المدارس والمستشفيات، ففريق أنها رغم كونها متفدية في باريس بسبب معارضتها الشديدة لحركة طالبان إلا أنها تستنكر وبشدة أن يكون لزاماً من لأن أي يد في الاعتداءات الأمريكية الأخيرة.



أفغانستان

هل كان لتعمقات هذه الأحداث للزلزلة التي لا تزال انفضاضات قنابلها، تسقط على رؤوس أقرع شعب في العالم في أفغانستان، دورها في منح جائزة نوبل للكتاب بعد أكثر كتاب المصالح المعاصرين الكبار غطرسة ورسونة؟

السياسة من توجيه اختياراتها الأدبية، وأن التعامل مع نابول من الناحية الأدبية وحدها، بصرف النظر عن ملاحظات الفنون، حشي جاهدتي وأنا فكتا هذا المسال نتيجة جائزة الموكو الأدبية، وجائزة بوكو - وقد سبق أن كتبت عنها للقاء في العام الماضي - هي أولى الجوائز الأدبية البريطانية لثن الرواية. تمنح كل عام للفصل رواية مكتوبة باللغة الإنجليزية. فقد كنت لتابع، طوال الشهرين الماضيين، تعليقات الواقع الأدبي في إنجلترا بعد نشر لفصل الأعمال التي وصلت إلى التصنيف النهائية، وجدل لثقافت حول الروايات الست التي بقيت بعد التصفية، وتوقع المخبير بأن تلوح بها رواية الكاتب الأيرلندي المرموق إيان ماكسوين Ian McEwan (كفسارة Attonement) لأنها الفصل الروايات الست من الناحية الأدبية. أما إذا ما حاولت التعمق في جائزة نوبل للكتاب من قبل، فإن ماكسوين فإن بها قبل أعوام ثلاثة من روايته (المستمر) - فإن الفنون سيكون من تصنيف رواية (الوكسجين Oxygen) نادليز ميلر David Miller. ولكن إعلان الفائزة جاء لصالح رواية (التاريخ الخلفي لعضاية كيلي The True Story of Kelly Gang) للكاتب الأسترالي اللطيف في الولايات المتحدة الأمريكية بيتر كيري Peter Carey. وقد أضافت الجائزة، وتعليقات لجنة التحكيم أن موضوع الرواية المثير للفتنة السوفيتية، والمسيد بطلوات الإنجليزي في هزيمة من يتخدر على سطنتهم في أستراليا وإعدامهم العسكرية الفائرة، هو الذي جرى فكرتها. وبعد المعين اختصارها، فالحسبي السياسي إن، وباعتراف المحاربين في التحكيم لهذه الجائزة المرموقة، برجع كفة كاتب على آخر. لم يتبع الرواية قبل بواحدة من الناحية الأدبية أن تفوز على رواية أكثر منها حداثا واغنى خشوا، لأنها تتواءم مع موقف سياسي بعينه.

بعد تصريحات مكسي لجنة البوكو، واعترافهم بأن موضوع رواية كيري هو الذي رجع فكرتها للفوز، وانتخب المعايير الأدبية البصرية للجميل، لم أعد قادرا على تجاهل دور المناخ السياسي السائد في الحرب في ترجيح كفة نابول على غيره من كتاب آخرين كلفتوا على لفظة الجائزة، واثباتي الشعور بأن هذا الفوز غير مفصول عن رؤى نابول المضمرية، وإن كانت لفظة الأدبية الأفريقية هي التي تصب هذه المضمرية حداثا الجارحة، وتجعلها مضمرية فعلة، وحتى أشفي لجلي، عدت إلى نص إعلان الأكاديمية على أقدامي ليه على ما يؤكد هذا الشعور أو يتبعه، فوجدت في الإعلان عددا من المؤشرات التي ترجح كفة الشك والتشكي، لأنه يبدأ أولا بالكلمة للجملة للوزنة التي تغلغل فوزه بالجائزة - ولقد رعى توحيد الصور الشيق المحاسن بالتمهيع المخرق من العرض في أعمال تدلغنا إلى إبرك حضور التواريخ الملوحة، وإن فوذه الجملة العامة المثقبة، تشير ليه تشير إلى أعماله غير الروائية، وهي الأعمال التي تتلوى على

الاستكثدي، لفناء فترة الطب في جامعة لندن في السبعينيات. إلى قراءته عندما لاحلا رئيسي في التمكن من الفلاغة الإنجليزية، وعاني من إسباقي معاير الفلاغة العربية على المعايير المناظفة للغة الإنجليزية التي تعتمد جمالياتها على أبع من يجسد جماليات اللغة الإنجليزية المعاصرة. ذلك فلتني أعر من زمن غير قصير أنه جدير بحق بالجائزة، لو أن وجهيته وتحياته الغربية. فذا بأن ياهم الجوائز الأدبية الإنجليزية بما في ذلك جائزة - الموكو - الشهيرة عن روايته (في دولة حرة) عام ١٩٧١. بل حصل على لقب - مسير - عام ١٩٩٣ تقديرا لخدماته للأدب وللغة الإنجليزية. وترجع طهرته السوفية المدة، وهي أهم إنجازاته الأدبية بلاشك، إلا أنه وبغسل وغي فيه باللفة، وتوجيهي إلى الامتاع بدقته منذ وقت مبكر في حياته، كان يمارس تمرينات الفكر إزهاف ذكوتة للفوية بشكل يومي منذ كان طالبا في الجامعة وحتى اليوم. فله كان يعود إلى مكتبه كل يوم، ويتذكر الكلمات والتعابير التي صادفته في كل اليوم ويبحث عن المبررات المناسبة لمصطلحها بدلة وينس ترتيب ورودها وحولها، حتى يصل إلى فهم دقيق للنص وما حدث، ولغتي ما صادفه، أو ما شارك فيه من للمات وجوارات. إنه نوع من التمرين على التفكير والتشغيل معا. وقد تابعته مؤخرا شوا من أنه لم يعد ياستطاعه أن يفعل ذلك في السنوات الأخيرة وإن هذا عنه هو دليل التقدم في العمر. فإنجاب نابول الأدبي إن هو إنجاز ينض عن اللياقة الفوية التي لا أعرف لها مسلا إلا تلك التي يجسدها أدبيا الكبير نجيب محفوظ في ملطيرته على الكتابة بانتظام لأعوام وطوط، لفتني أعر في وقت نفسه عنه نابول الشديد للإسلام، ورجيته للخالص.

ومع هذا كله، وربما يسببه، فقد حاولت ألا أسارع بإتهام الأكاديمية السويدية بتمكين

اختياراتها ليست أدبية محض. وهل لمة شيء يمكن أن تصفه بلة أدبي محض في عالم كل شيء فيه مضمخ بالثقافة ووروداتها، وبالمسياسة وأهوالها؟ خاصة في مطلع القرن الحادي والعشرين، لأن جائزة نابول هي أولى جوائز نوبل للقرن الجديد، التي تبجل الإعلان عنها، لفراية المارقة وسط لسمكتات أولى حروب هذا القرن الجديد وأكثرها عبسية وحرارة. إذ تحارب فيها الولايات المتحدة، من سبق أن جندتهم ولسنتهم وبرتتهم لمحاربة عدوها القديم، ولمساعمتها في كسب الحرب الباردة. وهل من المناسب لجائزة بحجم نوبل وتاريخها أن تتزلق إلى أعلى هذا المزالق؟ وأن تختار كتابا يؤكد ما يسعى الغرب أن يتبعه، وهو عنه القرب الماقتل للإسلام، وللثقافات الغربية، ولا يمكن أن نجد الأكاديمية على فوتم المارشية لها من هو أكثر عداء للإسلام، أو أكثر شراسة في الهجوم على كل المبررات والأحلام التحررية لما كان يعرف باسم العالم الثالث من نابول، لكن نابول، والحق بال، كان على قوائم المرشحين للجائزة منذ سنوات. وهو باعتراف عدد كبير من الكتاب والمثقفين الإنجليزي أنفسهم من أعبد كتاب اللغة الإنجليزية نورا وأراهم أسلوا، ويعتبره الكثيرون الفصل ثالث إنجليزي معاصر، ويبلغ البعض في اعتباره الفصل من كتب النثر الإنجليزي في القرن العشرين. وقد لفتت لفتل إلى أعماله لفته الماقتل، وموجهته الأدبية التي لا مارة فيها منذ زمن مبكر. فلهذا لفتل الروائي الإنجليزي الشهير إيلين ووه Evelyn Wough ياول كتبه غير الروائية، وهو (المر الأوسط The Middle Passage) عام ١٩٦٣، فلاحا، إن السمد نابول وهو هنري شرقي من ترينيداد يسبح على اللغة الإنجليزية سيطرة معهضة، يندى لها جيسين الكثيرين من معاصريه الإنجليزي الذين لم يعلفوا شوا في التمكن من لغتهم.

والواقع أنني أعر من زمن غير قصير أن لفظة نابول الإنجليزية هي نموذج لأزى ما وصلت إليه الفلاغة الإنجليزية المعاصرة من صفوة وعذوبة، وفقد وجنهي المستأذ

لا يملك المرء إزاء إعلان فوز الكاتب الهندي الأصل، الترينيدادي الولد، البريطاني الجنسية واللغة، الإنجليزي اللغة، فيدياندر سوراجيسراساد نابول Vidyaadhar Naipaul V. S. Naipaul, V. S. Naipaul, V. S. Naipaul أن يتساءل عن مدى براءة الفوليت، ومدى تأثير الأحداث الدامية التي تتلوى في عاكفها المعاصر منذ أحداث الهادي عشر من سبتمبر المازلة لكثير من الرواسي والتصورات، على قرار الأكاديمية السويدية بمنحه الجائزة. فأحداث الهادي عشر من سبتمبر، وكما ستكشف لنا الأيام التالية، هي بالثمة علامة تاريخية فارقة على نهاية المرحلة التي بدأت يسقط حائط برلين، وانتهت بسقوط برجي مركز التجارة العالمي واجتياح البنتاجون، فلهذا كانت المرحلة التي بدأت عقب سقوط حائط برلين هي مرحلة غطرسة أفراد الولايات المتحدة بمركز القوة العظمى وتحتكمها في صدفات عاكفها المتكوط، وهاهي صدمة تلك الانجراف المدوية لجمعتها لثيق من معاصير الإنششاء فقولتها على عالم لفظ بالأنفوج لاعتزازها بأنها لا لافهم، ولا لستطيع الأفراد البقاء، فهل كان للتعلمات هذه الأحداث المازلة التي لا تزال انفضاضات قنابلها، أو بالأحرى فنابل اغنى دولة في العالم، تسقط على رؤوس ففكر شعب في العالم في أفغانستان، دورها في التأسيس على ففكر الأكاديمية السويدية، بمنح الجائزة لكاتب بعد أكثر كتاب العالم المعاصرين الكبار غطرسة ورسونة، ويوشك أن يكون المعلن الموضوعي في ملكة الكتاب للولايات المتحدة في مجلة الامم؟ أمي مارقة مارة تريد بها الأكاديمية السويدية أن تلت النظر إلى ما تتلوى عليه الفطرسة من دوس علينا استعابها وتامها؟ أم لنها، كما قال بعض المثقفين الأدبيين العرب، نوع من المشاركة السويدية في الجهود العربي الشرقي في معركته، أو بالأحرى حملته الصليبية حسب زلة لسان جورج بوش، ضد الإسلام والفلاط الإسلامية؟

تحتمل الإجابة عن أي من هذه الأسئلة الفنى والأيات، فلما أتهمت جائزة نوبل بأن

Half a Life
(نصف حياة)
V. S. Naipaul
Picador 2001, 224 pp., £ 15.99
In a Free State
V. S. Naipaul
Picador 1971, 208 pp., £ 6.9
(في دولة حرة)
A House For Mr. Biswas
(بيت للسيد بيسواس)
V. S. Naipaul
Penguin Books, 1969, 592pp., £ 7.9

نايبول: الكاتب .. والجائزة

صبرى حافظ



الغليان، وإنه كتب أدبا رديئا «زائفة» وبخس هو وصديقه الشناش أيضا صينارة كمينز - الاقتصادي الإنجليزي الأشهر - على الأقراس الهنود الضعفاء.

لكن نايبول، بمرارة المفارقة، يعتقد أنه ضحية أكثر منه محتدبا، وأنه دفع لمن شق دروب جديدة، وأن الكنديين لم يفهموه، وهاجموه بلا مبرر، وقالوا عنه القليل حمقاء، وكل جريته أنه لم يشأ أن يكون نفسه، أو ينسجج الدروب المظروسة. ويشكو من أن الكنديين ذوو عقليات محدودة، وإدراك قاصر. ولكن على المرء أن يحسن بينهم. ويشكو كذلك من انتشار الاعتقاد بأن أعماله غير المردية الل أهمية من أعماله القصصية والروائية، التي يخترعها الكاتب اختراعا. مع أنه يعتقد أن لكل استقصاءاته نفس الثقل ونفس الوزن والأهمية. ويولول أن كانت كتي قوية لأنها سبقي. أما إذا كانت ضعيفة فسوف تفتقر. ويزعج نايبول أن الرواية انتسخت كجنس أدبي، وأن هذا الزمن ليس زمن الرواية. ومع ذلك فإنه نشر هذا العام رواية جديدة هي (نصف حياة Half a Life) بعد سبع سنوات من الانقطاع عن كتابة الرواية. والواقع أن أراء نايبول المتناقضة، وكتابات غير الروائية التي تقسم كثير من الرحية والتعامل في قتي شفع الأخرين إلى مهاجمة. فدل فل مص ديريك والكوت - الشاعر الكاريبي الذي فاز بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٩٢ وهو مواطن لنايبول من جزر الهند الغربية هو الآخر - أن نايبول لا يحب التزوج. وقد أعلن أكثر من مرة أن إفريقيا قارة لا مستقبل لها، ذلك بدعوه للكاتب الهندي الشهير سلمان رشدي بالاستعصاري الأدبي الجديد Literary neo-colonialism.

وفيل أن تتناول دالات أخذ السياسي بعين الاعتبار في اختيار نايبول للفوز بجائزة نوبل هذا العام، علينا أن نأخذ الفكارى الغربي أولا هنا الكاتب الذي لا يعرف عنه الكثير. فقد ولد فيدياد سواراجيرام نايبول، والمعروف الآن بالسفير الجديد، في ١٧ أغسطس ١٩٣٢ بمدينة شاجواناس بجزيرة ترينيداد من جزر الهند الغربية الواقعة في البحر الكاريبي. لأسرة من الهنود جاء مؤسسها الأول، وهو الجد، في مبياء من منطقة شرق Uttar Pradesh بالهند في ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى ترينيداد، وتلقى تعليمها إنجليزيا بالرفقة الهندوسية، حيث ينحدر من أسرة من البراهمة. وهم طبقة رجال كهنوتات هندوسية، وهي من الطبقات العليا ضمن نظام الطوائف الهندية الإقطاعية المنغلقة على ذاتها، والتي تعرف بنظام caste، وكان الجيد قد أرسل صبيًا إلى ترينيداد ليصبح كاهن براهمي Brahmin واليندر في يصبح كهنة هندوسيا Pundit أي معلمًا دينيًا. كشيوخ الأهر عتدا، بالإضافة إلى جهود الدين هذا على كذا كذا، وبالإضافة وخاصة التجارة في الأشياء اللازمة لممارسة الطقوس الهندوسية. وتزوج في مدينته الكورادو، وهي مدينة هندية خالصة، نغمها جالبة هندية جنبها الإنجليز من الهند للعمل في مزارع القصب مع التزوج الذين جلبوا إلى هذه الجزر. وانجب الجيد

إثارة الاهتمام بأرائه الصامدة. فلد وصف توتى بليز - رئيس وزراء حكومة العمال الحالية في بريطانيا - بأنه «فرسان يراس حكومة مسؤولة عن نقض ثقافة العامة والأجلاف، التي ترفض نفسها بشكل قبيح، وتبهايها بأنها مستعمرية. ويورد عن أبناء العالم وطلقاته أبيض المخلوطات الاسترالية والاسترالية القديمة عنه، وبثقة تبلغ درجة التيجج. وهو كاتب كبير من حيث قدرته اللغوية وبراعته الأسلوبية من ناحية، ولكنه ينسج بضييق الأقق والظسرة والانتقار للكساة والقصاص من ناحية أخرى. وهو بارع في السيطرة على اللغة، ولكنه لا يستطيع السيطرة على مشاعره، إذ ينسج بضييق الخلق وسلطة اللسان. ■ بدوع عن الإساءة لأخريين بدم بارد، ويجب

حملاته القاسية على الإسلام والمسلمين، وعلى إفريقيا والآفارقة، وعلى الهند والهنود. ولا تقتل بالتركيز على أعماله الروائية أو القصصية وحدها. ثم يواصل إعلان الأكاديمية تأكيده على الأعمال غير القصصية: «نايبول جواب لدي لأفلاق، ليشعر بأنه في بيته إلا مع نفسه. ومع صوته الفريد الذي لا يضرع، ولا يتأثر بالموضات أو الأنماط الأدبية. وصاع من الأجاس الأدبية المعروفة جنسه الأدبي الخاص، الذي لم تعد معه الفارقة المعهودة بين السردى أو القصصى وغير السردى بنات بل. لقد امتد عالم نايبول الأدبي إلى ما وراء جزيرة ترينيداد وهي من جزر الهند الغربية، واستوعب الهند، وإفريقيا، وأمريكا من الجنوب إلى الشمال، والبلدان الإسلامية الآسيوية، فضلا عن إنجلترا. فنايبول هو خليفة كونراد في مشابهة مصائر الإمبراطوريات من الناحية الأخلاقية، وثأرتاتها على البشر. وتنبع سلطة سره من أنه متحيز في ذاكرة ما نسبته الآخرون، وتلواريخ المتأخرين.

إن الإعلان نفسه يشير وبشكل واضح، بعد أن ضمن ذلك بشكل غامض ومفكس في الجملة التمهيدية القصيرة، إلى كتابات نايبول الروائية والتي كان من الضروري في إعلان جائزة بهذا الحجم أن تقتصر عليها، وهي كثيرة، وإنما إلى كتاباته غير الأدبية التي يمزج فيها الوثقائي بالسردى بأدب الرحلات وأدب اللقل، والتي تناول فيها الهند وإفريقيا والعالم الإسلامي الآسيوي. وعندما يستعرض بقية الإعلان عددًا من أعماله الأدبية فيشير إلى أعماله القصصية الأولى، وإلى الفقرة المتعلقة أتي حلقها بروايتها المهمة (بيت للسيد بيسواس) والتي رافقه (الحياة القاصول) فإنه لا يسي أن يذكر بالاسم كتابه الأخير الذي كرسه لمهاجمة الإسلام بعنوان منير Beyond Belief وهو عنوان يمكن ترجمته على أنه (ما بعد الإيمان) وهي الترجمة القاهرة أو البريئة، ولكنه يجنى في الوقت نفسه صرخة الاستهجان الشهيرة عن شيء لا يصدر، ولا يمكن تصوره لغافته للقل والمنطق، وهذا الشيء، المستهجن الذي لا يصح هو الإسلام نفسه، أو بالأحرى اعتناق البعض له، بل إن الإشارة إلى هذا الكتاب في نص إعلان الأكاديمية تعني لعب العنوان على المعنيين وتستخدمه في سياق يبرز ما معا. وذكر هذا الكتاب الأخير بالذات، واللب على دالات العنوان التمازكي في إعلان الأكاديمية ذاته، الذي قطع عندي الشك باليقين. وهو الذي يعني بعد تعميم للسالة برومها إلى بدء هذا الحال بالطريقة التي بداته بها. وهو الذي لرهف وعبي يأنشأ في علم ما بعد الحداثة تعيش دوما على حالة التناقضات والمفارقات العرجة، فيبيننا نسج باليقين إزالة العوج عن القومية، تستنير الرغبة في الحفاظ على هيئتها إند التزجات القومية خصيا وبديهة. والواقع أن اختيار نايبول نفسه هو اختيار مابعد حداني بكل معنى الكلمة. فهو اختيار مخرج بالناقضات والمفارقات، فعدن بزاوه كاتب يوش أن يكون التجسيد الحي للهذه التناقضات كلها بشكل صارخ. فهو كاتب نشا



لثلاثة أبناء. ومات شايبا، فصارت أسرته من اللون، واضطر الابن الأكبر للعمل في الحقل كرسام لآلة خنجره. أما الابن الأصغر، وهو سبيراس نايبول Seepersad Naipaul المولود عام ١٩٠٦، ولد كاتباً -حائزاً للتعليم حتى أصبح قلبها هندوسياً كاليه. ولما تم تعليمه، لم يعمل باللغة الهندية، وإنما عمل منذ بداية حياته العملية بالصحافة، في جريدة «داعي ترينيداد» Trinidad Guardian، «Trinidad» وتزوج في مطلع العشرينيات من عمره، وأنجب سبعة من الأبناء (ولدين وخصم منات) كان كاتيبها هو الابن الثاني للأسرة. بعد شقيقه الأكبر، «كاملا»، وإن كان الذكر الأول بينهم، أما الإخوة الثلاثة، شيفا، Shiva Naipaul (١٩٠٥-١٩٨٥) وهو أصبح هو الآخر كاتباً، وإن لم يخلط الموت وهو في الأربعين من عمره. وبعد أربعة عشر عاماً من العمل بهذه الجريدة، وكان وقتها في السادسة والثلاثين من عمره، نشر مجموعته القصصية الأولى عام ١٩٤٣ بعنوان (جوروديفا وحكايات خرافية أخرى Gurudewa and Other Indian Tales).

ويذكر الابن فيديا، أو فيجو كما كان ليوم يدعو في رسالته له، وكان في الحادية عشرة من عمره في ذلك الوقت، يشغل قصة هذا الكتاب الذي عاش تفاصيل صناعته وقطوس ولارته داخل بيتهم في «ميناء أسبوتو»، يذكر جليب الأب لبروفاته التي كانت تجمع بالفلوئيد إلى البيت، وشارك الابن في عملية تصحيحها. ثم كتب انتقاداً لكتاب ألف في البيت، «فرض الكولوميا في زاوية غرف المبيت»، ونجاح الابن في توثيق تلك الفترة التي بيعت نفسه من أخرها. ويذكر في الوقت نفسه أن له ثناء كبيراً من الخطابات القصصية والهجائية بسببه. أهمها أصحاحها بتشويه صورة الهنود، والأسرة التي سجنهم من خلال تصويرهم لهم في كشاية. وكان أكثر هذه الخطابات إيذاءً لخسارة أبيه خطاباً من مسلم مهووس دينياً، أزجج الابن كثيراً، خاصة أن هذا المهووس الديني كما يقول كان فيديا نفسه في هذا بعد حيناً عام نشر هذه المجموعة، وبغاية القصص التي كتبها وقد بلغه منه في طبعه لندنية عام ١٩٧٦، استأجر مساحة في صحيفة «داعي ترينيداد»، ونشر فيها نقده لأبيه، وحل في ذلك الوقت بصورته. وقد نشر هذا الأمر على الأب كثيراً، وترك بعدها العمل بالصحافة، والتحق بوظيفة حكومية عمل فيها في قسم الأراضي الزراعية والمناطق الريفية. ويبدو أن الابن الذي كان ولا يزال شديد الغرام بأبيه، قد أسر في نفسه من هذا الوقت ضرورة الانتماء من كل المسلمين فيما بعد. إن شديداً قد أعار طبع مجموعة أبيه القصصية القصيرة، بعد أن ضم لها بقية القصص التي كتبها بعدها في كتاب بعنوان (أدبيات جوروديفا The Gurudewa) ونشرها لدى ناشره اللندني المرموق، وهو العلم الذي حلم به أبوه طويلاً. وهو أن ينشر كتابه في لندن، وألفه مات دون أن يخلقه.

هذا هو الأب الذي لعب دوراً مهماً في حياة ابنه فيديا الشخصية والأدبية على السواء. لأن فيديا يتعرف في طفمته لجموع أبيه أنه سطا على قسم كبير من قصة أبيه الشخصية، أو بالأحرى من سرده السرقات التي داه، (لقد سمع موهون، وديا بدأ إحدى رواياته، وزود هذا السطو على عمل أبيه بأولى نجاحاته الأدبية الكبيرة. لكن علينا أن نستيق الأحداث.

فقد انتقلت أسرة فيديا وهو في السادسة من عمره من مدينة ميناء ساجواناس ذات الإثنية الهندية، إلى مدينة ميناء فيسيفالاس ذات الإثنية Spain، وهي القارة التي نطرت سلبيا عليه، وتزعته من قلب الهند المحصرة والظلمة والهنودسية، إلى عالم خلابي غريب بعمره مزيج من البيض والزنج، وسطيير عليه للغة هجينة. ولذلك ترك فيديا الصغير في هذا العالم الغريب عليه همه في الدراسة والقرأة. وما بلغ الثامنة عشرة حتى كان قد تلقى في دراسته يشغل مكانه من الفوز بمنحة الحكومة الترينيدادية للدراسة الجامعية في بريطانيا عام ١٩٤٩. وفي عام ١٩٥٠، أي أنه نصف قرن بالتحديد جاء إلى بريطانيا لفتى بلى بها حتى (التحق بـ خطابات بين لب وابنته E. J. S. بينات) والتحق بجامعة أكسفورد، ودرس بها الابن الإنجليزي، وكان هو يكتد له مرة أو مرتين في الأسبوع، ويرد عليه بالبطيخ، في سلمه من الرسائل التي نشرت قبل عامين بعنوان (خطابات بين لب وابنته E. J. S. between A Father and Son) عام ١٩٩٩. وفي خطابات ترينيداديا للكثير من الاستبصارات الدالة لا حول ملالة الابن أبيه فحسب، ولكن حول الكثير من المرات التي كان لها دور مهم في تكوين تشيول الكاتب، وفي صياغة مواقفه ونصوره.

وتكشف لنا هذه الرسائل عن رغبة فيديا المبكرة في الهرب من عالم ترينيداد الضيق والحدود، وعزمه على الإيجود مرة أخرى في هذا العالم الضيق الذي تركه خلفه. إن كان يعني وقت ميكران طبيعة المجتمع الذي تمسح إليه تنموغ نوعية التجارب التي كتبت عنها، وأن هناك بعض المجتمعات التي تسمت فيها الحياة العظيمة والمهارة الإنسانية معاً بالحدودية، وهذا هو حال المجتمع الترينيدادي، ولما كان يريد أن يهرب من هذه الحدودية منذ وقت ميكر. لقد كان شديد الشغف بأبيه الذي يشعر أن طموحه الأبوي قد انطرد تحت عبء مطالب الحياة اليومية لأسرة كبيرة العدد. وربما كان هذا هو السبب في إقصائه عن الإنجاب بالرغم من أنه تزوج مرتين. فقد أصر على أن يتحمل مسؤوليات

أسرة تؤثر على طموحه الأبوي، كما كتبت طالب الحياة الأسرية طموح أبيه. كما كتبت لنا هذه الرسائل عن طبيعة عالم الخريفين الهنود، وتقدم لنا سجلاً حياً لحركة الأسرة الهندية من الداخل، ومدى حرصها على تعليم ابنها وأبنتيه وأحفادها، وعلاقتها حتى تتحقق. فأفسرة الهندية التي تطلع من هذه الرسائل بملفات المرأة بعضهم بالبطيخ، أسرة شديدة التماسك، يجب إقرارها بعضهم البعض ويحرصون على بعضهم البعض. فالكتاب لا يتضمن رسائل الابن لأبيه، والأب لابنه فحسب، ولكنه يتضمن عدداً من رسائل الابن لشقيقته الكبرى «كاملا» التي كانت قد تركت بيت الأسرة هي الأخرى، ونصحت للدراسة بجامعة بيناس الهندوسية.

كما تكشف الرسائل عن الشخصية القاتبة التي يسمها مع الأب لعم وأعمى من الرأيا في حياته، الأولى «بليترشيا هيل Patricia Helt» التي التقاها في أكسفورد، بعد عامين من وصوله إليها، ولقام علاقة وطيدة معها منذ ١٩٥٢-١٩٥٣. وكان أبواها بين ١٩٥٢-١٩٥٣ كل ما يكتبه، وكان أغلب ما يكتبه في هذه الفترة رديئاً، كما يقول لنا، ويصنع بإخلاص إلى ردود فعلها وتعليلها، ويقر لها مسرراً، وأقرتها على انتقاد الجيد فيها بقرار عليها وفزه من الخبث الذي لا يلمه له. وقد تزوجها بعد عام ١٩٥٥، ولما كان لها كل ما يكتبه حتى أيام قد بدأ القاذبة منذ وصل إلى أكسفورد، وأثجرت في العلم الأولى بها -روايته الأولى (The Shadow of a Livery) التي سار فيها على نهج روايات إيفلين وود وأسكنى منه أسلوب السرد والبناء فيها. وإن كان لفترة له، ورفض الناشر الرواية قرسها «فيديا»، وأصبح بالكتاب والإحباط لعام كامل، ثم كتب روايته الثانية التي لم تكن أفضل حظاً من الأولى، ثم التي بعد ذلك بيافيرشيا التي أخذت نكهة في مواطن القوة في نثره حتى يضيها، ومواكف النقص حتى يتخلص منها.

ويبعد ثلاث سنوات من الكتابة والقراءة المستمرة ليانترشيا، وبعد أن حصل على عمل

في القسم الكاريبي ببيئة الإنعاش البريطانية، وأخذت بعض أعماله القصيرة في الظهور بها، قبل أول كتابين له للنشر المطبعي، وأحد، وهما رواية (الملك الصب) وفي The Mystic Massour التي صدرت عام ١٩٥٧، رواية (The Suffrage of Alivra) التي صدرت عام ١٩٥٨. وما إن أقيمت الروايات، وإن لم تنشرها بعد، حتى جاء لأول مرة إلى ترينيداد عام ١٩٦٢، ولكنها لم تكن عودة سعيدة، بل تجربة مررة من العناء والعباء. فقد أرحقت تلك العمود من جديد لمواجهة الفاقة والعمران، وهو ليس فلاح الأسرة ومشاكلها الاقتصادية، وما إن عاد إلى بريطانيا بعد هذه الرحلة غير الموفقة حتى شرع في كتابة أهم روايات هذه المرحلة المبكرة في حياته الأدبية، وهي رواية (بيت للسيد بيوساس) التي تشكلت قصة جوريه من هذا القناع للشخول بوظيفة السليم على أفرد والجماعة، وبملاقات الهيمية المخوطة بين البلدان المنسلقة هندوسياً وبين المراكز الاستعمارية التي كانت حاضرة فيها من قبل من ناحية، وبين الأجيال الخمسة في هذه البلدان من ناحية أخرى، وهي القصة التي احتاجت إلى درس وتامل طويلين من الكاتب. لأنه بعد أن عاد من زيارته لترينيداد، بعد خمسة ست سنوات، وبعد رحيل أبيه عن الحياة كذلك، لم ينسج في كتابة هذه الرواية لاهمة على الفور، وإنما كتب عليها كتابته (شارع Miguel Street) عام ١٩٦٩، ويكن اعتبر هذا الكتاب، «و على علم في القصص A Flag on the Island» (١٩٧٧ المصطلح الذين يطويان على لمادة السردية التي ينض منها عنه. كما تفاصيل الحياة اليومية المفعلة في هذا العالم الكاريبي الرقيق الذي كان يعصر ناكرة لشباب البلاط عندما حارب ترينيداد في البداية، وهي بنى سرية تجريبية بغير فيها الفلور، وتتحول فيها المشاهد من خلال وقتها المشهورة لذاتها إلى استعارات مثقلة بالذلال، إن نصوص هذين الكتابين القصصية هي تجارب في اختيار بين الذاكرة، والخيال، والتاريخ، والميراث الثقافي، وقوى الفرد، ويجب يمتزج هذا كله في رؤية فردية ومتميزة، وهي تجارب في الكشف عن معضلة الإنسان الذي تدفعه مغالير الحياة إلى الانطلاق الرواسي والجذوري إلى الآن نفسه، وهي التجربة النفسية والوجودية العميقة التي تتناول عليها منظر أعمال نايبول السردية. وكان (شارع ميچيل) كان النوير البياس الذي لا بد منه للعمل على رواية الكبيرة (بيت للسيد بيوساس).

وينسج هذه الرواية الكبيرة التي تلغ في سقطة صفحة، ويعتبرها كثير من نارسى نايبول لهم روايات، بل واحدة من أهم روايات القرن العشرين، على مدار حياة أبيه الشخصية، وعلى شخصيته التي طلق بها يوم استقبلها في عمل وثقافي، وهي رواية تتسم ببنية سرية متعززة حيث يلعب فيها الاستغلال والخاتمة دوراً طارفاً للسرد، ومراظاً له في أن، وتسمي أحداثها السردية الشقية، وروايتها للمعز إلى تعليم عالم جنوب ترينيداد

قال عنه ديريك والكوت، الشاعر

الكاريبي الذي فاز بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٩٢

وهو مواطن لنايبول من جزر الهند الكاريبية هو الآخر.

إن نايبول لا يحب الزواج. وقد أعلن أكثر من مرة أن

أفريقيا قارة لا مستقبل لها. لذلك يدعوه الكاتب

الهندي الشهير سلمان رشدي لا استعاري الأدبي

الجديد Literary neo-colonialist



وكانه عالم رهب يعتد باعتماد قارة بأكملها، وليس مجرد جزء صغير من جزيرة صغيرة، لأن لراه هذا الصغر الممدد يمتدح له هذا العمق والنضج والإتساع معا.

يعد هذه الرواية الكبيرة كتب نابليون رواية أخرى تدور أحداثها في لندن هي (السيد ستون وتايك الفارس وال Knight's Stone) Mr Stone (Campanion) عام ١٩٦٢ يساعى فيها إلى تجسيد إنسانية السيد ستون، وهو رجل أعزب في الثانية والستين من عمره، في مجتمع يزرى بإنسانيته، ويهيش السيد ستون وحده في بيت يقع بأحد أحياء لندن المحترمة، حياة تتسم بالدفء والفراسة، واحترام الوقت، تخضع حياته لروتين صارم لا يتغير، على صمل الأسبوع، بل وعلى مدار السنة. فإيام الأسبوع عنده شغريفا فساتين الأنسة «ميترس» التي ترتديها لفتنا بعينه كل يوم من أيام الأسبوع، ولا يتغير عاداتها في ذلك اليوم، أما طقوسه اليومية فلها لانتشار في الأخرى، فهو يلقى عطلاته الصيفية في أوروبا، ويلقى عطلته عيد الميلاد مع أخته «دوليد»، وحفلة الكريسماس لدى عائلة «توتومينسون»، بصورة يبدو معها وكأنه يعيش في عالم قد توافقت فيه الزمن، وتختلف العادات والطقوس فيه تقوم بدور عراب ساعة كونية لا تتغير بمرورها، وتنفذ إنسانية السيد «ستون» من خلال إخضاع كل شيء للمشاكل المستمرة، ومراقبة السلوك والتدخلات، والتحرر من رتبة الأحداث الأيسرة، والوعي بالثقافة والصحية الصياد في الحكم على الأشياء، وتقييم الرواية مقابلته بين عالم التماكب المصاحب الذي يجعله في «ستون» وعالم البيت الهادئ الأخوي الحميم المميز، فالرواية توثق من حيث يتناها أن تكون همدية ورائية بأفكاره الحديثة والإفراق، بقدر ما يتقدم فيها الفكر بقدر ما تتخلل دلالته الرمزية والاستعارية، بحيث يدخل السيد «ستون» إلى استعادة قنطرة على بلورة جوهر الإنسان الغربي المعاصر ومحتنه في أن.

وفي نفس العام الذي صهرت فيه هذه الرواية نشر نابليون كذلك أولى كتبه المغامرة، وهي تلك التي تفتقر فيها الرحلة، بالمرس فيه القصص، بالماد فوق لائقية والتاريخية. فقد طلب منه إيرك وإليامز، رئيس وزراء ترينيداد في ذلك الوقت، أن يكتب كتاب عن منطقة البحر الكاريبي، وكان نتيجة هذا الطلب أن كتب (المرح الأيسر، أنشابات عن خمسة مجتمعات: بريطانية وفرنسية وهولندية في جزر الهند الشرقية وأمريكا الجنوبية) عام ١٩٣٢. وهو كتاب أعجبته كتب عديدة من هذا النوع الذي يمكن تسميته بها نص أدبي مابعد حديثي متزوج فيه الإنسان الأدبي، حيث يفتق فيه التاريخ بمقدرة القصص وصبرته، وتكتب فيها الاستكشافات القصصية ببراعة الصحفي الموهب بالتوليف والملاحظات، وتكتب فيه الاستدلالات السياسية بلغة الأدب التيهمكة اللامعة، ويتحول فيه أدب الرحلة إلى نوع من السرد الأدبي الوافي الذي ذبلغ فيه اللغة درجة عالية من المصطف والبلاغة، ويترجم هذا كله في خليط يعد حديثي يعرف المحرور بين اجناس الكتابة المختلفة، ويعتمد خلد الأوراق الأدبية

جميعها، ويوشك صدور هذا الكتاب أن يكون بمثابة صقن الطرقي في مسيرة نابليون الأدبية، لأن لنتاحه بعد ذلك توزع بين كتبه هذا النوع الجديد من الكتب، وبين كتبه بعض الروايات والمجموعات القصصية على فترات متباعدة. وقبل أن انتقل إلى هذا القسم المغامر من إنتاجه الأدبي، ساستعرض بإيجاز بلبية أعماله القصصية والأخرى، وأهم هذه الأعمال هي (في دولة حرة) (In a Free State) ١٩٧١، و(الغوريلا) (Guerrillas) عام ١٩٧٥، و(مخفي النهر) (Bend in the River) ١٩٧٩، و(الغشور على المرحز) (Finding the Centre) ١٩٨١، و(أحجية المرحول) (A Way Map) ١٩٨٧، و(نصف حياة) (Half a Life) ٢٠٠١.

ولما كانت الأعمال الأولى تنحى إلى استقصاء الجدل بين رأيي الذات بأنها والقصة في شرك عالم مخدوق بين الواقع السياسي وبين استحقاق تحقيق الذات البهائية عن خلاص يحفظ لها كبرياءها وكرامتها، فإن (الغشور) و(المخفي) تستوعبان العالم السياسي والتمشقي ضمن سعي الفرد الوجودي لتحقيق كينونته الفردية، وتعميان في سبيل ذلك لفظ القاص بين الباتني والمخشوعي، بين الرحلة والقصص، وبين السياسي والفلسفي، في محاولة، للتمسك على المرحز، الذي طالما طالبه أيوه بالبحث عنه في داخل الذات وليس غلجرجها، لذلك يتكون (الغشور) على المرحز من نصين سرديين متوازيين ومتكاملين معا، أولهما هو «مقدمة لسيرة ذاتية» وهو كما يؤكد العنوان سجل لسيرة غير مكتملة بالطلع، بل هي إنساني ناض بسبب نفس الفكرة البشرية وإمراكها لحدودها إكثانياتها، وهو إقرار لا يتخطى إلا مع تضع أنفاسه الكهولة والاقتراب من غمبات الشيوخه، ولأنهيهما هو «منصاح ياموسوكو» يجسد لنا بحث الكاتب عن المعنى من خلال الترحال وجوب الإتقان وتوسيع مداركه وأحاساس ومعرفته بالعالم الحديث، به وهو ترحال يعرض الذات أو بالأحرى يعكسها في التجربة بالمعنى الخشحي لهذا التعبير، أو

بالأحرى بالتقيض المسيحي الذي يتنصره للرب الأيخيلنا في التجربة، وتدور التجربة هذه المرة في عالم غريب نسيها على عوالم نابليون، وهو «ساحل البعلج» في قلب القارة الأفريقية، وهي موقع تجرية (في دولة حرة) كذلك التي تدور أحداثها في الأخرى في أفريقيا، وتقع بعض وقائعها في القارة والأفصر، ولابد أن وقوع الكثير من أحداث هذه الرواية في مصر سيرسها لترجمة للعبية في موجه ترجمات أعمال المألفين بنوبل للعبية كالعادة، حيث نجد الذات لها ليست مشدودة إلى مثاليتها، وإنما إلى تلقاضها، ومع ذلك فإن هذه التناقض البهائية تسمى في الأخرى لمعرفه متعلق هذا العالم الخالي من المخطئ، والواقع أن تجربة (الغشور) على المرحز النشقة هي تجربة تفكيك الذات لكتابتها لنفسها، وهي تجربة ما بعد حداثة كل معنى الكلمة.

لذلك كان من الطبيعي أن تكون رواية نابليون الكبيرة الثانية هي رواية (أحجية المرحول) وهي تفتقر رواياتها الخشفا سيرته الذاتية، وهي الرواية التي تنمحي فيها الفواصل بين الرواية والسيرة الذاتية، لأنها في حقيقة الأمر الأولى بكل معاني الكلمة وإن اعتمدت على الكثير من تفاصيل سيرته الذاتية، أو بالأحرى هي الرواية التي تخشع حدود التجربة الروائية ذاتها، وتوسع هذه الحدود إلى أقصى درجة، وتستخدم هذه كلسامه العالم وطرح قضايا الموت والفساد والظن والفتن، وروى هذه الرواية الكبيرة وبطلها هو بطابع كاتب من ترينيداد يعيش في بيت ريفي كبير في إنجلترا، ولقته في خيطه الأمر شخصية مزبوجة، تقع دور الكاتب والمراقب لعملية الكتابة معا، وتقال معني البهائية والذهلية في الكتابة الرواية، بقدر ما تجسد أحوالها طبيعتها في الحياة والكون، لأن الكاتب يلغى عدة بدايات محتملة لروايته، ويتركها للحد داخل الرواية لنفسها، ولكنه يدرك في الوقت نفسه، أنه ما أن يختار البهائية حتى يصر السرد بعيدا إلى نهايته المحتملة، فليس لدى الكاتب زرف الخيارات النهائية، كما هو الأمر مع البهائيات، وتشتايز إنسته الرواية عن العملية الإبداعية حدود البهائية والنهاية، لأن الراوي أفسها لا يروي عن البطل، بقدر ما يسعى لكتابتها حقيقة الكاتب، وطبيعة العملية الإبداعية ماتها، فالرواية في مستوى

مئة نصف قرن بالتعديد

جاء إلى بريطانيا التي بقي بها حتى الآن،

والتحقق بجامعة أكسفورد، ودرس بها الأدب الإنجليزي.

وكان أبوه يكتب له مرة أو مرتين في الأسبوع، في سلسلة

من الرسائل التي نشرت قبل عامين بعنوان (خطابات

بين أب وابنه وقد لعبت دورا مهما في تكوين

نابليون وهي صياغة موفقة ومصورته

من مستويات الدلالة فيها هي رواية كاتب يجعل نفسه شخصية روائية إنسانية للتعلق في أعماق الشخصية، وأعماق ذاته في كن حتى جن خلال هذه العملية معضلة الشخصية وحيرة الكاتب معا، في إدراك معني الحياة ومعني الفن ومعني الوجود، ولا يتساءل الإنسان عادة عن هذه المعاني الكبيرة إلا عندما يقاها بعمدة الموت القاسية، والواقع أن صدمة موت «ساتي» - شقيقه نابليون الأصغر منها بمياشرة - عام ١٩٨١ هي التي دفعته إلى كتابة هذه الرواية، وكأنه بدأ بالكتابة عن نفسه الموت، كما فعلت شهرزاد بقصتها، وقبل أن ينتهي منها يشغف الموت شقيقه الوحيد، شيلاء، عام ١٩٨٥، والذي كان هو الآخر كاتبنا نشر سبعة كتب.

أمر روايات نابليون، والتي كسبها بعد قطعان عن الرواية لتسبع سنوات، ونشرت قبل شهرين، هي رواية (نصف حياة)، تدور داخل عالمه العقلي والروائي الأخرى، عن عالم البشر الذين يعيشون خارج غير متعلقة، كما هو في العوالم وعن الحياة التي تنشق إليها، والتي تتنكس أبدا من أن يحياها بمرغ شدة توفها إليها وانخلاصا من هذا المنهج، وتثور في إحدى وإليات الهند المستعمرات التي كان يسوسها مهاجرا حرم نشاطات حركة الاستقلال، ثم تنتقل بأحداثها إلى الضمانيات، ومرحلة ما قبل الاستقلال، ثم إلى أفريقيا البرتغالية بعد ذلك، ويعطو بها الرواية إلى تحقيق الفكر المتميز في عالم كتيب، ويصغر من أسره من طلبة الكهنة الهولنديين، وأمر كما أعانق تصاليم غنادي، وتزوج امرأة من طائفة اجتماعية أدنى، أيفتخر أن معا في طبيعتها، فلا طلبة الأعلى تعلق زوجها، ولا طلبة الأعلى التي تقل زوجها من خارج طلائها، أما الابن «دولي» هو بطل الرواية بل هو مشغون بنوع من الضبط الروائي للإهانات التي هانت منها أصيب برض طائفة أهل لها، ويتوجه «دولي» إلى إنجلترا للدراسة، ويعمل فيها في هيئة الإذاعة البريطانية، ويتدمع في مجتمع المهاجرين الهنود هنن، وتجسد الرواية حياة منطقت «نوتيتج هيل» وهو جوهريسية في الضمانيات بمراتها وملامها وبداية مرحلة الانطلاقة الجنسية فيها، وتشكل هذه المفاومات حسب الرواية لأنها تكشف أهمية الجنس في حياة الإنسان، وتكشف في الوقت نفسه عن غربة الإنسان حتى في أكثر لحظاته الحميمة، وحينما تندلع أحداث النصف القصصية الشهيوية في «نوتيتج هيل» بقدر نرك لندن، ويذهب مع «ثاء» التي تعرف عليها في هذه المرحلة في أفريقيا البرتغالية التي جاءت منها، وإلى المرحزة التي تركها لها جدها الاستعماري فيها، وهناك يكشف «دولي» الجنس من جديد ويعطو في عوالمه، «لام» «ثاء» فحسب، وإنما مع زوجة صديق من عتها، ثم مع الصغيرات الأفريقيات اللواتي لم يتجاوز الرابعة عشرة من العمر، وتوثق هذه الرواية أن تكون دراسة نابليون المعجمة للجنس، وأن تكشف لنا في الوقت نفسه عن سر تخلفه بزوجه الجديدة «نظيرة» التي تزوجها بعد عام واحد من رحيل زوجته الأولى «دوت ريفي»، وهذا مسلكه ساعد عليها قبل.

لكنني أود أن ألفت الآن، وبصدا أعكث نثاوي الموجز، بأي مسبار من المعايير، نروايات نابليون التي



كان تدميرها كاملاً. بحث فيها، وبعد ملائتي سنة من إنقاذ بريطانيا لها من براثن الإسلام لأتزال مضطربة وجريحة، أو كآخرة حضارة جريحة، كما يقول غنواك الثاني عنها. أما إذا ما انتقلنا إلى المعين الذين كتبها عن البلدان الإسلامية الآسيوية، فإن القارئ المسلم ما يثبث أن بشرى بالدم والخيوط عندما يقرأها من هذين الكتابين. ليس فقط لأن نابيلول كاتب ذكي حائق يوظف قدرته اللغوية الرائعة، وبهذه في سرد الوقائع وتصوير الشخصيات، ولقدرته على التعمق في المعالم المارقات، بل لأنه يقرأ بكل ما يراه في المعالم الإسلامي، وكشف ما تخفي عليه الشخصيات والمواقف من نفاق وتناقض، ولكن أيضاً لأنه يعي أنه يكتب لقارئ غربي مستشرق، يشاركه الكاتب متوقفاً معتقداته العقلية وتصويراته الإنسانية التي ترسبت منذ مسيرة التنصت الأوروبية، ويكشف له مدى تناقض كل ما هو إسلامي، من خلال القائل المصدق وتصرفاتهم، كما الأسس العقائدية والفكرية للحدادة الغربية. وما يزيد غيظ المسلم وحقله على كتاباته أن كثيراً ما يطرعه من واقع المجتمعات المسلمة وتغلغل فيه فكر كبير من المصدق، ومعارف لا يلبس به من التجنّي. ولكن القارئ الشرقي لا يستطيع التمييز بين الاثنين، ويصور بسبب

والواقع أن نابيسول لم يتخلل في تناوله الهند عن طرح المسجد من أرائه المتخلفة والمستحقة عن نظام الطوائف الاجتماعية الهندية، ورغبته في الحفاظ عليه، ورغبته في بوضوه الجارية. لأنه يعتقد أن الهند لا يصلح فيها لوعي الغربي والعربية، ولا يجب أن تسمح للغرب بحركة الحراك الاجتماعي. فلذلك يجرى الفرد فيها مع قبيضة أو عقابته برمنها. لأن الطبيعة هي التي تحمي الفرد في هذا العالم الصعب. ويؤكد في هذا المجال على أن كارتة الهند الكبرى لم تكن الاستعمار البريطاني، وإنما خمسستام عام من الغزو الإسلامي والدمار. وإن محاولة تجديل هذا الغزو الدمار وإعفاء أي حسنة إيجابية عليه تؤدي إلى فقدان الهند كارتيتها. وإن من الزيف أن تقول إن المسلمين علموا الهند من العرب، أو أخصيه الثقافة، بدلاً من الكشف عن حيلة الدمار الفاح الذي أطبقوه بها. ولأننا نأخذ الداعية فاعلة فيها حتى الآن. فقد دمروا الحضارة الهندية تدميراً كاملاً، دمروا كل شيء، وحكروا الهند بالصيد والقتار، وساموا أهلها العذاب، واستعمروا الأوروبيين بالبرصوم في أسواق النخاسة. ولأننا لم نجس الانجليز إلى الهند، فإن الهند كانت خربت شاماً، وشحرت إلى الخلال بارسة، ويعتقد نابيلول أن تدمير الإسلام للهند

(Caribbean Revised) عام ١٩٩٥ لم نتخل للهند حيث كتب عنها ثلاثة أعمال هي: (منطقة الظلمة - An Area of Darkness) عام ١٩٦٤، والهند: حضارة جريحة - India: A Wounded Civilization عام ١٩٧٧، والهند: ألف عصيان لحد الآن - Million Mummies Now) وبعد ذلك العالم الإسلامي الذي خصه بهلمين أولهما (بين المؤمنين: رحلة إسلامية - Among Believers: An Islamic Journey) عام ١٩٨١، وثانيهما (ما وراء الإيمان: رحلات بين Beyond Belief: Islamic Journeys) عام ١٩٨١. وفي اعتناؤه الإسلامي (Excursions among Converted People) عام ١٩٨٨. هذا فضلاً عن عدد من الكتب التي صم فيها مقالاته المختلفة والتي تتناول الكثير من جوانب هذه المناطق الثلاثة إلى جانب أفريقيا وعدد من بلدانها المختلفة. ولأننا كان من العسير علينا هذا أن نتوقف عند هذه الكتب الجديدة التي تتناول فيها كل هذه المجتمعات المختلفة بشكل تفصيلي، والتي تكشف عن رؤاه الفكرية وتصوراتها المرسخة للخلاف حولها. فلذلك من المستحسن دمج أرائه للمرة الأولى للحد من سلطتها بصورة موجزة. لأن هذا الجانب الخلفي من نشاط نابيلول الأديبي يحتاج إلى أكثر من قلة منقولة إلى هنا.

تشكل إنجاز الأديبي الجدير بالتحديد والاهتمام. إلى تناول الجانب الآخر من نشاطه الأديبي، والذي استأثر بما يقرب من نصف كتبه الخمسة والعشرين. ولا هي تلك الكتب التي يمزج فيها بين صمغ الكتابة المختلفة والتي تقرب من الاستقصاءات التي تعود حول الرحلات واكتشاف الثقافات، والبحث في الوالت نفسها عن هويته وماهيته وجذوره. والواقع أن هناك ثلاث مناطق أساسية خصها نابيلول باستقصاءاته، ويمكن أن نقول إنها كلها تتمحور حول بجدته عن جذوره الهندية، أو هويته الأنجلوهندية إن شئنا الدقة. هذه المناطق الثلاثة هي منطقة البحر الكاريبي، أو جزر الهند الغربية التي انصهر منها، والهند، وعالم آسيا الإسلامي الذي يعد من أفنديسيا حتى إيران. وقد كتب أكثر من عمل من كل منطقة من هذه المناطق الثلاثة. بدأ أولاً بمنطقة الكاريبي حيث كتب (المر الأوسط: انطباعات من خمسة مجتمعات: بريطانية وفرنسية وهولندية في جزر الهند الشرقية وأمريكا الجنوبية - Impressions of Five Societies: British, French and Dutch in the West Indies and South America) (فلسان القرواني عام ١٩٦٩، والهند - Loss of Aldora (زيارة منطقة الكاريبي من جديد

نابيسول: لا أنتقد الدين

الآسرية. لقد كان الناس هناك يحكمون ويدينون بحكمهم. الأمر يشبه على أسس أخلاقية، لا يمكن مجتمعاً متسامحاً لا العالم الاستعماري، والعالم المصدق الذي نشأت فيه، العالم الهنوسوي. ولهذا فقد أرتد الأذهاب بعيداً، لقد كان لدى تصوير بان الهند في العالم الخارجي الأوسع يفترون بسبب كينونتهم. لقد عادت أسنوت من الظل الشفيع، وعانيت كثيراً لكي أجد عملاً، أو مكاناً لأعيش فيه، أو حتى لكي أجد صوتي الخاص. أنجرت ثلاثة نساء من الهند في الخمس والثلاثين سنة الماضية. منطقة مظلمة ١٩٦٤، الهند: حضارة مجروحة ١٩٧٧، والهند: مليون منصرم الآن ١٩٩٠، وكلها تصم لرد فعل متواصلة لها. فغالبية تجاه لك، كيف تعلق على تلك في ضوء رؤيتك لتجاسات جديد للهوسوية في الهند، خاصة بعد وصول أصولي الحكم.

حسناً، الأدبيات الهنوسوية والإصولية، إن افكاري حول هذا الموضوع معقدة للغاية، لا بد أن تعود إلى حضارة مجروحة، حيث كانت رؤيتي أن الهند القديمة قد أسدلت تقريباً ستار الغزو الإسلامي، وما يحدث الآن منذ مجيء المستعمرين والاستقلال إلى حد (لحاف)، كان فقط ماجير، نوع من الحياة الهنوسوية، ولا يمكن أن نسميه انبعاثاً جديداً، والمهنة ليست الحقيقة نفسها. بسبب الهنوسوية ومعتقداتها، لقد جاء هذا التنصت بشكل غير مباشر من أوروبا. نحن مجرد منظر للحقيقة الأوروبية. لقد مات القديم القديم، ليس معنى هذا أنني لا أهتم به، ولكنني أعني أنني أريده أن

استطع أن تتطلع لما وراء ذلك. لقد أتيج لي فقط الرجوع فليداً إلى عائلة جدي لامي، وبالنسبة لي، إلى العلة كان الأمر مجرد ظلام مطلق، إنني حليفة لأحاول أن أكتشف ما أسميه بمنطقة الظلام.

ما ورجعت بلاكوك للوراء، ولتقل لعام ١٩٥٠، وهو العام الذي أنشئت فيه لندن، ضمناً ماذا كان عليه ف.س. نابيلول حينذاك. لابد أنك كنت صدياً صدياً يرتحل عبر البحار إلى بلاد غربية تعلماً ساعياً لتحقيق طموحه، أعنت أمة مما كان يبعث عنه ذلك الصمغي ذو القضاية عشر عاماً؟

حسناً، نعم، لقد أرتد أن أكون مشهوراً للغاية. لقد أرتد أيضاً أن أكون كاتباً، إن أكون مشهوراً بسبب كتابتي. ولكن لغرائبي الأمر، لم يكن في ذلك الوقت لدى أية فكرة عما أريد أن أكتب عنه. لقد كانت أسرتي فقيرة للغاية، ولها فهد سحين يهدف للفوز بمحنة دراسية لانتقاراً. وكان ذلك أمراً صعباً للغاية، فالحكومة البريطانية المستعمرة تريدنا في المسئلة عن المنحة، وكان يفرض بها عدد كبير للغاية، ربما أثار بها ثلاثة أو أربعة بعد حصولي عليها. لقد أرتد دراسة الإنجليزية في أكسفورد، وليس بسبب الانجليزية أو بسبب أكسفورد، ولكن لأنها كانت بعيدة عن تريدينا، ولأنني ظفنت أنني في أعرف شيئاً ما عن ذاتي، وأن أجد مادة لكتابتي. لقد جئت إنجلترا بطلوني الطموح والجهل، وهناك أمر آخر هام للغاية. لقد كنت مضطهداً بكرة حضارة حياتي في بلد مستعمر. لقد كنت مضطهداً أيضاً لسبب آخر يتعلق بشكل خاص بمررتي الهندية الهنوسوية، وهي المتأزمات

■ في فوز نابيلول بجائزة نوبل لعام ٢٠٠١ ليكون حقله أخرى في سلسلة الخُطاب التي أثار فوزهم بالجائزة بدلاً سياسياً مثل الصمغي جواك الحيدية التي تناول فيها كل هذه والأني جوتنجر، براس بل يشير فوز نابيلول بالجائزة - وقد رشح لنيلها منذ سنوات عديدة - حساسية سياسية خاصة بالهند ما جعله كتاباً - ما وراء الإيمان - وبين المؤمنين - من أراء عنصرية وموقفه المتأففة للاصولية الإسلامية.

في عام ١٩٨٨ نشرت بان نشر Random House في لندن كتاب نابيلول الشهير - ما وراء الإيمان: رحلة إسلامية بين الحضارتين لدين جديد - وهو كتابه الثالث والعشرين وبعد تكمله لكتابه - بين المؤمنين: رحلة إسلامية - الذي نشره عام ١٩٨١ وأجبرت مجلة @random وهي مجلة تصدر على شبكة الإنترنت وتابعة لدار النشر المصدق مع الكاتب الشهير، هذا الحديث في شهر يونيو من العام ذاته. وهذه فقرات من هذا الحديث الطويل تعكس اتجاهاته المعرفية وتخلل موقفه من الإسلام كما جاء في كتابه، أجرى الحديث في دلهي الكاتب الهندي تارون ج. جيمبال محرر مجلة Outlook الهندية.

■ لقد زرت الهند لأول مرة منذ خمسة وثلاثين عاماً. وبعد بعد ذلك مررتاً سواء للكتابة أو لفصل الإجازة - ما هو صمد واحد المستمر بالهند؟

إنها في الحقيقة تمثل جذوراً، إن أسلافنا ولدوا هنا. ورغم ذلك فقد ولدت لأعظم شيئاً عنهم خارج حدود لحددي لابي وامي، لم





مهارة المرد وحشد التفاصيل الجسدية التي يوظف فيها الكاتب مهاراته السردية. إن كل ما يلعبه له نابيل هو تصوير محايد للواقع الذي يتجول في قبائليه، وللشخصيات والأحداث التي صادفها في رحلته.

والواقع أن براعة نابيل الأسلوبية، واستخدامه بلاغة اللغة الإنجليزية التي تعتمد على المفردات والكلمات والتحكم والرواجية الدلالات هي التي تجعل هجومه على الإسلام فعالاً. لأن هذه البراعة الأسلوبية هي إرثه لدس السهم في المعسل، غسل الوصف الشيق الذي يتألق فيه المشهد وتنضج الشخصية بالحمية من فوق الورق. لتكتشف كيف يخيمه المأساة كما نصاب محترق، ثم يدبر له ظهوه ويتوجه للمجد للصلابة، وكيف يكذب عليه في وضع التماسك، ثم يرفض أن يتناول الطعام إلا مسلته، ويخلص من هذه المحالطات التي تملأ كتابه، إلى أنه ليس له دين أكثر اهتماماً للدينيون من الإسلام. وليس له من آخر يفتح أعين الإنسان على كيف تدور الأمور في الواقع والمجتمع... وقد حاولت أن أكتشف كيف يمكن للإسلام أن يتجاوز أمور العبادات والطقوس وأن يصمم خلافاً وثورياً. وأن يتجاوز المحلفات الدينية، ويصعد لنهضة حداثية تلتفت على الجديد

وترى به، كما كان الحال مع المسلمين في أيام مجدهم الغابرة... لكن الإسلاميين يتصورهم غير هتار يرضى يساقون من التوثيق بأفكار الآخرين دون أن يقدموا البديل، وهم يكتفون بدفع البشير لدين ينهض على الإيمان ويتحدث الأساليب الإنسانية البسيطة، ولا يستطيع أن يحسن المسلمين من بلبية العالم لو يقدم صورة بينهم وبينه. (بين المومنين ص ١٧)

إن الرد المطبق على نابيل في هذا المجال لابد أن يتم باللغة الإنجليزية التي يؤثر فيها وبها أولاً، وعلى أرض العقل والمنطق التي يقدم عليها معاجاته لغنياً. لأن نابيل كاتب ينسج وحدة الذكاء والعجرفة معاً. ولم تهره حقاً إلا تلك الحقلة التي شنها عليه واحد من أخلص أتباعه له إلا وهو الكاتب الأمريكي المعروف بول ثورو Paul Therox الذي كتب عنه كتباً مثيرة، فيما يارب من زمرعاته صفحة، بمن أن (قال الصير فيديا: صفة غير خمس فترات Sif Vidia's Shadow: A Friendship in Five Comments) ١٩٩٨. وكان بول ثورو قد اتصفى نابيل لاند مسرة في أن يغدو في التفسيرات، وكان من لاند للمجيبين به، واستطاع أن يمسارن بمقامات نابيل وأن يصيح أحد أصدافه الغربيين، كتب عنه بعد صدقة وطيبة وطويلة كتاباً جميلاً بعنوان

(ف.س. نابيل: مقدمة لأعماله V. S. Naipaul: An Introduction to His Work) عام ١٩٧٧ حل فيها أعماله الروائية بشكل يتسم بالعمق والمصاحبة. لعله ويعد وفاة زوجة نابيل الأولى، والسنه عام ١٩٩١ بالصعوبة الحياتية نظيرة هانا على Nadira Khanum Alvi وزوجها منها بعد ذلك بوقت قصير، حدثت الفقرة بينهم، لآه ما إن جاءت ثوري إلى بيت نابيل في مقاطعة ويلنشاير حتى أخذت -كأي امرأة تريد اقتنص من آثار المرأة السابقة وأصحابها التي لاتزال تتمر العيت- في الاستفادة من كثير مما في المنزل، بما في ذلك عدد من الكتب التي كانت به، والتي أعلمها أصدقائه، ولا أحتفظ بول ثورو أحد كتبه التي أهداها في طبعته الأولى لنابيل بياح في مزاد علني في نيويورك، وقد بدأت المزايدة عليه بوال وخمسائة دولار بسبب أهمية الإهداء، حتى دارت لثرتي ونال على أستاذة زوجته، خاصة عندما انضج الأستاذ إلى صف هؤلاء الجديده ضد تمكيدوه التي، ورفض الأصنام لشكوه.

ويصف لنا هذا الكتاب الباطني الذي كتبه ثورو، والذي يكرننا بصلون من "ديوان الغدار والمأزني، أو على السطوة، الطرائي وغير ذلك من كتب المعاداة الأدبية الصلبة الوطيس،

صفحات مطوية من تاريخ الاستلا وتصرفته، ومدى شعوره الداخلي بالمراة والغرور معها، وتصرافته التي تنسج بالصعوبة إلى حد أنه رفض أن يخلع حذاءه قبل أن يدخل أحد المعابد في الهند، لأنه يظن أنه يخلع الإنسان يتسم بصديق الخلق وعدم التسامح.

والواقع أنه إذا كانت كتابات نابيل غير الروائية خاصة كتابات مترعة بالعنف الرمزي الناجم عن التمييز والعصبية وضيق الأفق المدوم بغيره خارقة على توظيف اللغة ببراعة لصدمة هذه الضميريات وتبريرها، فإن هذا الكتاب هو نوع من الرد عليها بلغةها وأسلوبها معاً. وهو كتاب يستحق أن نتوقف عنده هو الآخر لأنه يشكك لنا عن حقيقة كل من نابيل وبول ثورو معاً. ولا أخفيكم أن تكون نابيل الشديد من اللغة والقدرة الخارقة على التحكم فيها، وهي كما رأينا بنت تاريخ طويل من المراس والادب، لم توفرنه تلك الطمانينة وراحة النفس التي يمكن أن ترتوي من الصدرة على امتدادها وطابعها، وإنما طردت، وإنما طردت حدة مزاجه، وضيق أفقه، وإحساسه بالمرور والقفرة، وهذا هو ما جعل فوزه بالجائزة إشكالياً، وما نال من أهمية إنجازه الأدبي الكبير. ■

بل الظروف والمؤثرات!

يبرس، أن تغرب منه بظفر من الزمبة، بظفر من الذهب.

■ ما الذي أطلق شرارة كتاب الجديد حول الإسلام (ما وراء الإيمان)، وهو كتاب قلتي حول هذا الموضوع، بعد سبعة عشر عاماً؟ حسناً، كل ما أعاني تلك علاقة ما، كل كتاب له علاقة بما يبله، كل شيء يبدأ برعيجتي الخاصة، إنني أفتشك لكي أتحول إلى أكتشف كل توجه تلك الخلفية تاريخ العالم الجديد، أفريقيا، إنجلترا، الكثير من الهند، ثم العالم الإسلامي، العالم الإسلامي خارج حدود العربية، لم هلزني أمراً تاليف هذا الكتاب، أو أن أتناق مرة ثانية للنول التي تكرتها في "بين المومنين"، الأمر الثاني: هو أن أقال شيئاً ما من الهند حضارة مجرحة، لأن الجرح الذي وصفته في هذا الكتاب كان جرح الفزق الإسلامي، الذي لم تطف من الهند حتى الآن، كما لمسر، ولقد لاسني هذا الدفاع في هذا الكتاب، خلافاً لسألي، إلى فهم الصالة العصبية العصبية لتفهم لدين آخر، في الإسلام في جوده من عربي بالضرورة، هؤلاء الذين ليسوا راء وأصبحوا مسلمين ينظر إليهم العرب بوصفهم متحولين، والحالة العصبية الدينية تلك تضيء من حقيقة أن الإسلام ليس ديناً يتشبع الفزق فيه بل هو عصبية، التمسني، ليس فقط مسالة تأمل، إنه دين إعلان و تصرير، دين القوطين، بالإشراق المصارع برسول يعد رسولاً خاتماً، إنه أمر لا يشهد في شيء آخر، دعنا نقول، في الهند وديانتها القديمة، حينما يصيب شخص ما خارج العالم العربي مسلماً، فإن إيمانه يتطلب منه أن يند

كل ماضي، وبطريقة مشوقة، إن، فإن ذلك يعد معارضةً للأفكار الحديثة عن الترات، الأفكار الحديثة عن التاريخ والبحث في الماضي ملقي، وعين التحول ملتان على كل ذلك ما كان يشأله، إن القيا ليس البيايا، أعني الإمكان المسبة في مكة تصبح هي إمكانية للفدية، وليس هناك أماكن مقدسة خارجها، إن هذا متعني الاضطراب العصبية، إنه كل ما يهتبه المرء، كل ما يتناقل من أجله، إنه نوع عميق من الكونولوجيا، يجب على المرء اللول، بل وأعني لآه يتكوى إلى عورة ميتة.

■ هل هذا الأمر أصيبق بالإسلام، أم أنه الاضطراب العصبية لكل المتحولين من دين آخر؟

حسناً، لقد تسني لي فقط دراسة نوعين من التحول، واحد هو أهم التحولات في العالم القديم، وهو تحول العالم من الأديان الكلاسيكية إلى المسيحية، حينما تحول ما يسمون بالوثنيين إلى المسيحية، لقد كان عليهم أن يتخلوا عن معتقداتهم القديمة، ولقد فعلوا ذلك بسهولة تامة، لأن الأديان الجديدة - سواء الإسلام أو المسيحية - كانت مليئة بالآثار الاجتماعية التي لم تحظ بها الأديان القديمة، لبدأً من أفكار، كل الإساءة وفصل الخير والسماعة، في الحقيقة لم توجد في دينته من الوثنية، ولينا لأن هناك شيئاً ما ريتكاليا الوثنية، ولينا لأن الدين لاكتشف بلواقعه الجديد، إلى الأمر لا يتقبل بالإسلام وحده، ما افترض أنه أمر متعلق بالإسلام هو هذا الرفض للثاني، التاريخ الشخصي للفر، هذا الإصرار على أن تكون اللغة للفدية هي اللغة العربية.

تارون ج. تيجال

في ماليزيا هناك الآن جماعة متعصبه نريد أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في ماليزيا، إنها جماعة صغيرة ولكنها تمثل الطريقة التي يمكن أن يتحول بها المتحولون. ■ وهذا النوع من الاتصال، هل يخلق كل شكل التمدد في المجتمع؟ نعم، أعفد أنك بمجرد أن تبدأ، بمجرد أن تفكر أن تكون متحولاً مثل ذلك، لا يمكن أن تكون مواظاً جيداً أو ثانياً بدرجة كافية، ولقد وجدت ذلك أمراً مستحيل، حتى في ماليزيا عام ١٩٧٩، حينما كان الناس يحاولون أن يتخلصوا من ماضيهم الشخصي إلى الأمر عندهم يبدو وكأنه تحول أن تجعل نفسك جديراً من الداخل مثل كوب فارغ، لقد أرادوا التخلص من عاداتهم العرقية، مثل عادات الزواج وهي مراسم متوسمة، وأعتقد أنه إن على أن تفكر في متحول كلمة للدين في مكان مثل باكستان، فإنها مترتبط في الحال بملاتها بالسلطة، إنها تستخدم لاد كصيفة نهدي.

■ قد سمعت أنك مرة تقول أن الإسلام الآن بحاجة إلى نهضة، بلية طريق تعتقد أن ذلك يمكن أن يحدث، إن كان ذلك ضرورياً، ولماذا هو ضروري؟ إن هذا ما يوقعا في مشاكل في الحال مع الأصوليين الذين يتبعون في ما قاله الرسول يجب أن يغطي مزماً بوال الوقت، بعض النظر عن عبية التحويل التي تحكم الحياة، إننا بشكل واضح بحاجة إلى أن ننظر إلى وضع المرأة، وفكر التسامح مع الأديان الأخرى، التي يجب أن تكون جزءاً من الإسلام للفرح من جديد. ■

■ العنصر والحياء الفكرية يمكن أن يحددا فقط

حينما يكون العقل متفتحاً، ولكن هذا الأجوبة كلها لم تمتح لك، ليس هناك مجال المزيد من المناقشة، ما يجعل منها ثقافة مغايرة لآية الجدية أخرى حية، ولها القدرة على التكيف مع هذا أو ذلك.

■ هل تتوقع مع صدور هذا الكتاب الجديد أية مضايقات من المحافظين عن الإسلام؟ لا أعفد ذلك، أعفد أن الناس قد ينتقدوني، ولكنني حريص جداً ألا أنتقد ديناً أو مبادئ دينية أبداً، إنني ألتحد الآن فقط عن المؤثرات الاجتماعية والتاريخية. كل الكتب معرضة للفتن، وهذا ما ينبغي أن يكون، ولكن هذا الكتاب، الذي ليس كتاب رأي، في كتب الاكتشاف التي تمت بتفكيكها، كتب أطوار أو أعمل باتجاه صيغة أدبية جديدة، فبدأ من يكون المسافر هو أكثر أهمية من الناس الذين يرتحل بينهم، نحن لنفأس أهميتهم أيضاً، إنني أعتقد أن الناس الذين أسلمهم، أقتب من تجاربهم، ولهذا، فإن هذا كتاب يعبر عن تجربة شخصية.

■ وسيكون من الصعب جداً أن تكتب فيه نقصة إذا ما قرأته بهذه الطريقة، لا يمكن أن تقول إنه يسيء إلى شيء، إنني أفتسم التجارب الإنسانية وأصعب نموذجاً التجريبية الشخصية بطريقة ما، يمكنك ببساطة أن تقول أن هذا كتاب قصص، كتاب كتابات. ■

عن مجلة: Random
ترجمة رانية خلاف



ماك

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مطبوع

شرقي

سجاد أطفال

قطع موكيت

مشابيات

دواسات حمام



بواقى التصدير والرواكد

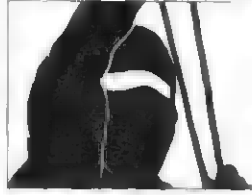
مراكز البيع:

مصر الجديدة: ١٢ ش محمد المهدي - نيل الوفا أرض الجولف ت: ١١٧١١٢
مدينة نصر: أرض المارمض بناية (٩) شارع الصفري ت: ١٠١٦٣٠
الزيتون: ١٢ ش عين شمس - ميدان حلمة الزيتون
عين شمس: ٢ ش أحمد عرابي من أحمد عصمت أمام مزرعة الزهرام الخويل
ت: ٧٩٦٦٥١٤
ت: ٣٣١٢٤٦٤
الشرابية: شارع الألابي
المرج: ش ثروة السلفوطية عمارة سميد شاهين
العريفيين: ميدان الحرفيين عمارة الربيع
شبرا: ٦٤ ش روض الفرج - دوران شبرا
ناها: ٦٢ ش ناها بولاق الدكتور
الزاوية الحمراء: ٦ شارع منشية الجمل عمارة الممدد أمام مصنع الخلف
الإمرانية: ٢ ش عبد الرحمن مطر
إسماعيلية: ٢٢ ش الوحدة
الهرم: ٤٥٦ أول ش الملك فيصل
مصر القديمة: ٦ ش أثر النبي
المعادى: ٢ طريق نصر حلوان الزراعي محطة المطهمة
حدائق القبة: ١٤٥ ش مصر والسودان - محطة الجراج
القاهرة: ١ ش سوق السلاح
القناطر الخيرية: ٢٥ ش النيل متفرع من ش ٩١
شبين القناطر: ٩ ش الدلتا
دكرسى: ش محطة المدينة عمارة التعميم
العشر من رمضان: دروا العاشر - طريق الإسماعيلية
الفيوم: ش ٢٦ بولاق عدلى بكن سابقا
دمهور: ١٢ ش الشيخ عبدالكريم
ميت عمر: ١ ش بورسعيد
سوهاج: ٢١ ش النهضة بجوار عمر افندي
حلوان: ٢٧ ش أحمد بدوي من رابل
المنزلة: شارع عبدالمصطفى رياض عمارة الدكتور الغربي
فيصل النصارى: ٢٥٧ شارع الملك فيصل
بلقاس: ش طريق الحرية - خلف المحكمة
العاشر من رمضان: الحي الأول
العاشر من رمضان: المجاورة ٩
مكرم عبيد: ٢٥ شارع أبو داود الظاهري - مكرم عبيد
الأفصر: ش مدرسة الصنيع - السوق التجارية
السيدة زينب: ٣٨ شارع مرسيه
مكرم بك: الإسكندرية ٦ ش أحمد عرابي من شارع مسجد الحضرة ت: ٢٠٢٩٨١٧

العباسية: ١٥ ش العباسية - ميدان الجيش
بنهم: ٢٢٩ ش ١٥ مايو أمام حي شبرا الخيمة
بنها: ش الكوبري
السويس: ١٦ شارع الجيش
محطة الكبرى: ش شكري القوتلي من ش الجيش
طنطا: ٨٧ ش سعد الدين من ش القناس
المنصورة: ش الجمهورية أمام كلية العلوم
كفر الشيخ: ١ ش الشهيد محمد الدرداش الشبتاني
الإسكندرية: ٥٠ ش مصطفى كامل أمام كلية التربية الرياضية - طنطج ت: ٥٨٠١٧٧
رحاب: برج ومادو بالإسكندرية
صفط اللبن: سنتر الصاوي - شارع التحرير
بنى سويف: ٩٠ ٥ ش أرض المطح
شبرا: ش كوبري مندرة عمارة أحمد عامر
فنا الجديدة: ش جوي متفرع من ش الأقصر سوق ليبيا أمام البوستان الجديدة
الرفايق: ش المدينة عمارة المشدين الكبيرة المنورة ت: ٣٣٢٢٢٩
أسوان: ميمس الجبل متفرع من شارع فاضل العدواي
الإسماعيلية: ٧٦ شارع البسكة الجديدة
شبين الكوم: ٢ شارع صلاح الدين أبو الخير من شارع العلاء البحري
أسوط: ١٢ ش المدينة المنورة الأزهر
دمياط: ش خنية سرور أمام المين الأول
كفر الدوا: ١ ش أحمد عرابي
أبو حماد: ٢٠ ش التحرير برج العازلي
السيهلاويين: ٨ الجيش القصير
كوم حمادة: ش مستشفى المواساة خلف مجلس المدينة
المنيا: ٢١ ش الجمهورية
كفر الزيات: ش الجيش أمام نادي المعلمين
العريش: ٢٣ بولاق أمام بنك القاهرة ت: ١٨٠٢٢١٠٩
فاقوس: ش الساحة عمارة المنيم - خلف المحكمة
دسوق: ش الجيش - أمام عمر افندي
بورسعيد: ميدان المسلة - برج المسلة
منوف: ٨ ش ثروة العشاشية - طريق التأمين الصحي ت: ٦٦٠٠٧٢
بنى سويف الجديدة: ٢٦ شارع أحمد عرابي ت: ١٢/٢٨٢٧٢٨
دار السلام: شارع اليوم أمام مجمع المدارس
الزيتون: الإسكندرية ١٠٢ ش الزنتيري - سيدى جابر ت: ٥٤٦٠٩٩٩

ماك على الإنترنت www.maccarpet.com





البراءة والبساطة .. فن المقاومة

ونحن هنا نشاهد حالة من «الصدق الفني» تجلّت في «بساطة» لوحات على شكل ملصقات كبيرة (٢٠٠ سم x ٤٠ سم) نُقِذت بأسلوب القص واللصق (الكولاج)، أنجزها طالبات وطالبة السنة الأولى في كلية الهندسة بجامعة «بيروت» الفلسطينية، من خلال عمل جماعي استوحاه الطلبة من الصور التي تنشرها الصحافة اليومية لأحداث الانتفاضة الأخيرة. عُرضت اللوحات في الحرم الجامعي لجامعة «بيروت»، في نهاية شهر نوفمبر عام ٢٠٠٠، أي بعد شهرين فقط من اشتعال الانتفاضة. تعالوا ننسى كل هذا الكلام ونشاهد اللوحات، ففيها درس وعبرة لكل فنان يسعى إلى التعبير بصدق عن الحقيقة.

حلمي التونسي

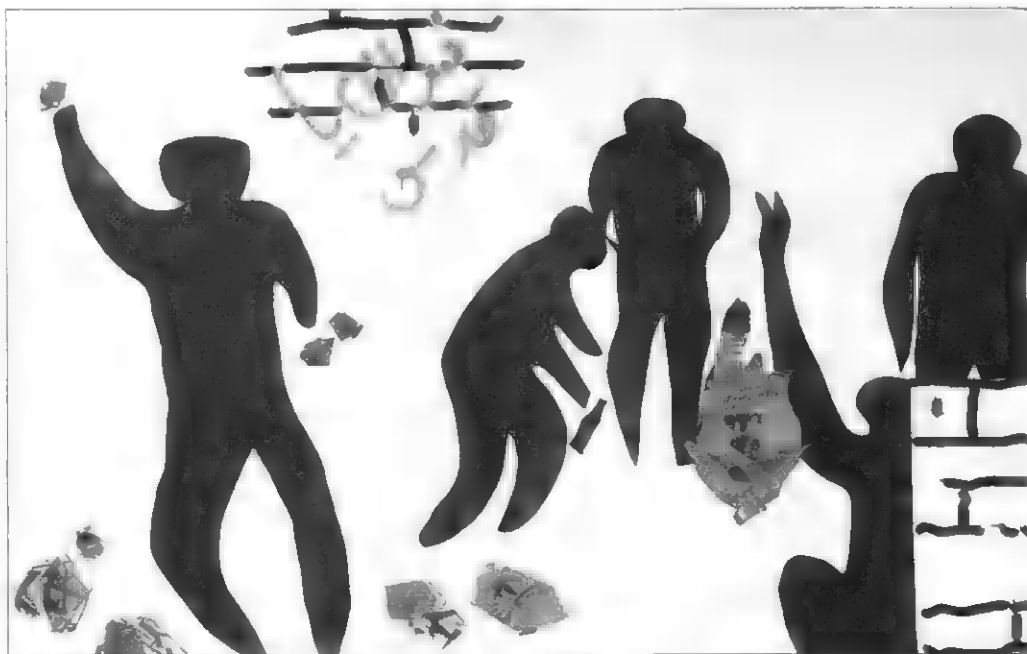
عندما تنتزع الأمور وتسلم الحقائق يخفقى اللون الرمادي، تختفي المسامرة والمناورة والمداورة، وتسمية الأشياء بغير اسمائها، في محاولة لتزييف الوعي وتجميل القبيح بإطلاق أسماء مراوغة على المواقف الملتزمة.

كل هذه الصفات هي العدو الأكبر للفن الحقيقي الصادق.. الفن البسيط.. البريء.. المبلّغ.

والبساطة والبراءة هي حلم ومسعى كل الفنون وكل الفنانين، منذ «خرابش» الإنسان الأول ولونّ على جدران الكهوف، وحتى آخر محاولات الفنان الحديث لتجريد الأشكال وصولاً إلى جوهرها الإنساني الذي يلمس الوجدان فيوقظه ويحركه.

تصميم حنان عمار





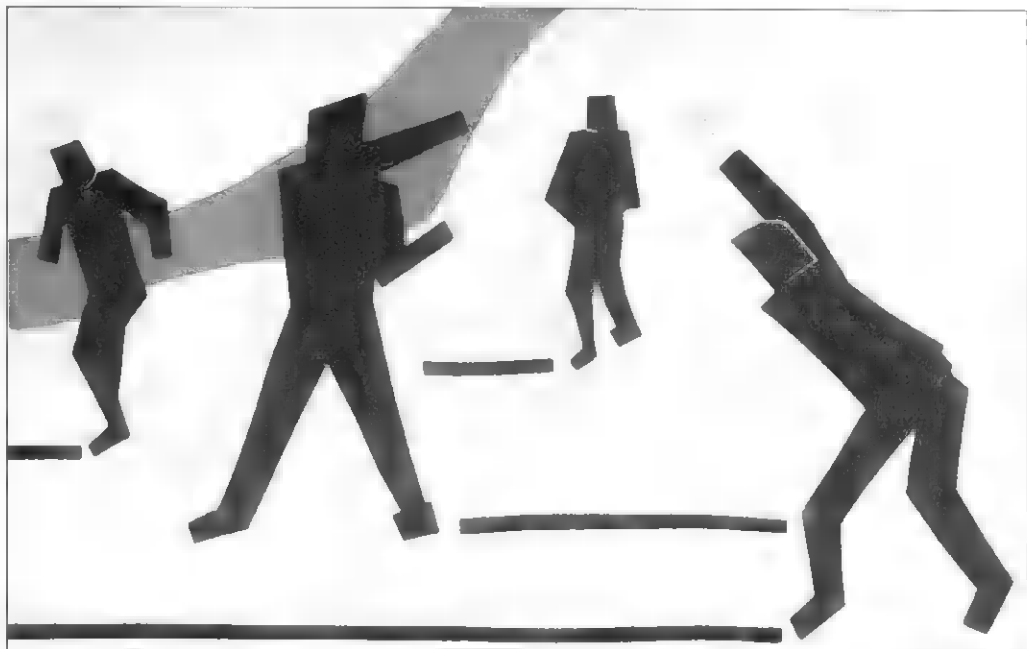
تصميم إبراهيم الجندى: زياد أبو السعود، علا كركرة، ولقاء سماعات

تصميم ريم أبو لطيفة: ملك أبو خلف، أسس شمس، طلعت حواء



٤٥ وجهات نظر

العدد الرابع والثلاثون، نوفمبر ٢٠٠٦م



تصميم: علاء جبار

تصميم: رجاء شهبانة، منى القشش، إبراهيم عيسى، عابد شورا، شهد الخوري



العدد الرابع والثلاثون - نوفمبر ٢٠٠١ م



تصميم: مزید اسماعیل، عرفات ابو دھشن، براد وید

تصميم: ربا الفول، محمد حريش، مراد العتيبي، عمرو دهمال





نصميم: حنان صابر، خلوة جرار، منال طاهر، ماسم فاسم، ملال ديب

نصميم: غراس أبو توبية، منار صليح، سى على



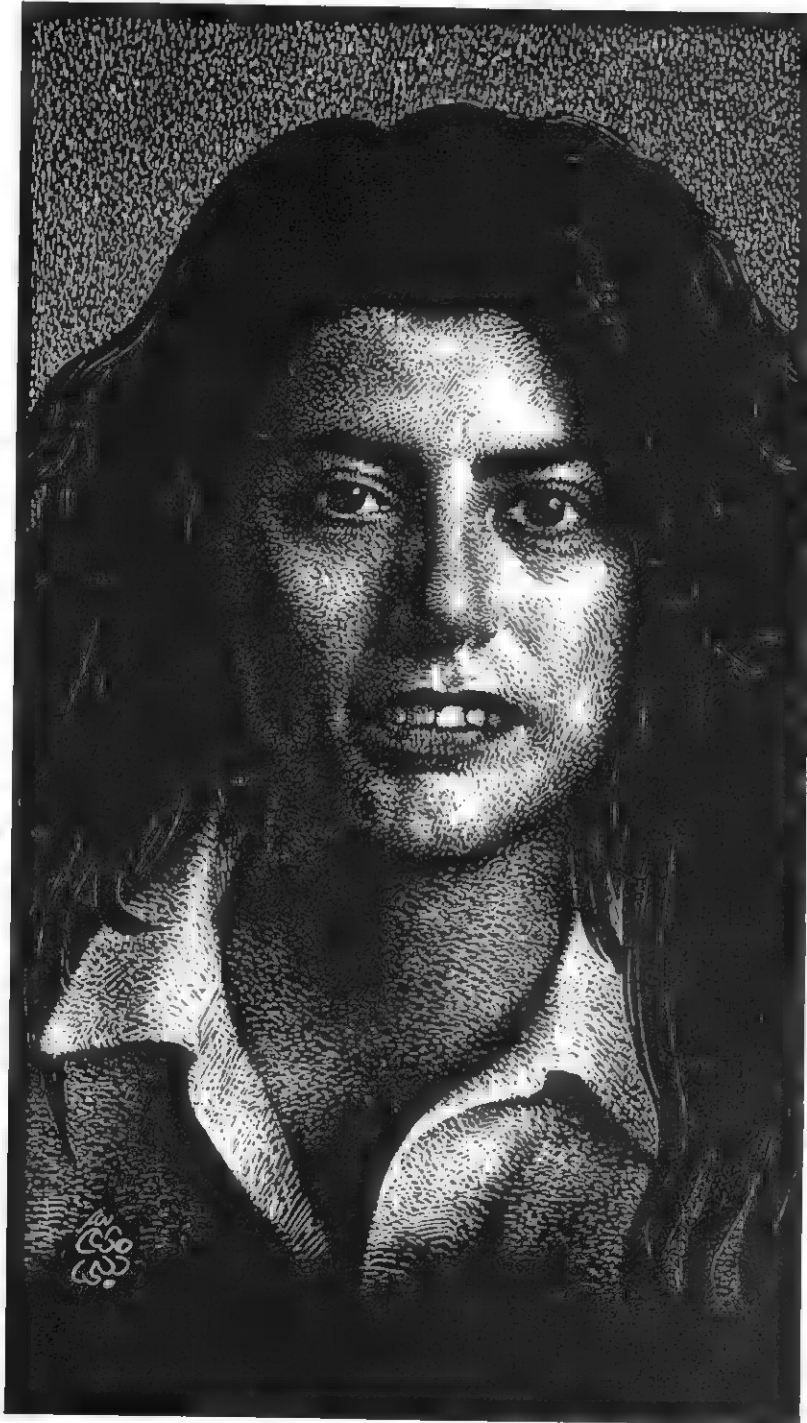
للمد: الرابع والثلاثون، نوفمبر ٢٠٠١م



تصميم إيراهيم جاد الله، إيهاب بركات - علاء الدين، أحمد سميد، وثالث شعري

تصميم نادر الشهاب - توفيق الأحمد مها التمايبي





عام ٢٠٠٠

بعد تحرير الجنوب
اللبناني من الاحتلال
الإسرائيلي. عودة
المؤلفة بطلا هذه القصة
إلى معتقل الخيام، خيام،
جحيم بلا اسم ولا وجود،
الذي تحول إلى مكان
سياحي، حيث يتجول
السائحون بين قاعات
التعذيب والاستجوابات،
والخلايا الحكيمة. مفرطة في
صغرها، قضت فيها البطة
عشرة أعوام من حياتها:
ثلاث أيام، ثلاث ليالي. وفي
طريقهم استطاع الزنكرون
أن يلمحوا رجلاً جاء
لمشاهدة الكارثة، عاد بعد
الأوان: أنطوان لحسد.
وتضيف الراوية: منذ
اثنى عشر عاماً، كان
مصيرانا، مصيره
ومصيري، قد
تقاطعا.

سهى

بشارة

مقدمة

من ملاحم

المقاومة

الوطنية

أمينه وشيد

هذه هي مقدمة القصص، قصة أسرة، تروى محاولة سبهي لاختزال لظنون لحد في عملية انتحارية اعتكفت بعدها في سجن انخراط مدة عشرة أعوام، قضت ستة منها في اعتقال انفرادي لرفضها التستر المتعاون مع سلطات السجن وأسيادهم، والصفة كثبتها بعد خروجها من الاعتقال، في فرنسا حيث أعطيت لها منحة دراسية، كثبتها لتحرر الكلمات المخوفة بداخلها، وتضمن ملامحتها ومقاومة ضميمها للاحتلال، مرحلة بامية في تاريخ وطنها، وساعدها في تحرير الكتاب بغير تسمية «جيل باريس» المصطلح الفرنسي في جريدته «لوموند».

هذه أيضاً قصة مكان – الخيام، الجنوب اللبناني، لبنان، وفترة زمان – سنوات الحرب الأهلية في لبنان ومقاومة الجنوب للاحتلال، والصراع العربي الإسرائيلي، وتؤكد الرواية لكل التاريخ على مصيرها الضائع: هل يؤخر يوم مولدنا على حياتنا كلها؟

استطيع أن أطرح نفس السؤال، إذ أنني ولدت في يوم الخامس عشر من يونيو ١٩٦٧ في أعقاب هزيمة حزيران وولوع جزء جديد من العالم العربي تحت احتلال الجيوش الصهيونية وسقوط أنحلام – أو هائم – الشعب العربي أجمعه، في أسوأ حي، بسيط وقذر، استطاعت الرواية أن تقدم لنا إحدى ملاحم زمننا وتزعم من متعوياتها القصة بالإحباط، وتضيق شهادة التاريخ في سلسلة البؤس التي الحياة التي نعيشها الآن بكل قلبنا ووجداننا مع الانتفاضة المستمرة الحالية.

قصة طفولة

في البدء تقدم لنا الرواية بطلانها الشخصية:

«طفلة شبيهة: فضات في أسرة مسيحية، أرثوذكسية، لكن لينانية قبل كل شيء». كانت مرافقة عندما دخلت في حرب ضد ما كان يملئه (انظرون لحد)، ضد هذا الوجود الشريب على أرضي، لذلك دفعت الثمن بجوشتي. لقد ألبت في المعتقل، بلا حكم وبنو علم لكم من الوفاء».

لكن كيف تكونت هذه الهوية؟ هذا ما ترويها قصة طفولة عادية من ناحية، ملبنة بالبحر والملاح في أسرة ريفية نشأت في الجنوب، في قرية «دير ميماس»، في بيت الجد «خدا الذي يباه بنده، هو غربة لكل أسرة من أسر املاحة مجتمعت في الأجزاء الصغيرة، وقصة مختلفة من ناحية أخرى، إذ أن الأب النشوي في فرض نموذجاً آخر على سلوك معيشة الأسرة. في كتابة حية ومركبة، لكن أيضاً طليقة بديهة والحنان، تجسيد الرواية في رسم بورتريه كل فرد من أفراد هذه الأسرة، الجد التقليدي والصارم في تعامله مع أفراد الأسرة ومع كل من حوله. الجدة الساخرة التي تنهك من عدم اهتمام الجد بالأمور العامة، أم أسرة سبهي الصغيرة، زواج الأب والأم الذي تم في ١٩٤٨، وتزاهياً بلفظ حرصية على تحديد الجيل الذي تنتمي إليه – لم انتخاب عذنان وحذان وعمر وسبهي، أخذ الحقوق.

وتستمد الرواية: لم سموتني سبهي (نجمة) كبشارة ألب؟ في فده قباض، تجمر الرواية عن حبيها لكل فرد من أفراد هذه الأسرة، بإيجازياته وسليانه، وتآزرها بهم جميعاً، عن ليلها. هذا الرجل الذي تقول عنه إنه الرجل السياسي الذي افطه في لبنان وعن تضيقها

مقدمة
Soha Bechara
écrit avec Gilles Paris, éd. Je
Lafès, Paris 2000

عذنان، أخذت الاهتمام بالسياسة وبالأدب، لعامة، وعن اختها حنان، الاستعانة بالرياسة الدينية وممارستها (مما قلها في الأقران من «مينارفا» زوجة أنطون لحد، ثم في صراع البقاء بداخل السجن)، وعن أخوها عمر، حب الحياة أما عن أمها، فأخذت في الخياط فوة الشخصية وطفلة العلاء.

رغم اختلاف الآراء بينهم، لظلام وجود أسر في القصة، كانت دائماً تشأب الأب على التزامه السياسي، وترفض وجود هذا الالتزام في البيت وفي الحياة الأسرية، كما كانت شديدة الحدية والصرامة في تربيتها لأطفالها، ترفض الكتب وإشاعة أسرار الآخرين والإبلاغ عنها، مما درب الفتاة على ممارسة المهام السرية التي تقتضي الصمت – كما لا تقلل الضعف والميوعة في إدارة الحِماء. وهكذا كانت تعيش، قوية ومرحة، متقبلة لكل ضغوط الحرب في لبنان: انطلاق الكفريات والمياد، وصعوبة المواصلات، تحولات الحياة تحت الاحتلال، ورغم رفضها لممارسة السياسة، ترفاه طليقة في مساندة ابتهاجها للخطوة، سيجت معها لذة شعر، ويعد ذلك، عندما اتسمت حركة التضامن العالي مع سبهي، تجوب العالم للمساهمة في الخطي، في التي لم تكن تعرف إلا للتفريق من «دير ميماس» الجنوبية إلى بيروت، وكانت دمشق أكثر البدار التي زارتها ابتهاجاً.



مع الأب عاشت الطفلة علاقة حب وتسامح صامت، إذ كان الرجل قليل الكلام، وسوانفب النشاط، مدياً لعله، مدياً في مواصلة نضاله السياسي، ترسم عنه صورة مؤثرة لرجل يترك مسئولية إدارة الحياة اليومية لزوجهة ولم يفرط أبداً في مناهة النفاية والخزيرة. كان مؤلفاً في مطابع الحزب الشيوعي اللبناني، وتضمن الرواية كيف استطاع بعد تدمير مطبعة الحصد في بداية الحرب الأهلية، أن يمحّل في مطبعة أخرى وأن يساهم في استمرار نشر جريدة الفداء طول مدة الحرب.

طفولة ريفية ملياً خيراتها، ومختلفة مع ذلك، إذ أن العام الذي تسلم إليها ميكر، كانت لخميدة مسجدة، نهب بروسها، تفضل في الحفل مع أمها، تذهب إلى الحفلات الدينية كعكس جماعي، إذ لم تكن أسرتها متدينة، كانت قرية دير ميماس بعيدة عما حدث في العالم، لكن فرض العالم نفسه على هذه الأسرة ذات الأب المقتزم، المشارك في الأحداث، والأم الريفية التي لم تكن ليلاً عن معاشية قاربها، كما هزت الأحداث سكوت الجنوب اللبناني بتحولها إلى لرض محفلة، ووجدت المراهقة نفسها تدريجياً مشدودة إلى قلب القاريح وسيرورته المتفرجة. ولدت سبهي في عزّ الهمجية العربية أمام الجيوش الإسرائيلية واتساع الدولة الصهيونية إلى الجولان والصفحة الغربية وسيتاء، لم تكن قرية دير ميماس تشير إلى إسرائيل قبل ذلك، رغم اقترابها الجغرافي من الحدود الإسرائيلية، وابتهاجها عن بيروت.

وأيضاً رغم بداية تاريخ الاستيطان الصهيوني القريب من حدود القرية، وتعود بنا سبهي إلى بداية القرن العشرين عندما استقر أول المستوطنين اليهود على أراضي اشتروها من العرب، بامانة مشكوك في شرها، ومساعبة إيمون دي روتشيلد، لم تكن تصرف الرواية، وهي مازالت طفلة، أن في أول قرية إسرائيلية ورة الحدود، توجد صور ضاحكة لم سموا بالرواد، لكن ما كانت تعرفه جيداً ما حسرة جدتها على الماضي والأراضي المفقودة والقوى التي انتزعت من فلسطين عند نشأة دولة إسرائيل، كم مرة سوف اسمعها تذكر الجرائم التي ارتكبتها الجيوش الإسرائيلية في زمن أول حرب إسرائيلية – عربية.

لم نتحول إسرائيل إلى واقع ملموس إلا في ١٩٧٨ عندما دخل جيوش إسرائيل جنوب لبنان، فادعة عرش الحماة بالقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، وتروى كيف ذهب بعد ذلك التطويرون الذين كانوا يعنون في بيروت لكسب فوهم هناك عند عودنا، لأجر أفضل لكن في ظروف سيئة من التفتيش على نشاط الحدود وفي ظروف عمل منهكة، لكنها تضيق، في السنوات الأولى المتعوتشي، في بداية السبعينيات، لم يكن أحد يجزؤ على تصور هذا المصير لدير ميماس، الغزو ثم الاحتلال في أقل من عشرة أعوام بعد ذلك.

تذكرنا سبهي بالإحباط الذي أصاب العرب في هذه الفترة، بعد هزيمة ١٩٤٨، كانت الجيوش العربية تغطي الجولان الشمالية، بشغف، مشدودة للاندهاس وإعطاء فلسطين، مما يفسر ضغامة إحتياطهم، نصف أيضاً بهاء بيروت بعد انقلاء صوت جمال عبدالناصر في القاهرة.

مرويوغانية، لغافية، غنية، كانت بيروت مفارقة الشرق الأوسط لكنها كانت أيضاً اللطيفة التي تتسرب منها أصوات زجر مكتم، كانت الأسلاكات تهدد الواسق اللوتشي، وكانت الضخمية الطمعية تنشر البدر، بينما كانت حركة التحرير اللوتشي في غاية الضهور، بليلتان بعد طردها من الأردن، خلال أزمة سبتمبر الأسود، في ١٩٧٠، وكانت الخلافات تنحصر بين اليسار واليمين اللبناني في المدارس السنائية، في الجامعات، في الشارع، تتكون المقتلة ونمو تجارة الأسلحة، كان الوضع قابلاً للتفجار.

منذ ذلك الزمن تغيرت الأحوال وهددت التطويلة السعيدة في دير ميماس، هذه القرية التي تلؤل عنها سبهي، لذة طفولة، كانت لي دير ميماس حقة، لتكتشف الحرب مبكراً، اكتشفت الحرب وأنا في السادسة من عمري.



١٥ سبتمبر ١٩٧٣، يوم عيد في القرية، المرح سائل في بيت الجد: خمس شفاء وخمسة وعشرون طفلاً يصلون الغار يشككهم وإعائهم، الأبناء يعملون في بيروت، سوف يتلونون بهد في القد، لكن في الليل اشتدت القاذف واستمرت الحرب، لن تكون هذه الليلة إلا مسخياً وحشاً، مدة اثنتي عشرة ساعة اعتدت الطائرات الإسرائيلية على الخدمات الفلسطينية الموجودة في المنطقة تتعاقب موجات الطائرات قرية من القرية، لا يبناء أحد في البيت والتفتت النساء بالخروج لينسبن ما يحدث بينما الأطفال يفتشون الحيز المجهز لتعود إلى بيروت.

سفننا بعد ذلك تلقى سبهي بالصر من جديد، ضاف إلى صفات الفلسطينيين والإسرائيليين التي أصبحت عادية، الحراك الأفيلى بين اللبنانيين، بداية الحرب الأهلية: ١٣ أبريل ١٩٧٥، يوم عويسية – الفصح والقسواء، الكبار، يكونون لأطفال لا يخالو، ولا يستقيمون إخفاء تفكيرهم يتكلمون لتخطف على معنوياتهم، يكونون بعضهم البعض إن غدا سوف يكون كل شيء على مايراد، إن كل شيء سيعود إلى طبيعته، ويتبين ذلك، يعرفون أن هذه المرة سوف يرو خمسة عشر عاماً.

ونستقر الحرب في الحِماء

واقع تحت حصار كل أنواع المخابرات والمخابرات. وتواصل سبى في البداية أن تنوب في المشهد لمحاولة فهمه. وتقسيماته من علاقة تفاهل الغربية بإسرائيل وبالجيش الجنوبي. لا تلقن أن الناس يسيرون الإسرائيليون. لكنهم يحاولون أيضاً وأساساً الاستناد من الوضع. فقد هزم التاريخ. وصحبر السلاح. في مواجهة مجتمعة فقد أزالته هو الآخر بسبب الحرب الأهلية. يحاولون الانسحاب. وإدارة مصالحهم دون الإضرار في طرح الأسلحة عن درجة التنازل أو الحصول على القنوى المحتلة التي يتضمنها كل الموقف.

لم يكن مشروع فهمه على حد تعدد بعد. فخط أن تستقر في الجنوب وتقوم واقعه الجديد وتحسن نفسها قدر استطاعت كاتبة لمخاض شيوعي معروف. أصله من قرية استقرت سمعتها مناهضة ويسارية. كل ما عليها أن تظل معلومات إلى بيروت عبر مستودع الاتصال الجوهري اليهودي الذي لم تنطق أبداً إلا باسمه المستعار: أ. ب. في البداية مع رابع. مع رابع تتعلم كيف تجمع المعلومات. وتقيم حركة الوحدات القتالية. تدون أرقامها وترسم مواصلها. كيف بعد عندما يتحدد دورها في قتل انطون لحد سوف يعطى لها السلاح ويعلمها كيف تستخدمه على أرض بور.

في يوليو ١٩٨٧. سوف نتحدد ثلاثة أهداف: رجال لمن جيش لبنان الجنوبي الإسرائيليون. انطون لمن نفسه. كانت في هذه الفترة فكرة الاتصال الجنوب والجهة. ولذلك راق الخاضعي المقاومة مشروع التخلص من عمل إسرائيل الموالي للفترة.

تدرجياً لأن التفتحت مصالح المشروع واجتمعت سبى بالبحث عن عمل في الجنوب. وبفضل الصدفة، وجدت وإيفلة مصرية رياضيسية في النداء الفلسفي الأراضي راجعون إلى اليمه التي كان يعيش فيها انطون لحد مع أسرته. ثم علمت أن ميرثا زوجة لحد نفسها كانت تبحث عن مربية لـ «أبرويك». أي الرياضة البدنية على أنغام موسيقية. زوجة فيلدة الخليليسية في المنطقة المحتلة اعتبرت سبى بحق ضربة حظ. ملأها بالرضى. فتحدد نهائياً المشروع: اغتيال انطون لحد.

حكاية اغتيال

عندما استقر القرار. تكلفت الأحداث حول هذا الهدف. للقاءات مع رابع. تشكيكه في البداية بأنه أفضل من يستطيع القيام بالفعل. نجاحها في إقناعه. موافقته على أن يعطى لها السلاح. ثم يقوم هو نفسه بتدريبها. ولم تكن هذه العمليات أصعباً كانت الصعوبة إلى الجنوب والمسدس لصيق جسدها. وإخاؤه في جهاز تفتاز دمين الدخول في مرحلة صعبة من المراهقة ومن التشوكر. ترافقها الأجهزة المختلفة للجيش والمخابرات. بشك انفراد الجميع. وحتى انطون لحد نفسه. بينما مشوط علاقاتها بـ «ميرثا». وتزاد معاناتها بسبب اضطرارها غزو طرابلس في آن. الطريق الظاهر لشابة ناجحة في عملها كمدربة للابروييك وتعتبر نمطاً سطحياً من حياة الحرج واللهم والطريق السري المقاومة تحضر نفسها عبرها للقيام باغتيال قائد جيش الجنوب وريعا الأصعب من ذلك نفسه شوك اضطرارها وأسرته. شوهت ترافقها في حفل أمام أفراد الجيش الجنوبي ومن الإسرائيليين. تأتيتها تصالح أخوية بالاحتراس في سلوكها وسفقتها. بينما تعيش هي بسر لا تستطيع أن تصنع به لأراب الناس.

علمت هذه الحفلات المفجعة بالمخاطر من ناحية. من الشوكر والتوحد من ناحية أخرى. شاعرة بأن أوان الفعل قد القرب. ولا يمكن تأجيله أكثر من ذلك. تنطلق نهائياً بالمسدس في انتظار الفرصة المناسبة. وفي إحدى زياراتها لبيت لحد لم تجر على تنفيذ العملية لأنه كان يأكل معطياً لها ظهره. وحيداً تمر بأصعب الامتناعات: امتناعها مع ذاتها. هل هي بالفعل قادرة على تجاوز رفضها الداخلي الأصلي للمفج. وهذا منذ طفولتها. وتترك مدى صعوبة الإقبال على النفس. مهما كانت شريحة في نظري. ويلعب عليها السؤال: هل هي مؤهلة نفسياً للقيام بهذه العملية؟ لكن من أوائل التسللات وفرض نفسه وقت الفعل. وكانت آخر زيارة لرابح الذي نصحه بكثافة رسالة إلى نوبها. فتكتب الرسالة مع رابع. ملهسة أسباب فعلها: أذكر الحرب الأهلية. الفزؤ الإسرائيلي. موت أبينا. إصابي في هذه اللحظة بالانفجاعة التي انفجرت ثوبا في الأراضي الفلسطينية للحكمة وهذه بالنسبة لي أجل مثل للمقاومة وهدف أعلى للثورة. وفي صباح رحيلها من بيروت عائدت إلى الجنوب ذوع أياها «دون أن أعرف إذا كنت سوف أراه مرة أخرى».

تعيش بعد ذلك بعض الأسابيع من التوتر العالي حتى يوم الانفجاعة. تصف كل تفاصيل هذا اليوم: ملبسها. وصولها إلى بيت لحد. دورها بأش المنزل لا منتقل. الانتقاء بعينها وصديقه إسبانية لها في الصديقة. ثم في صالة العيشة زوج الأسبانية ويحق بهم جميعاً انطون لحد. تصف أحوال الإجتماعي الفرح. الحديث الفرنسية. توزيع الثوابات. الإتياء في التلكن. مشهد من الانفجاعة. شاب يري جرح. محاولة لتفوية تبدو مزعجة لحد. نظرة غريبة له. وفي هذه اللحظة. وهي تشرب بيدها غير عاد. تخرج المدس من حقيبته. وتوجه رصاصة أولى نحو لحد الذي يذلف. يستشعر. «يا بنت الكلب». ومع الرصاصة الثانية يلع في الأرض «تلق الحياة لحظة في صالة المعيشة. منهذه في البدء. تلحق ميرثا الصمت بالصراخ. تطالب بأعلى الصوت بسلاح لتصفية الحساب معي ومروحية لفل زوجتها. التي تلوة دائرية حولي. الصديقة الأسبانية شاحبة وتبحث نظرها على كاشي ممتوتة زوجها. وقد شله الرعب. يتخلف في وجهي كأن الدور الآن عليه. انتزه الفرصة لأرمي المدس في غرفة النوم المظلمة على صالة المعيشة. أريد أن أكتب بعض الوفت. سوف يبحث العراس عن المصالح تو دخولهم في الفراغ. وهذا لم يقول. على بعد مترين مني. ابتلع جسد رجل الميليشيا على الأرض وتوقف. انتهت. نجحت في تنفيذ العملية».

المقاومة الأخرى

بعد العملية. شمرت الرابوة على حسب قولها بسكينة كبيرة. وعرفت فيما بعد أن للحق سيزار سوف يركز على ذلك في تقريره بطريقة صعبة التصديق. منذ أن وجدها كانت هائلة. حيه مجتمعة. كيف تم ذلك؟ فسر الرابوة: «... حدث لي نواشي» ناسي. تخلفت نهائياً من فتاعي كطالبة لا صمالية

وصحيفة. كنت قد عشت مدة طويلة في حالة سكين وفرنينا. لا أشفق عن نفسي ولا أبوع لأحد بشيء. باستثناء م. أ. ورايح. استمررت شهوة لقلب. أراوخ. أخدع. منذ أن أطلقت النار على انطون لحد. استطاع أخيراً أن أقول من أنا وما أكره فيه».

كانت مع ذلك بداية المعنة الأخرى والمقاومة الأخرى. كانت الاستجابات الانهائية لبدأ ونهاراً. وكان التعذيب بالكلية والمبالغة والإهانات الجنسية. وجيمه المكان نفسه. الجاهل. فوق الصلال. منزل. مثلثا في الشتاء. خلتا في الليل. يظل المعتقلون بلا بطانيات. يلقن على أرض تصعد منها الرابوة إلى الإعدام المفجعة. هذا السجن الإنساني وهو من سجن إنساني؟ أليس السجن المدبلة التي تتميز بوسائل كثيرة للرأفة من أكثر السجون التي يحدث فيها الانتحار؟ الضياء. المحسن. والتمثيل الهروب منه. الذي كان يدبره في الظاهر جيش لبناني الجنوبي. وتشرّف عليه في الخفاء إسرائيل. متغادية كذلك الحساس بصورتها القديمة والفرجة وإزعاج بعض الأصوات للفرجة مثل صوت الحامية. ليا تسيل. الضياء سجن مثالي للإسرائيليين. بلا عدالة ولا قسوة ولا حمايين. هي الضياء يكون المعتقلون منفيين. منفيين. مشوطين بصورة من عالم الأحياء.

تصف سبى بشارة ليس لفظ الظروف للمادة الصعبة. بل أيضاً الشروط المحنوية المقصود بها كسر الإرادة وحصار شخصية الخالق. فكان يوجد في الضياء مفاويز ضد الاحتلال الإسرائيلي للجنوب وأناس آخرون لا علاقة لهم بالعمليات ووجدون نوا لفظ لاستخراج المعلومات من القصة الأولى. والعراس أيضاً. كانت من ضمن أعمال حراسهم التفتت على المسجونين والمسجونات ففهمت سبى منذ البداية ضرورة مقاومة هذه الظروف القاسية من أجل البقاء. وتلحق. ينهي على الآن أن أركز على الأساس. البقاء.

أسررت منذ البداية أن تواجه أصعب تحديات الاحتلال: السيطرة على الوقت ورفض الانتكاز الذي يفرض الإزادة. فورت أن تواجه الزمن ولا يتابع معي الوقت وأن تستفيد من كل فرص الشغل: هذا هو الهدف الذي خدته لنفسى عندما دخلت السجن. أحاول أن استفيد من كل الظروف للمفج. أريد أن أسمر مسيطرة على وقتي.

لكن كيف في ظروف العرمان من كل شيء المسادة في المعتقل؟ لا يوجد من كتب إلا الكتب المدسدة فاستفادت من قراءة القرآن واستمعت بها. لا صف ولا إزاعة. فقد عرفت بالصعوبة في إحدى جلسات الاستجواب أن انطون لحد لم يمت. بل تلقى إلى إسرائيل. لكنها لم تستمر بالإحباط عند سماع الخبر. بل بنجاح العملية قد زيد. إذ استطاعت أن تظهر. هشاشة النظام الذي الهامة الإسرائيليين. وأن أشهد بأن لا هم ولا حلفاءهم يستطيعون الاستقرار في أي مكان من المناطق المحتلة.

تستطيع الحفلات الاستماع إلى مقطوعات من المسلسلات (المصرية) التي تشاهدها الحراسات ويعدن ابتكار الحقبة المفردة: وكانت بعد إحدى المهارات التقسية. تحكى قصة باسفاضة الكثير ما تعلمته في السجن وشبهه لقصص أدب المسجون المعتادة. الاستفادة من كل شيء. كس من البلاستيك. قطع من ورق ومن اقلام. خطوط سلكية الضبوط الاموميوم الذي يخفف مع الحزين. تعلم التواصل مع الحزين



في إحدى زياراتها لبيت لحد لم تجر على تنفيذ العملية لأنه كان يأكل معطياً لها ظهره. وحيداً تمر بأصعب الامتناعات: امتناعها مع ذاتها. هل هي بالفعل قادرة على تجاوز رفضها الداخلي الأصلي للمفج. وهذا منذ طفولتها. وتذكر مدى صعوبة الإقبال على النفس. مهما كانت شريحة في نظري.

كتاب الزاوية



نظامهم السياسي

وأما كيفية حكومة الأفغانيين : فالحكومة الأفغانية حكومة استبدادية مطلقة ولكن لها نوع مشابه بالحكومة الثورية لأنها لا يمكن إيراد أمر مهم فيها إلا بمشاورة رؤساء القبائل وهي مؤلفة من أمير وهو سلطان البلاد : ووزير وهو بمنزلة الصدر الأعظم : ومستوفى المالك وهو بمثابة ناظر المالية والداخلية معاً في سائر الحكومات : وخازن دار : وهو الذي يباشر به حفظ النقود الأميرية : و«شيك» أغاسي باشي وهو الذي ترفع إليه عراض المشتكين ويفصل الدعاوى بين المتخاصمين بأمر الأمير . وولاة : وغالب هؤلاء الولاة من العائلة السلطانية ويلقبون بالسرदार : وجنرالان وهم رؤساء العساكر وبعض هؤلاء من السرفارين وكثاين وهم الشحنة أي ضباط البلد . ويوجد في كل بلد مستوفى نائب عن «مستوفى المالك» وهو لضرب الضرائب وجمع الأموال الأميرية : وأمراءون وجباة وأمير الأفغان ليست له أبوة ملوك الشرفيين وحلائهم بل يجلس في ديوان الحكومة المسمى عندهم «ديار» على المنارق القارسية مع أعيان الحكومة ولا يتميز عنهم إلا بمكانة يوضع بجانبه ولا يمنع الحاجب والبواب أحداً من الدخول عليه حتى أسافل الناس . ولكل واحد من أهالي البلدان أن يرفع شكواه إليه مكلماً إياه مشافهة وأفعاً صوته بدون خجل ولا مبالاة، وهكذا سائر الولاة مع الرعية في الولايات، ولا يوجد للحكومة الأفغانية قانون سياسي وإنما الحل والعقد وفصل القضايا وتعيين الجزاء وتحديد العقاب وحرب الجزية (أي الجزاء النقدي) والخس والضرب والطرود . موكل برأي الأمير . وسائر الولاة يفعلون على حسب ما يترأى لهم .



في حصار

كان التعذيب بالكهرياء

واللهاء المشجعة والإيماءات الجنسية.

وجميع المكان نفسه. الخيام. فوق التلال.

كان معزولاً. مثلباً في الشتاء. خانقاً في الصيف.

يظل المعتقلون بلا بطانيات. ملقن على

أرض تصعد منها الرطوبة

إلى الأجساد المتحركة

ليسان ولطسطين والعالم العربي والعالم اجمع . وحتى إخوانها الذين نشأوا في نفس الظروف . في إطار أسرة له طبعية واحدة . وماضيه لم ينتهجوا نفس الطريق . فهل سبى شخصية استثنائية؟ نعم وبلا شك . فما كانت له هو بلا شك فوق الطائفة الإنسانية العادية . خلفها ظروف تاريخية محددة من الاحتلال والمهانة . لكنها استطاعت بدورها أن تستعير على شرط وجودها الخاص . وتشترك في مجرى تغيير التاريخ في وطنها : لبنان .

تعليناً سبى عبر لغتها نموذجاً على الكثير من المسبوبات . وهذه ليست استثنائية . بل تنادي فيها الحاجلة إلى القبيصة وإلى الانتماء . إلى الولاء وإلى الإيمان بلطية . وكل هذا تحتاج إليه في زمن خلط الأمور وفقدان الوشوح وفوضى المعايير . تجدد سبى معنى الوطن والانتماء إلى الأرض . فتعلقتا لصنفاً ان الدفاع عن الوطن يعبر اختلاف الديانة والإيديولوجيا . ويحتاج إلى الجراة والأمانة . تعلمنا أيضاً كيف يستمتع الإنسان السيطرة على جسده ومقاومة العرمان . كيف نهوات طفلة هائلة . ترفض العنف . إلى قاتلة من أجل فلسطين . تعلقتا كيف يستطيع الإنسان أن يتكشف نشاط المنور في أبيض الظروف قذامة .

والقصة أيضاً شهادة تاريخية مهمة . تذكرنا بعلامات أساسية على طريق الصراع العربي / الإسرائيلي . وهذا الطريق لم ينته بعد . فتجدد أمامنا كل يوم صوره الدائمة ويطولته الشبابة . وهذا يدعونا بمقابل فرته ثوا من كتاب بالترجمة لإبراس صنيبر . القاض الفلسطيني المقيد في باريس . يحيى لنا الرواية في ملك الغائبين . وهذه أيضاً سيرة ثانية . أن أباه قاتل له قبل موته في ١٩٦٧ . سبى إسرائيل دفناً شوكاً في خلق العالم . لن يستطيع أحد ابتلاعها . فلا تألق . نعم . وميراثا يتبني علينا جميعاً أن نصونها حتى النصر .

وهذه المعاني تجدها في فضائل سبى . بشارته . نتمتع كثيراً في عالمنا عن العدالة وما بعدها . وننسى أحياناً أن العدالة هي قبل كل شيء رفض الاستعداد والفرار عن حرية لا لتجوز . فحربنا الخاصة وحقوق جيمنا نبدأ بمستولية وطننا والانتماء إلى أرضنا وناس بلادنا .

المصنفات الأخريات . ممارسة الحياكة بإبرة عوضاً عن التي تؤخذ من المسفات للفرزات لإهانتهم في إيمانهم .

تجيد أيضاً سبى عن استخراج النقاط المضيفة في عمقه حياض المعتقل وقسوتها وهذه تنزع من بعض وجود العدالات التي تقامتها في الخيام كخارج المناضلة التي اختطفت والسلاح في يدها في عز عملية ضد إسرائيل . كخارج الشابة الفلسطينية التي نشأت في معسكرات حيدر وشتانيل . كان عمرها إحدى عشرة سنة بعد لثلاث من إخوانها . وحان المناضلة في حزب الله . جمال ختار . إصرارها وفورة شخصيتها . وتظهر سبى كيف تكون الصداقة معقدة رغم اختلاف الديانة والإيديولوجيا . وكيف تجمع المقاومة من التزم بشرق الفحل وتحرير الوطن .

وأجمل كلمات هذه الشهادة المؤثرة هي تلك التي تظهر سبى من خلالها معنى الإبداع في السجن . وربما معني كل إبداع / إلهاد في السجن لا يكون فضاء للوقت أو شيئاً من اللهو . يربط الإبداع هنا بصنع الحرية . عبر تصوير القول . هو قول فكرنا . بفضا كل شيء من حولنا يدعونا للصمت ولصيان من نحن . وتحويل الأشياء المصنوعة خلسة إلى رسائل وقلمنا حب للفرار وللصداقة . لكن أيضاً رسائل سياسية وشعارات لوطننا فلسطين . صنعت هكذا سبعة بقوة وتضوء سجلت عليها المصروف الأولى لحركة التحرير الفلسطينية وبغضب جاف صنعت جداول للحساب . أما في فقرات السجن الإفرادى حيث تلاشت جميع إمكانيات اكتشاف مواهب الأشياء . تعيش سبى خبرة التجريد التي جعلتها تكشف الضمير . الضمير الذي لم يكن يهيمها فيما قبل . ابتداء . تأليف كتاب لم كتاب نخر . هذا أيضاً مجرء البقاء .

تبدو حكاية سبى بشاره وكان الظروف الاستثنائية تخلق المواقف والشخصيات الاستثنائية . وبالغز رأينا كيف نشأت سبى في بيئة ريفية . نشأت نخلة الألوف ملتها في

في الكتاب والمكتبة والكاتب

وجهة نظر من فرنسا

ناصر الأنصاري

في مصر عدد الكتب الذي ينشر كل عام، يصل إلى حوالي عشرة آلاف عنوان.

نصف هذا العدد إما إعادة طبع كتب قديمة أو هي كتب مدرسية، بينما دولة مثل فرنسا يقرب عدد سكانها

من عدد سكان مصر، فإن أرقام الإيداع تصل إلى خمسين ألفا كل عام

ومن الأمور المثيرة للمثقف والمكتبات أيضاً حركة النشر في مصر عدد الكتب الذي ينشر كل عام، ومن خلال أرقام الإيداع حتى تصدراها رقم الكتب المصرية، يصل العدد في حوالي عشرة آلاف عنوان، نصف العدد إما إعادة طبع كتب قديمة أو هي كتب مدرسية، بينما دولة مثل فرنسا يقرب عدد سكانها من عدد سكان مصر. فإن أرقام الإيداع تصل إلى خمسين ألفا كل عام علماً بأن الكتب المدرسية لها نظام خاص في الإيداع وتخرج في هذا الرقم.

وحركة النشر في فرنسا كبيرة جداً وحركة الهزاة أيضاً كبيرة. ذلك أن الكتاب يكتف لأن هذا عمله والناس ينشرون لأن هذا مصدر دخله ولا ينشرون أديماً بقلة الدخل أو عدم كفايته. ومن بعض الأرقام الإحصائية المنشورة هذا العام من عدد الكتب، نجد ١٦٢٧ كتاباً يصدر عن مصر، أي أن مصر تدخل الفرنسي أم لم هو من الكتابه والنشر، وهو مؤرخون كالتالي: ثلثا هؤلاء يصل منهم في ثلاثة عشر ألف فرك في الشهر، أي حوالي سبعة آلاف جنيه مصري، وهو دخل أي موظف متوسط له قديمة عشر سنوات.

حوالي أربع يصل منهم إلى أربعة آلاف فرنك فرنسي شهرياً، والأقل من إثنين ألفاً حتى تعطى الشئون الاجتماعية للمثقفين عن العمل.

وبالمصير يوجد في أي السلم ستون كتاباً يصل دخلهم ما بين مائة إلى مئتين ألف ولفين ولفاً ألف فرنك في السنة.

أما القمة، فهي لعشرة كتاب لعلماء، يزيد دخلهم السنوي عن ثلاثة ملايين فرنك سنوياً، وعدد النسخ من كل كتاب أكثر من مائة ألف نسخة، وعلى راس هؤلاء، أو صاحب الفروش، هو من يطلقون على الفراعون، أي كريستيان جاك Christian Jaccy عالم عالم للصحريات ثم تفرغ الرواية التي يستوحى من الطبعة الأولى المصرية القديمة. ومن دخله من الطبعة الأولى لثلاث كتاب إلى حوالي مليوني فرنك، أما الطبعة الثانية فتصل إلى مليون ونصف الفرونك ومرتجداً إلى ٣٤ ألف، ومجموعه حوالي عشرين ألفاً من الطبعة الأولى مليون كتاب في العام، فرغم ما يتقاضاه من أربعين مليون فرنك في خمس سنوات، يليه في الترتيب فيليب دارم phi-Delem خمسة عشر مليون فرنك في السنوات الخمس الماضية، ثم تأتي إميلي نوثوب Amelie Nonthob بنفس الدخل السابق مع توزيع على أربعة عشر ألف نسخة من الطبعة الثانية من مليون فرنك من الطبعة الأولى في كتاب في الترجمة التيفية، وهو Max Gallo، ويأتي كتاب السبر

عند وصولي إلى العمل في باريس، بدأت أرقام المبيعات العامة مرة أخرى، لاحظت التطور السريع والمتاح في المكتبات العامة الفرنسية نفسها من المكتبات إلى بداية الألفية الثالثة يصعب تصديدها، فالمكتبة العامة أصبحت تشبه المعارض والمخاض من حيث مجال الشكل والاهتمام به حتى يكون جذاباً للمصور من الفراء والباحدين، والعشيقين المتاح أصبحت تلعب تحت حصر وتتطور مع التطور السريع في مجال المعلوماتية وأدواتها، فالمصير الباحت الذي يعد أشرطة الكشور والذي كان يقضي عدة أشهر في أول عمل في إعداد لفظة، أعرجه اليوم بأحد العمل بفضل تكلم المعلومات في عدة أيام كما تحدث له شبكة الإنترنت أن يطالع على كل جديد في مجال بحثه في جميع أركان العالم، وتشير هذا العمل، أصبحت فاعلة للإعلام مؤثرة بأبعاد كبيرة من الحواسيب، ألبسة الميكانيك، والفراء، بل أصبح من حله أن يعمل على الجهاز الخاص به، وأحد ملحق التوصلية الخاصة به، أما الإنترنت فهو PC، صاحب ألي التطور أو الشخصي متاح لكل المكتبات العامة لأن كل الأجهزة لا تعمل جميعها على كل أوجه البحث، فليعضها وهو الأغلب يتنوع من مسيئله على المواقع المتخصصة، بعض في الناصر في كلية الحقوق من حله الفصول على الأنظمة يتم توصيله إلى المواقع المتخصصة، بعض في الدارس في كلية الحقوق من حله الفصول على كل مواقع ويونك المعلومات المثقفة بالدراسات القانونية وكذلك مكتبات كليات الطب، نجدها نتج مواقع الإنترنت المتخصصة في الدراسات الطبية وهكتا.

وبذلك أصبحت جميع الخدمات المثقفة تتطور يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، وأغلبها متاح مجاناً للطلاب ويصعب الاقتيات العامة تسترط سداد، سواء سوية لصل أعلاها إلى حوالي ستين جنيه شهرياً سنوياً، أي خمسة جنيهات شهرياً، وهو مبلغ إذا لم يمتدوني المعيشة يصرح ضيقاً جداً (من لشجان القلوب التي الخبي يصل إلى خمسة جنيهات)، وأحد الخضر منه غرض شخصية وليس إيراد دخل للمكتبة إن هذا الدخل لا يمكن أن يتجاوز خمسة أو ستة مائة من ميزانية هذه المكتبة العامة.

وأصبح الاهتمام بتشكيل هذه المكتبات هو الشاغل للممثلين في مجال البحث العلمي، لك البحت الدول المتقدمة منذ زمن طويل أن

الفرارة في أهم وسائل المعرفة وأكثرها تأثيراً، وللمادة، فعملت ولا تزال تعمل على تشجيع القراءة عامة والقراءة في المكتبات العامة بصفة خاصة، فأنهم عن تشجيع البحث العلمي سواء في مراكز البحث والجامعات أو في مجالات العمل الأخرى، وقد تحدثت في ظروف عمل الحالية زيارة المكتبات القومية في بعض البلاد العربية من ألبعض المؤسسات في الكويت إلى رافكتي في "الرياض" إلى مكتبة عبد العزيز في الرياض إلى المكتبة الوطنية في الجزائر ومكتبة الخزائن العامة في الرباط، وجميعها تحاول الالتحاق بركب المكتبات العامة الحالية ولكن لآلات المسألة كبيرة بل وشاملة بعضها من حيث الشكل ومضاهيها من حيث الموضوع وألبعض الآخر إلى استطاع أن يحسن الشكل والموضوع من حيث كمية الكتب الحديثة والأجهزة المتطورة، فهي لآلات في أغلب الأوقات تستعاض عن أجل الحصول على الفراء والمثقفين على المكتبة.

المكتبة في مقام الترفيه ويتبعون أن حالة الثقافية سبعة أن هناك مليونين أما يتبعون أو يحصلون بأن يكسوا، وقد لا تكون الثقافية في مصر رزق لهم، وفي المقابل يوجد حوالي ثلث ناشر فقط وعدد محدود من الفراء (١)، وبالنسبة بين رقم الإيداع في مجال النشر من رقم الإيداع في مجال ريفيل فليس الذي يتجاوز عشرين مرة رقم الإيداع في الكتب والذي هو أربعة عشر مليون فرنك.

أما المؤلف فهو أقل من يحصل على فائدة مادية من كتبنا رغم أنه الخطوة الأولى الأساسية في عملية النشر، وتعرض الإحصائية الثقافية إلى سؤال: أين ذهب نفوذ الكتاب؟ من سعر الفلاف مضروباً بعدد النسخ المباعة:

- ١ المؤلف ما بين ٨ و ٢٠
- ٢ المؤلف ٢٢
- ٣ المكتبات (المخارج) ٢٣
- ٤ المكتبات ٥
- ٥ دار الطباعة ١٦
- ٦ النشر ما بين ١٨ إلى ٢٠

وتكلاً لذلك، فإن المكتبات التي هو صاحب المعرفة وصاحب الجهد الشخصي المثقفي والذي يود أن لا يمتن أن توجد الجهد الثقافية والأدبية هو أقل من يحصل على دخل من عمله، والمكتبات غير المرفوعة لا يحصل على مدم حوالي عشرة آلاف فرنك، أما كتاب الكتب ذات الإبيبات الكبيرة فيزيد دخله على ١٠ ما زاد على العشرين ألفاً، ومع ذلك ١/٤ من الفصول في الأولى تصل إلى ١٠ من الفصول، ويضع كتاباً نوي شهراً يحصلون على ٢٠.

وبالنسبة إلى هذه السلسلة هو أدنى الصعوبة التجارية، أي الملاك، والشويع ٥٥ وهو بالطبع يتحمل نفقة الطباعة التي تتجاوز ثلث دخله حتى مع زيادة سعر الورق وأدوات الصناعات الحديثة.

وهي تكمل الصورة لنقاري تعرض بعض السبلات في مجال نشر الكتب في فرنسا، حيث إنه وكثيراً ما تكرر، المكتبات ذات أكبر دول الفرنسسية وهي Gallimard، Grave، Seuil بأنها تعطي مبالغ كبيرة لأعضاء هيئة التحكيم في الجوائز الأدبية في شكل مكافآت لكتابهم بعد أصلاً ولن نشر، وذلك حتى تحصل هذه الدول على جوائز لفتها المنشورة، وهو الأمر الذي يضاهي رقم الإبيبات عدة مرات. ففانقاري الفرنسي بيل بشكل كبير على الكتب التي تحصل على جوائز الأدبية.. وقد تثيرت المسلمات لهذا الأمر وعالجته بالعافية التي تمنع أعضاء لجان التحكيم من تقاضي أي أموال من الفائزين.

ومع ذلك، فإنزال العمل بوجه إلى أصحاب دور النشر الذين من جانب الكتاب، وتقتل دور النشر خمسة من الكتب التي تنشرهم والعشرين منهم مئة ألف نسخة خاصة بأنهم يتقاضون كميات كبيرة تصل إلى ألف فرنك لا يقدمون الكتاب ولا يصحسون هذه الأموال، وتشر دور النشر أيضاً تقاضي من ذلك خروفاً من يتقاضى ما تم طاقاها.

ولذلك ولد الأمر ببعض الكتب الذين ينشرون الفضية والحرة مائة ألف ينقلها إلى مقيمتا، ولكن هؤلاء يحصلون على ١٠٪ إلى ٢٠٪ من الإبيبات. بل وصل الأمر بالبعض إلى الإنكفاء بالكتابة والنشر دون البحث من أوجه لادى، هؤلاء يجدون في الثقافية في ذاتها حفة، فإن يراهم الآخرون وأن تصيح مفرها في معة لا مقابل لها.

فرانز فانون: من هو؟ عندما نتطرق هذا السؤال اليوم في الجزائر، على أحد الشبان قد يجيب: لا أدري، وقد يقول هو اسم شارع أو اسم مدرسة ثانوية للبنات؛ عندما سألت تلميذة من تلميذات ثانوية، فرانز فانون، عن يكون هذا الذي سميت به هذه المدرسة الثانوية، أجابت: لعنه اسم ضابط فرنسي؛ في حين أن اسم فانون كان يتروى، منذ أربعين سنة في كل محفل سياسي وكل تجمع ثوري، بالجزائر وفي بلدان الإفرريقية وفي لوساطة الزواج بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي عدد من البلدان الأوروبية وفي كامل أمريكا اللاتينية، وفي إيران... فلا عذوبة خضعت لحياته أشرف عليها مخرجون أنجلو-ساكنون، كما خصص له أكثر من كاتب وفيلسوف وإنسان صمدت عنه حياته وفكره، أكثرها بالإنجليزية والفرنسية.

وإذا استمر اسمه بشكل المظلم في مختلف أنحاء العالم منذ نهاية الخمسينيات وحتى نهاية الستينيات من القرن الماضي، أما الآن فلا يقل من الذين يذكرون اسمه فضلاً عن معرفته وفهمه والمشار الذي أتخذه، فقد كان اسمه يساوي اسم شي غيفار أشهر وثائقا. أن ينسى اسم فانون بعد أن كان نابع الحديث، ليس بالسترسف، فهو ليس لول وأن يكون آخر من ناسه اسمه قد اختفى، لكن أن ينسى في الجزائر بالذات، فهذا ما يصعب تصيريه. لكن الآن اسمه بالثورة الجزائرية التي انضم إليها في وقت مبكر من اندلاعها، الحق بالجزائر فنانا من مدينة ليون عام ١٩٥٢

وُلدت مؤلفة هذا الكتاب، بالجزائر في أسرة يهودية - وقد ساهمت في حرب التحرير الجزائرية، وهي طيبة نفسانية عرفت فانون عندما التحق بالثورة، واشتغل معه في تونس أيضاً، بعد الحزب الشيوعي الزوجية تعبير لاجئين يفتن في فانون.

والواقع أن هناك أكثر من عامل يجعل الحديث عن هذا الكتاب مناسباً... الأول: أن التطورات التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال خاصة أحداث العشرية الماضية تؤكد صحة بعض الاستنتاجات التي استخلصها فانون من دراسته للحالة الجزائرية وبعد من الحالات الإفريقية. الثاني: دالة تشخيصه للأمراض التي تهدد الحركات الوطنية، فائدة المعركة من أجل الاستقلال، خاصة عند تولي الحكم فقد حذر من الأبلهين من الأخطار التي تتهددها، ونبه إلى ما يتربص عليها من أوضاع غير مريحة ذلك أن تكملة فانون لم تكن نتيجة تحليل

صغير، لكنها كانت خلاصة دراسة ميدانية وملاحظات دقيقة، حللها بعين لفتل وخبرة للحل النقدي. وهذا هو ما يفسر الصدى الواسع الذي لقيه آخر كتبه في جميع أنحاء العالم، عندما صدر في الثالث الأخير من عام ١٩٦١، بل إن تعبير الصدى الواسع لا يعطي صورة دقيقة عن الأثر الذي لحقت به ذلك في جمهور مثيلة، يدعت منه مئات الآلاف من النسخ، سواء في الطبعة الفرنسية الأولى من الطبعة الأولى، زيادة في كتب بها في الإخراجة الإنجليزية، زيادة في مبيعات ترجمته إلى خمس عشرة لغة. وقد نسب بعضهم ذلك الصدى الواسع إلى المقدمة التي كتبها جون بول سارتر الذي في ثروة نظريته، لكن الحقيقة أن العامل الأساسي الذي جعل كتاب -مسكون الأرض- يلقى ذلك الاستقبال، هو أنه صدر في وقت ملائم، ليس فراقاً ويسحب لتطالع ضخم، وبعد في الوقت نفسه عن أسئلة كانت موضوع جدل بين مفكر العالم الثالث.

قد صمدت طبيعة الأولى بعد أن انتصرت كوبا في كاح هويل ضد باسكتا، وبرز العالم اسم ديفيد كاسترو وفي غيفار، وكانت مصر بطبيعة جمال ميدانها شئت المسير لصنع مشروعها التحرري القوي، على طريقة ثورة اجتماعية تستخلص العبرة من درس الانفصال الذي من الجمهورية العربية المتحدة؛ بينما كانت شعوب أمريكا اللاتينية تتطلع للحرور من قبضة الاحتكارات الكبرى كما فعلت كوبا.

إن كان فانون مثلاً لاستقبال كتاب فانون، وينتقل أحد عوامل نجاحه في اللغة التي اعتمدها لتبليغ أفكار إلى المعنيين في الأرض، وذلك ما جعل عدداً من التلمذيين يعبرونه دعوة إلى امة جديدة على مستوى المبادئ، ولم توجه بخطابه إلى الشعوب المضطهدة، ولم يوجه به إلى العرب، فهو يلقى في ختام خطابه صرخة في "يجب أن نهاجر أوطاننا، لا يجوز أن نعتمدنا وصداقاتنا سيئة. لا يجوز أن نضع وقلنا في دعوات علمية ومحاكاة نبعث على الفشيان، ننشعر أوروبا هذه التي نتحدث بوعا عن الإنسان في نفس الوقت التي تقتله فيه تقشيراً، كلما امترضها في أي مكان من أنحاء العالم.

لقد مرت فانون عرقلت خلالها أوروبا تقدم الناس الآخرين، واستمدهم وسفرهم في خدمة المراضة وتضيد أمداحها: بين أخت فيها بعضنا الإنسانية كلها تقريباً، بعنوان مفاخرة حضارية وحيدة. انظر والها الآن: إنها تتراجع بين الفكر النووي والاتصال الرقمي، يوزع الفصحى يطبع فانون خاتمة كتابه... لغة اللطيفة بعد مراض منطق، المالحق بالغرب.

١٨ سنة يقطع المسير الطليسي لتقوم الأملاك

لئن ما لمسنا الذي يقامون إلى هذه النهاية؟
فرد فرانس فانون، الفرنسي الجنسية
بالفرنسية، يوم ٢٠ يولييه ١٩٦٥، مستعبد

بورجوازية للنشأ، بل إن هاء كان مفتاح جملته، رغم وجوهه الإنسانية الخاصة قيساً لإنهائه جملته، فقد كان كاتيمير فانون، وأد فانون، لا يفته تذكير أمثلة، في توري سلوة الاستبداد التي يخفي بها رسماً كل عام كما هو الشأن في تلك المستعبدات الفرنسية، بأن الرق كان ما يزال معمولاً في الموريتانيك وقت أن تخلصت فرنسا من الظلم المظلم.

بعض هذا الجحش المظلم ورثه فرانز عن أبيه، كما يتطابق مع كل ما يدور، ويور ضد كل معد، من يرا تكتيكاته القارية في خضم حرب التحرير الجزائرية، دون أن يعرفه عن حرب التحرير عاتية، شديد المبالغة عندما يطلق شعوب العالم الثالث بأن تمارس طليعية تامة مع الغرب، بواقعة تيمو مثالية، طوبولوجية غير قابلة للتطبيق، في حين إنه كان، منذ صغره تبارك، يرفض الصفات العلول، فلا يمكن أن يتهم بالديماغوجية.

كانت الحياة الطليسي كله يفسل بين بداهة وفرنسا، والوعان الطلة، وقد ذلك قرر أن يسطعه ليلتقي بالقانون الفرنسي ويحارب القارية، ولا تجاوب الأمثلة عشرة... لم يغير أحده من قاريه بما صاقر قلبه عزمه، «أختار يوم احتفال الأسرة بعرض أخيه الأكبر، ليفضي عن الأنظار بعد أن اختس من خزانة أبيه طليعين من قلماس الفاض، حتى يتحصل من يبعوها على الوصية المطوب دفعه من خطبه سرأ في قارب يومه إلى الموعدين، حيث كان يوجد بعض الميوليين.

كانت الحرب العالمية الثانية، واشتراك بين الجنرال ديغول والمارشال بيتان موضوع نقاش بين القاديين القويين. كان هناك من يرى أنه غير معني بهذه الحرب التي تهم الحياة فقط، لكن فانون كان له رأي آخر، حسبما سجله بعض رفاقه، فقد رد على المولة السائلة، بالولة: «كلما تعرضت كرامة وحريه الإنسان للخطر، نحن مستحقين بها، كلما بيضا وسودا وصغرا، كلما كانت الحرية والكرامة مهددة في أي مكان فلنا ملزم بالدفاع عنها، رباعاً لا رجة فيه.

كانا يوتبع طليسا منذ انضمامه بحسرة بثورات عاتية، وفنا عاتية، فغبر المحيط الطليسي مغامرة ليحارب ضد الألمان، وأصيب بجروح في جبهة القتال.

لا يتضح كثيراً بالسلم حين عاد إلى جزيته سلكاً بعد أن كان ينشور عن سوف يرضى في الحرب، ويبدو أن تجربته تلك جعلته يعرف عن القامة بالفرنسية، التي وجد فيها -بعد السويول أكثر من عدد الرجال- حسب تجميعه.

التحق بمدينة ليون حيث درس الفلسفة وعلم النفس، ثم إلى المدرسة وثقافته الشعر الطليسي دفعه إلى عدم الاكتفاء بدراسة الطب الذي هو موضوع متهمة.

في ليون تعرف على الأستاذ Tosquelles الإسباني الذي كان من المعارضين لنظام فرانكو، تعرف من خلاله وجهاً آخر من وجوه الفكرية الجزائرية، في وقت مبكر من عصر الثورة المسلحة، خصوصاً وقد اكتشف من خلال معالجته المرضي الجزائريين وبفضل تطبيقه أسلوب الأستاذ Tosquelles الإسباني، أن

كان يساهم في معالجة الجرحى من جوه جيش التحرير، وبعض الصابيين منهم بمرض عقلي، وما لبث أن قدم استقالته إلى الوزير -القمم العام بالجزائر- وتطرق للعمل في صفوف جبهة التحرير التي خدمها بفكره وقلبه، حتى اغتيره كدكتور... ولم يكونوا مخطئين -منظر للثورة الجزائرية، وقد كان يود فريداً في

Frantz Fanon

Alice Cherki

Ed Seuil Paris 2000 314 pp

فرانز فانون

محمد الميلى

فرانز فانون

فانون

صورة مناضل عاش أفكاه

تعدد الرابع والثلاثون، نوفمبر ٢٠٠١

وجهات نظر ٥٦

بعض عوامل الجنون في الجيف مرصعة بالاستعمار.

هذا المسار من الحرب العالمية الثانية إلى حرب الجيف مرورا بفترة الإقامة في «ليون» الفرنسية، تكشف عن تسلسل منطقي، في حياة قانون التضامنية، تسلسل يؤكد أن الرجل ظل وفيًا لنفسه، ملتزمًا بقيماته، فهو لم حارب في صفوف الجيش الفرنسي المقاوم، دون أن يكون مؤيدًا بوضاحة الحرب التي شارك فيها. عندما توفيت أمه، عام ١٩٨١، أي بعد مرور عشرين سنة على وفاته، عذرت أسرته على رسالة كان وجهها لها قبل على ما كان يشعر به آنذاك. فقد جاء فيها:

«... مر عام على مفارقتي أديشة (فور دي فرانس - عاصمة المارتينيك...) ماذا فعلت ذلك من أجل الدفاع عن مثل أعلى ميت. أصبحت أنشك في كل شيء حتى في نفسي. فبعدًا إذا استحالتم عودتي وجاءكم نيا موتي في مواجهة العدو. لا تلووا لأنه مات من أجل قضية نبيلة... هذه الأيديولوجية الرقيقة التي يتقلى وراءها اللاتينيون والسياسيون البداة، لا يجوز أن نخضع لها لخلافات. لم يكن هناك ما يبرر فرارتي المفاجئة في أن أبلغ عن الفرنسي للعدو في الوقت الذي لا يهتم فيه هو بالامر. غدا سوف أذهب متوقفا في مهمة خطيرة... أعرف شي سوف أتموت».

كان في إمكانه ألا يتسلوع في مهمة يعرف أن فيها حقيقته: لكنه تطوع ولما لا ثمزامة بعيدا كان يؤمن به وهو الدفاع عن حرية وكرامة الإنسان. هذه الرسالة التي كتبها وهو لم يتخط عتبة العشرين عاما، تكشف عن واحد من أهم الخطوط التي يتناول شخصيته وعن التباس الذي ما فتى، يسيطر على حياته القصيرة.

التمزق بين خيبة الأمل في الإنسان والإيمان به وجهه قبل كل شيء. وبعد كل شيء.

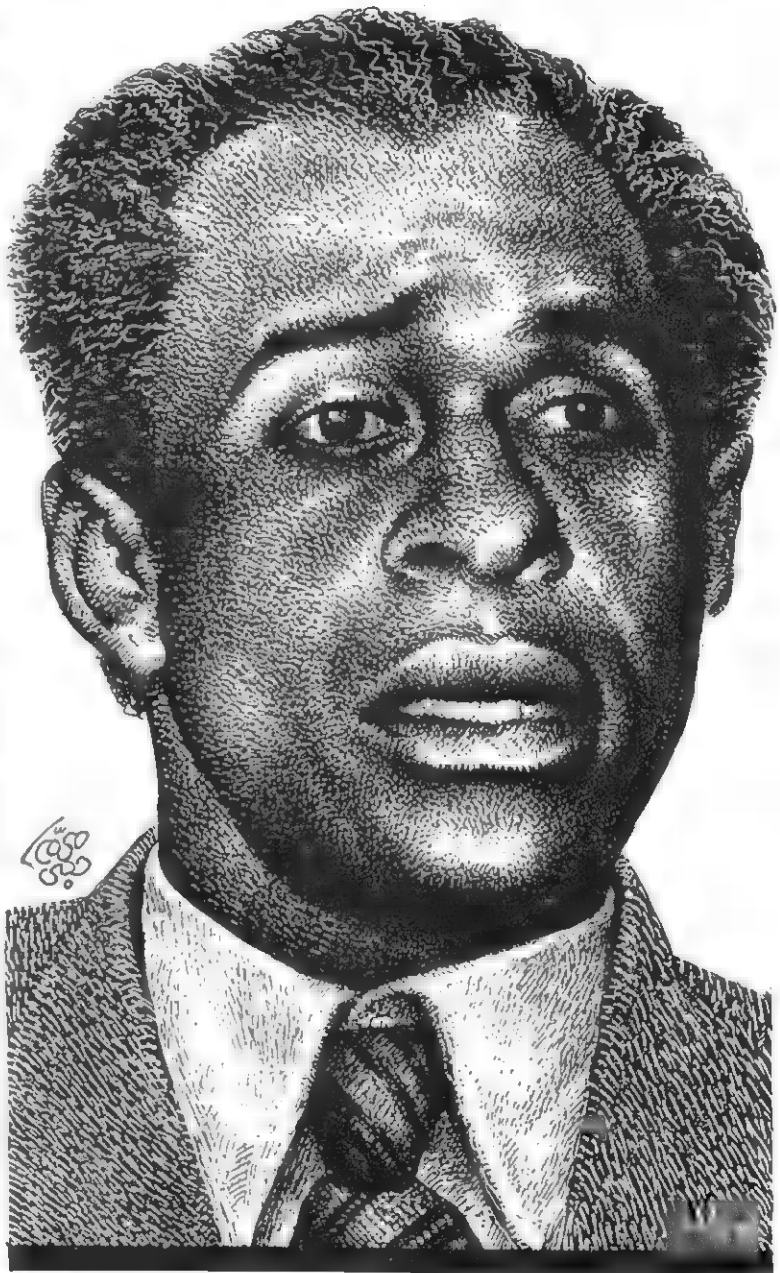
ولاشك أن بعض المصاعب التي لحقها بعد التضلع بالمقاومة ضد الألمان قد جعلته يلمس أن الضيق الذي يضارب في صفوفهم، كانوا يقاتلون عن مصالحهم قبل أن يقاتلوا - مثله - عن كرامة وحرية الإنسان.

بعد أن شارك في تحرير «الترانس» الفرنسية، أرسلته قيادته إلى ميناء «مولون» الحربي الذي وصله قبل إعلان النصر بأسبوع تقريبا. كانت احتفالات الانتصار شديدة الوقوع على نفسه الحساسة. كان سكان المدينة، جاهدة بدائنا، ينفلون للجنود الأمريكيين، وكانت البيئات والنساء يتهاقن على الرقص معهم، وكان يرفض الرقص مع المليون ولو كان بطل حرب تحريرهم.

يمكن أن نصور مدى الألم الذي عصف به أمام هذا اللون من التمييز العنصري. هو الذي حارب النازية التي قامت على محاولة تفريق عرقي تجريرته الإثنية هذه بالإضافة إلى بعض معاناته في مدينة «ليون» التي التحق بها طلقيا وعمل بها، فتجشعت وأظلمت لأن يصدر عام ١٩٥٢ كتاب «بشرة سوداء... أدمعة بيضاء» (Pauvre moi mes yeux bleus) فليسو كان يرفض الانتماء بالإثنية النرجية في مدينة «ليون». كما فشل زملاؤه: كان يقول لزملائه: «كلما قلت لأفادنا، كلما كان ذلك أفضل». كان يريد أن يزول التمييز القلق على اللون من الوجود.

عندما وجه مخطوط كتابه السابق الذكر إلى دار نشر «لوسوي» طلب منه أحد المترجمين - وهو «فرانسيس جانسون» (Francine) أن يلائله في مكتبه.

بباريس. عندما دخل لمانون مكتبه



من المراهقة حتى الموت

٥٧ وجهات نظر

العدد الرابع والثلاثون - نوفمبر ٢٠٠٦ م

٢٠ - تشرع للفضال مع الجبيلاتيين

بارده «جاسون» باعداد كتابه «كان فلان من قانون الآن قال له، «تقصده كتاب لا بأس به مارام قد كتبه زيجي»
جاء رد فعل الناس سريعاً وحاداً وبخفاً:
انشار إلى الجاب، بمعنى «اطلع برده» أدرك قانون جيند أن مخاطبة كان جاداً في لونه، بل وانكسار إلى ما يستعمل بينهم باحتشارده للزواج، واستمر هذا اللقاء العاصف عن فقامه وود وصداقه.

كان قانون مثل كل مرهف حس، شاعري العاطفة، سريع الانفعال، عنيف ردود الفعل، جاداً يندفع بحماسة للفضاء عما يؤمن به، مغفلان بالثأر فسيته، وقد يخيّب أهله من جراء سلوك أو تصرف أو عيادة، فينقلب منشدًا، سوداوي المزاج، كافرًا بكل شيء، دون أن يخلو عن الفخر في كل الحالات.
وقد يكون من الحاسدين هنا تصحيح عبارة وردت في الرسالة الموجهة لآسره عام ١٩١٢ م من جبهة الفضال، والتي ينفذ فيها «اللائيكيين»، لقد يلهمها بعض من يقرؤنها ممن لا يعرفون «فانون» أنه ضد «اللائكية» التي تمنح عند كسبريين إلى المجتمعات الإسلامية اليوم، «الإلحاد». كلا... لأن قانون كان يتصور بذلك إلى الأوضاع الفرنسية خلال الجمهورية الثالثة التي عاشها وأنها ظلالاً ومراوفاً، والتي تعزمت بالصراع بين الكنيسة واللائكية. ثم إن قانون رغم شذائه في وسع مميحي، تألّ بعضه فيه، كان يجهز يلهه لمحد ولا يؤمن إلا بالإنسان.

ما زلت أذكر أول يوم رأيت فيه، كان ذلك خلال مارس ١٩٥٧. كنا مجتمعين في قاعة التحرير حول «عبدالرزاق شتوف» المسؤول عن صحيفة «بالق الإفريقية»، فجاء رجل عظيم اللامعة شاب بالغ الانفعال، رياضي الجسم، في عينيه شغف، وعلى شفاهه تعلق بوشن الوبى. انتقل عياده بسرعة من واحد لآخر بينما كان يندب على يد كل بافرد مصادفًا، تطلع من هيئته جاذبية تعلق تعلق به قبل أن نعره، سالت عبدالرزاق: من يكون؟ نجاب؟ أكم تعرفه؟ هذا هو فانون.

انضم إلى هيئة التحرير.
تلك هي بداية تعرفي على أحد الرجال الذين طبعوا عصرهم وتركوا رسالة إن باتت بعدهم. وهي نفس الفترة تقريباً التي تعرفت بها على بعض الفرنسيين الذين احتفوا بجبهة التحرير الوطني، مثل الدكتور بيبير سولي، وسجرج ميتال الذي أصبح فيما بعد مستشار لومومبا السياسي.
وهكذا جمعنا الصدف حيناً من الزمن، منذ مارس ١٩٥٧، وتعرّضت لاحتفاء بعد ذلك، خاصة منذ شهر يونيو من نفس العام.

عندما دعا بعض هيئة تحرير «المقاومة الجزائرية» في ربيع ١٩٥٧ لم يستمر طويلاً، ذلك لأن القيادة التنفيذية لجبهة التحرير واجهت مشاكل مقددة في بداية تلك السنة، أثناء ما عُرف بـ «مركبة الجزائر العاصفة»، التي اغتيل فيها أبرز عناصرها هو عبد الحربي بن مهيدي. في الأضواء الباقية على هذه الحياة، إن يتخلوا بالخراج لإسادة ترتيب الأوضاع على ضوء التسييدات: في هذه الفترة طرت قيادة الجبهة توجد الصفح المظلمة بعد جبهة التحرير في صحيفة واحدة هي «الجبهة»، وتقرر أن يكون بارها في مدينة نيوان، شمال المملكة المغربية، صدر الأمر إلى الذين عيّنوا أعضاء في أسره التحرير أن يلتحقوا بـ نيوان. تفلّنا لهذا القرار اللحن من تونس كل من فرحات قانون ومحمد الجيلي، غادرتا تونس معاً إلى روما لم يدرين تم نيوان.

كانت تلك الرحلة في بداية التشرع الحيفي على في فانون إنساناً ومفكرًا، فصبنا بروما يومين بمعينة الحريوم أبي حسن وهو صدام تعرفت عليه بالعاصمة الجزائرية عام ١٩٥٦. قبل أن يلتحق بالمغرب (أصبحت في انفجار شتية بالقاتل المغربية، وجهته له المخابرات الفرنسية، وقد توفي متأثرًا بالجرار التي خلفها).
تم مكثنا في مدريد خمسة أيام، وفي نيوان عثا، فانون أخذ يشارك في ثغرة واحدة خصصت لنا في الفيللا التي كانت أسره التحرير تقيم بها، والتي تشكلت من رضا مالك، محيي الدين صويها، على مارن، على عسول، سليم، ومعدالاه، زهير إيجادن، بالإضافة إلى الآخرين عندما من تونس. كان قانون في هذه الفترة شديداً انغلاقاً بالمشاكل.
في نيوان أتيح لي أن أعرف عنه ما لم أكن عرفة: كان كثير الملاحقة، قليل النوم، صارماً مع نفسه، وودعاً مع زملائه، بخاطبك كند، ظم اشعر منه بؤرة تعامل، ولم أكن أعلم أي أثر لاعتدائه بنفسه والباقي بمؤهلاته أو الزهو بالفاكر.

كان قليل الخروج من مقر إقامتنا، مثله في ذلك مثل سائر زملائه، (إسماهنا اثنين كانا متعولين من الخروج لأسباب لم نتحول صرناهما).
طيلة فترة نيوان ظل فانون متساوياً مع نفسه، شديد الحساس، كبير القوال: أكم يصيح جزائرياً قليلاً وقادياً؟ ثم يتحدث باسم جبهة التحرير عندما عقد ندوة صحفية في تونس بمناسبة والفة ملووزة البشعة، التي شهبها للفرنسيون لجيش التحرير وسبيلها د. حيد التحرير للجنش الفرنسي (أبي تيين أحمد. انبها لم تكن من عمل الفرنسيين، وقد «أثر فانون، عندما اطلع على المحيلة تأللاً بارها).

إن قانون إذ أصبح ضمن فريق «الجبهة الصحفية» التي تشرف عليها مباشرة أعلى هيئة في جبهة التحرير، كان يشارك في توجيه الثورة، أكم يبع بيان رمضان، تلك الشخصية العملاقة، يخالصه كعدوون أن يشهره بأنه هو المسئول وقانون تابع؟ (واقول أن سلوك عيان رمضان ذاك مع فانون كان هو نفس سلوكه مع افراد أسرة التحرير).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فانون قد فوجئ عندما التحق بمستشفى «البلدية» في الجزائر، عندما نسين أنه لا يوجد لدى الجزائريين أي تمييز ضد المؤمنين: اعتبره الجزائريون واحداً منهم حتى من قبل أن انضم إلى جبهة التحرير وبصير رجلاً من أبرز وجوهها. يؤكد ذلك مثالان: المثال الأول رواه لي فانون بنفسه في نيوان: حدث أول احتفال بالجزائريين - وفيه افتاد فانون نوفمبر ١٩٥٦ - وكان مساعداً بترجيه من ما تقولون مرفضة جزائرية لا تعرف الفرنسية: انتهت الجزائرية، وقالت مساعداً: ماذا يحسب لنفسه؟ لماذا يتظاهر بعدم معرفة العربية لأنه تعلم لغتهم وتردد على مدارسهم؟ لم يخطر على بالها إطلاقاً أنه غير جزائري، المثال الثاني: ترويه «اليس شرقي» في كتابها عن قانون: كان يجلس في سيارته مع زميل، يدرن سيارته. كان الزمن رمضان، بر بها جزائري باره شاكلاً، عجيب، المطلوب، مثلاً تدخن في شهر رمضان - لم يخطر على باله أنه غير مسلم.

لكننا نعلم فانون إلا نحن تصورنا أن نقبل الجزائريين له بصورة علوية، واحتضنهم له بوصفه واحداً منهم هو السر الأساسي في انتباهه إلى أحد أشهر الرجال الوطنيين. فاد شاهد قبل اندلاع الثورة المسلحة من مظالم التمييز العنصري ضد الجزائريين ما جعله يبين مدى تطبيق مكرتهم من أجل التحرر والاستقلال مع المعركة التي ما ظني بخوضها منذ سن الثالثة عشرة من أجل انتزاع حرية الإنسان وصيغته كرامة.

وقد قادته المسمى الخاص الذي اعتمده في معالجة المرضى النفسيين الجزائريين إلى الضرف على البيئة التي شتأوا إليها وانتقلوا لتي شوبا عليها فاختشرو وجود هوية ثقافية جزائرية تختلط عليه من المزايم الاستعمارية بأن الجزائر فرنسية.

من هنا كان انطوائه في الفضال الجزائري مبكراً، نابعاً من مجموعة تلك العوامل، ولم يكن يخضع لأي حساب شخصي، وهذا ما يفسر أيضاً فهمه المبكر لكليات الضلال ضد الاستعمار، وإدراكه للمعنى لطبيعة الثقافة الوطنية ومورها في صناعة رفض الاحتلال. وقد ساعده هيئته وتخصمه من جهة، وتأثره بمرسة استانه لـ Jacques في الطب النفسي من جهة أخرى. في فهم المسار الذي أخذه الفلاح الجزائري، وحسد طهرت تلك على الأصح في المقالات والدراسات التي كان يكتبها لصحيفة «الجبهة» كما ظهر في كتابه (La van de la Revolution) (العنصرية) (العنصرية) الجزائرية في عاصمة الخاص الذي نشر في «طباعة لاحقة تحت عنوان: (Une Revolution) (Socialologie) عنوان.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

سريع الانفعال، عنيف ردود الفعل، حالماً يندفع بحماسة للفضاء عما يؤمن به، مغفلان بالثأر فسيته

(سوسولوجية ثورة)، ومن هنا لقد استحق وصف «مظلوم الثورة الجزائرية» لكن لفرج إلى الثورة القليلة... إلى الفكرة الفاصلة بين مرحلة نيوان، (صيف ١٩٥٧) ومرحلة تونس التي بدأت مع انتقال مقر الجهاد إلى تونس منذ ٩ أكتوبر ١٩٥٧، في ٢٠ أغسطس ١٩٥٧ اجتمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة، وكان موضعاً أن يكون ذلك الاجتماع مناسبة لضم عناصر أخرى لضفوة لك المجلس، وكان هناك من يتوقع أن يكون فرحات فانون ضمن الأعضاء الجدد في المجلس الثورة. اتخذ ذلك الاجتماع قرارات كان لها تأثير كبير على الاتجاه الذي أخذته جبهة التحرير بعد ذلك، مثل إلغاء مبدأ أولوية السياسي على العسكري، وإلغاء مبدأ «أولوية الضال على الخارج».

عندما جازرنا نيوان لم تكن قرارات المجلس الثورة قد بلغت.

في مدريد التي مكثنا بها بضعة أيام في طريقنا لتونس، تسربت أخبار الانحياز عن اجتماع القاهرة عن طريق بعض القادة الذين كانوا موجودين في مدريد. كان مدريد من أهم القواعد الخفية لجبهة التحرير في أوروبا: من خلال إسبانيا تم تمرير الأسلحة التي توجه إلى المناطق الغربية من الجزائر. كانت إسبانيا فراتكو تمتح تصيلات صغيرة لجبهة التحرير، تفلّوا للدولة المستعصمة على فرنسا الجمهورية، وإسبانيا القاضية، وكان نظام فراتكو معروفًا بأن نظام بوليوسى مسلم، وكنت قد لاحظت، أول مرة وصلنا إلى مدريد دافين من تونس (يونيو ٥٧) وجود مسووين في المطار يلتفون مسور كل الذين يشاربون القاطرة. عندما سالت مكتب جبهة التحرير في القاطرة، كانوا يقولون من مخفي ذلك الجبهة أن تلك هو النظام الحالي هنا، وذلك يعني أن نظام فراتكو لم تكن تخلي عليه أية تحركات غير الشراب الإسباني كيف إذا خلق لنا بارتفاع الأسلحة إلى شمال المملكة المغربية.

خلال مكثنا بدمرد في الطريق لتونس هذه المرة، (سبتمبر ١٩٥٧) اجتمع بعض قادة الجبهة مع بعض ممثلي الثورة في أوروبا بتقدمهم الأخ عمر بووادو الذي كان مسئول لشعبة جبهة التحرير في أوروبا، برأله «فرانسيس جاسون» الذي كان يتولى تهرب الأموال التي يجمعها المخطوفون بفرنسا إلى بنك أوروبي، «جاسون» كان هو تلمسه الذي تولى نشر أول كتب فانون عام ١٩٥٢ كما سبغت الإشارة لذلك. وكان قد تصالح مع الفلاح الجزائري وسام في التشرع بشر هيئه لدى الرأي العام الفرنسي إذ كان قد نشر في العام التالي للثورة كتاباً أله بمعينة روجيته عنوانه: L'Algerie hmo la. (الجزائر الخارجية في القانون) تعرض فيه للفلاح التي ارتكبها الجيش الفرنسي أثناء حرب الاحتلال في القرن التاسع عشر.

أذكر جيداً ذلك اليوم، أو بجارة أبق تلك الليلة، كان الجو حاراً، وكنا نتمشى فانون وأنا، في أحد شوارع مدينة الواسعة. كان فانون يتحدث كلمته بطلاقة وأفضل، لم يصدر عنه تعليق صريح على قرارات اجتماع القاهرة، أو ما يدل على تذمره من قيادة الجبهة، لكن التضاؤل كان يطبع بعض الأمطر من هدبه،



دليل خفيفة اقل، ذلك لا يعني انه كان يحمل
الهمة كبرى على انضمامه للقيادة، لكنه يعني
فيما لتصور وحسبما استخلصته من حديثه
الآنذاك، انه كان يتوقع من الضمير الذي علمني
منه قبله، سواء عندما كان جنديا او بعد ان
استطاع به المقام في مدينة «ليون»، الا يكون
الصعب الحقيقي لاستيعابه هو كونه اقل
جناريا بالاصالة.



كان فانون يثق لثة مطلقة بعينين رمضان
وكان محبها به أشد الإعجاب: لكن عدم حصول
هذا الأخير على الأغلبية عند التصويت في
الانتخابات لانه المبادئ التي اعتمدت في مؤتمر
الصومال، أغسطس ١٩٦٠، وهي المبادئ التي
كان يدافع عنها عيان ويمنش بها، جعل فانون
يشك في القيادة، إذ لم يؤيد موقف عياني في
اجتماع القاهرة إلا شخص واحد. ولعل هذا ما
دفع فانون إلى ان يتساءل ذلك المساء، عما إذا
كان هناك قائد خفي، هو القائد الحقيقي الذي
يمس بكل الخيوط دون ان يثير للممان، ولم
يصط به الى ان تكون الخطبة البسطة مما تصور.
لأن الخطبة لم يبتينها إلا بعد ذلك، ويمكن
تخصيصها في أن التفتك الذي حدث ضد عياني
رمضان كان نتيجة الخلاف مصالح بعض القادة
المعززين الذين وجدوا الفرصة سانحة أن
يحتكروا السلطة دون الآخرين من جهة. زيادة
على تدني المستوى الثقافي لعدد من العناصر
الحزبية من جهة ثانية، وخياب قادة من وزن
العربي من موهبة ومصطفى من يوليود من جهة
ثالثة.

بعد ان أبدي فانون شكه ذلك، راج يتحدث
عن تجربته الفكرية بالمشاهير، خاصة ما
استخدمه من استناده الإبناني Tos quelles
الذي كان قد أراهني، في تيطوان كتابيا له، كان
يأرا انه قد نشأ قبل أن ينام، واستطرد في شرح
نظرياته، لم صار هي بأن نشأته المسيحية لم
تقلصه بوجود الله، وأنه لا يؤمن بالإلحاد...
وإذا غاب الأمل في الإنسان ماذا يبقى؟ لأنه لم
يلدث أن يتدارك: الإنسان هو القيمة الإنسانية.
القيمة الموقرة.

إن عدم وقوع فانون في فخ اليأس لطلق
يرجع إلى تديري إلى عاملين: حيويته المتقدة
التي لا تجد متفكسا لها إلا في الحركة والفعل والعمل
والجهد من ناحية، ورؤيته على الفعل ما أدى
الإنسان من ناحية أخرى، كان ذلك التطلع لفهم
ما يجري في العالم، كان شديد انهم لم
أخر ما صدر من كتب والأطلاح على أحدث
الإبداعات، سرع الحركة كانه يريد أن يسابق
الزمن، وكان لديه إحساس بأن الزمن لن يمهله

حتى يقول كل ما لديه. وليس من محض
الصفة أن يكون ضمن آخر ما كتب قبل وفاته:
«أفكر دائما في جعل علمي يا جسمي إنسانا»
ملم التفتل...»



بعد العودة إلى تونس رحت استعصرش ما
قاله لي في مدريد، محاولا تولييه على ضوء
كتابات وسلوكه بعد أن تغيرت ظروف عملا:
فبعد أصبح كل منا يعيش مع لعله، ولم نعد
متفكرين من السلوك والولد كما كنا في
تيطوان. لاحظت أن سلوك فانون لم يتغير، بل
لقد كان من رايه أن يقل أعضاء أسرة التحرير
متفكرين عن سرهم، متفرجين للعمل في نفس
المكان الذي يليهمون به. تماما كما كنا في
تيطوان. إلا أن فكرته هذه لم ترق لخطتها، ولما
شاهد عيان رمضان أن الأغلبية ضد رأي فانون،
سارينا وثرت أنا كنا يعيش في سكن خاص مع
أسرته.

ظل فانون في تونس محسوبا بأسلوب
العمل الذي درج عليه: مضمولا أكثر ما
يمكن من عمل في أقل ما يمكن من الوقت، أدرك
بعض ضوء ذلك كله أن عضويته في مجلس
الثورة لم تكن نهمه، لا تضفيه عليه من وجاهة
أو تمنحه من سلطة، فهو لا يحب المظاهر ويكره
التمسك ويعتبر التواضع أساس التعامل مع
من يعملون معه: كانت علاقته مع رفيق فائمه
على الألفاظ والافتخار، فلم يكن يعمل شيئا لا
يفتح به، ولم يكن يلزم غيره بعمل شيء لغيره
أنه هو الذي أصدر الأوامر: كان يفضل الحوار
والجليل باتني في الحس، كل ما كان يهيم في
عضوية المجلس الوطني للثورة الجزائرية، هو
أن المواقف الجادى يفتح له فرصة لتبرير لتخلفي
ما يؤمن به من مثلى، ويعطى مساهمة مزيدا من
الفعالية لتحرير الأفكار والآراء بالانتماءات
وتهديب الممارسات.

صراحة الضميرين في الأرض

لم يتجاوز حضور فانون داخل الثورة
الجزائرية الأربع سنوات، لكن عطائه الفكري كان
من العمق والوفرة، وتاريخه كان من السعة
والانتشار ما جعله يبدو في نظر كثيرين هو
المنظر الوحيد للثورة الجزائرية أولاً وللثورة على
نظام العالم الثالث بعد ذلك.
لقد عرفنا استعداد فانون، من وضوياً الإنسان
الخروج من المرافقة، للتفاعل مع القضايا الإنسانية
وابعادها العالمية، عبر تنوعه للحرب في
صفوف، فرسانا الحرة، إلا أن مظاهر التمييز
للعنصرية جعلته يبحث عن مجال آخر لدعوة
قضية الإنسان، بعد مرور ثلثي من عامين على
التحالف بالجزائر، وجد شانه في الثورة
الجزائرية الوليدة يؤدى جرحى جيش التحرير.
ويقال بعض من اصيب منهم بلامراض نفسية.
كانت سر الأمر أنذاك ثلاثين سنة، هو عام
بالتونش، وقد مرت ستة على سقوطه جيان بيان
فو وانتصار الجنرال جيبان
الفيتماني في كل منكمرة
الفرنسية، يوم ٨ مارس

١٩٥٤، التي هو الذكرى التاسعة لجزيرة ٨
مارس ١٩٤٥ التي ذهب ضحيتها خمسة
وارثيون ألف قتيل، من الجزائريين.

وما إن اندلعت للثورة المسلحة في نوفمبر
١٩٥٤ حتى التحق عدد من الجزائريين الذين
حاربوا في فيتنام بجيش التحرير الجزائري.
فيمكن القول بأن فانون كان، من خلال ذلك،
على صلة بمظاهر عالية لصراعات كانت تبدو
محلية، فبما أختنا في الاعتبار حساسية الثورة
وتكادها الحداد أربكنا مدى سرعة استيعابه
لمعطيات عالمية لم تكن قد اقتضت بعد لكثيرين
من مثاليه، وإنما لا تستغرب عندما نعرف أن
فران فانون كان قد قرر انزاله في أن يؤلف كتابا
عنوانه: «الجزائر- جنوب أفريقيا، لأنه أدرك ما
بين التناقض من أوجه شبه، من حيث
الاستيطان والتمييز العنصري. وفي الوقت الذي
كان يتحدث فيه فانون هذه الفارقة، كان عياني
رمضان، أحد أبرز الوجوه للثورة الجزائرية-
يعلم بالواقع بعد لها سدي بيان بيان هو، على
أن يكون مبدئيا شارح أيزري (وهو شارح
لأوربي ضخم يقع في قلب عاصمة الجزائر)، كما
كان يحمل بأقامة مناقش محرة في الأري اليا
غرا ما لمقته لارثشال، يتنوع في يومسلايا هذه
الحرب العالمية الثانية، فكان ذلك الأول من
سلسلة تلميذ-عالمفالة، ظهرت بالجزائر خلال
السنين الأولى للثورة المسلحة، وليس من
المتصور أن تكون بدايات التفكير في حركة
ثورية على مستوى العالم الثالث قد ظهرت عند
فانون نول احتكاكه بالثقاف المسلح في الجزائر،
تتأرا لاستخدامه منذ سنين الثامنة عشرة للدفاع
عن حرية الإنسان في أي مكان من العالم، وما كل
هناك لن تجربته الجزائرية جعلت هذا الالتزام
يخرج من نطاق المشروع القومي إلى مشروع
عالمي يسع للعالم الثالث كله، وهو المشروع الذي
بدون تكبير-عالمفالة، ظهرت بالجزائر خلال
عن حرية الإنسان في أي مكان من العالم، وما كل
هناك لن تجربته الجزائرية جعلت هذا الالتزام
يخرج من نطاق المشروع القومي إلى مشروع
عالمي يسع للعالم الثالث كله، وهو المشروع الذي
بدون تكبير-عالمفالة، ظهرت بالجزائر خلال
عن حرية الإنسان في أي مكان من العالم، وما كل
هناك لن تجربته الجزائرية جعلت هذا الالتزام
يخرج من نطاق المشروع القومي إلى مشروع
عالمي يسع للعالم الثالث كله، وهو المشروع الذي
بدون تكبير-عالمفالة، ظهرت بالجزائر خلال

أن يشهد تأثيره عالميا.
كان فانون حريصا على أن يثؤلي جيان بيان
سائر كتابه للخدمة لكتاب يعرف أن لفه سوف
تضمم، لأنه يعتبر مثل تلك الكتب ضرورية وأما
استعداده، لم لعل الأولون قد فاته، حساسية
سجلته المظلمة التي تشرح المقصود بذلك: بأنه
بالصد بأن الأولان قد فاتت سياسيا، لكنه يؤمن
أيضا إلى أنه يعرف بأنه سوف يموت عما
فريد، ولعل ذلك اختطفت الموت فور صدور
الكتاب، ولما يتجاوز ستة وللايين عاما.
لما فوات الأولان سياسيا فعله إشارة إلى أن
ما لاحقه في بلدان الحرية انطلقت، وما شاعده
من صراعات داخلية بين قادة جبهة التحرير
لقدع بأن كانه جاء متأخرا وأنه لن ينجح في
تصحيح الانحراف الذي ترقره منذ ١٩٥٧.



لنحدث الكتاب ضجة كبرى: فهو يختلف عن
كتابات السبالة التي كان يتوجه بها إلى اليسار
الفرنسي: فهو في كتابه الأخير يتوجه إلى لجنة مركزية
في الجزائر وفي أفريقيا إلى عموم العالم الثالث.
ولم ذلك تقصير... اليس
شركي، صاحب لكتاب عن
سيرة فانون الذاتية، ما يلي:
«يتوجه فانون في هذا



الكتاب إلى المستعمرين «بلغة الدم، الذين
يكسحون ضد الاستعمار» والذين عاش معهم
منذ أن انضم لجبهة التحرير. كتبه لرفاقه
الجزائريين والفرقة، كان يريد تخصيصهم من
أطوار تدهول لا جراحة أخصمه تجربة كان لأواما
على تحرير الشرايط الوطنية دون أن يتأثلا
الأوضاع الاجتماعية... كان يريد أن يقل لهم ما
عاشه وما فهمه من خلال النشاط الثوري، إنه
يتحدث انطلاقا من التاريخ الواسع عن انغمسه
في هذا التاريخ الذي أخصمه تجربة كان لأواما
عليه أن يملوها... إن مجموع الكتاب تحليل
دقيق لتفسيات الاستعمار، وتساؤل عن مستقبل
العالم الثالث وخاصة في الفترة الأخرية، مع
توجهه إلى أمريكا اللاتينية وكوبا على
الخصوص، لعل هذا ما جعل الكتاب يحظى
بالاهتمام الواسع على اختلاف ردود الفعل التي
أثارها: فهناك من مجده، وهناك من انتقده،
وهناك من رفضه جملة وتفصيلا، لكن لم يوجد
هناك من لم يهجم به.

إن الصراحة التي وجهها إلى خاتمة الكتاب
والتي ترجمتها أهم أسطورة منها في مطلع هذا
العرض، تعتبر إنذارا لكل المخطوفين، يرسم لهم
طريق الخلاص حسب رؤيته التي هي مزيج من
المقابلة المسيحية والانتقام العنيف من أجل بلوغ
كل الأوضاع لطفلة العدمية.
إن تلك الصرخة بالاضافة إلى تحليله
للمعانق التي يصطدم به البلد المستعمر، والذي لا
يفتح أن يخرج منه إلا بالعلم، فهذه كبريون
على أنها تصعيد للعلم المطلق، وهذا ما دفع
بعض المسيحيين في من تلامذه، مثل: زوكوي،
إلى الانتقام عنه، إلا قال هذه الأخير: «لم أعد فيها
موقفه، في حين أن فانون كان يتبع فيها
وسا، نفس، حسب كل الذين عرفوه، وكيف
يمكن أن يكون تاجعة على قدم، من فرانس فانون
يعمل على الاستعمار في من داخل الكائن الذي
استسلم الاستعمار، وهذا ما تحاول أن تكونه
«ليس شركي» عندما تكتب لتوضيح ذلك: «إن
نفسية الاستعمار بوجهة نظر هي مشكلة
مدونة لأن تسافر من ميلاد إنسان جديد، إن
الكائن المستعمر الذي أصبح شيئا، وتعود أباد
وصار جديرا على أن يصبح حيويا في بعض
الأحيان وشرا مثله، صار يصده استعداد
إنسانيته من خلال معارسته للششاط الثوري...
ولعل أن الأولي البهضة التي يولدها الاستعمار
لدى الإنسان، لا تستطيع أن تشكل بمفردها
برنامجا للثورة أو مشروعاً مجتمعيا لحركة
تحرير إلى المخطوفين الأساطير الحالفين
على الحدل إلى كانوا يشكون قوة انقلابية، فإنهم
لا يستطيعون وحدهم أن يولدوا إلى حركة
تحريرية، إذ إن هذه لا تتم إلا من خلال الله
بين الطلائع الثورية السامسة من الميعة
والجواهر الرياضية التي تشكل خامه غذاء قليلة
للثورة لأنها لم تتقوت بالثقافة الاستعمارية.
مثل هذا الله في فقر فانون هو الذي يقض
تجنب المخطبات في تسخير أمور الدولة بعد
الاستقلال: إذا أن التجربة تدل على أن المهم في
بده مختلف ليس هو أن يكون هناك لثامنة
شخص (بالصد ربما يرضان أي لجنة مركزية)
يعملون ويقررون، لأن المهم هو أن يبلع المجموع
أسبابا لقرارات ويتخذها من وغي، ولو أدى
الامر إلى أن يستغرق شخص أو ثلاثة أضعاف
الوقت الذي تستغرقه الحالة
الأولى، حسب تعميم فانون، ولم





عبيد الأرض

جند الله في المعركة العظيمة

فهمى هويدى



يطلب من

دار الشرق ٨ شارع سيويه المصري - وليلة العروة - مئنة نصر: ١٠٣٣٩٩

ومكتبة الشرق: ٦ ميان طلعت حرب ت: ٣٨١٢٤٨٠

ومكتبة الشرق مبنى قمرست أمام حديقة الميدان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ ت: ٧٣٥٠٣٥

ومن المكتبات الكبرى

كتاب الزاوية



خياب الأفغان وملابسهم

جميعهم سواء كانوا من سكان الأحياء أو البوادي يلبسون من الألبسة خشنها فأرباب البادية يصنعون ثيابهم من نوع اللباد على هيئة غريبة بكمين طويلين يشبهان خرطوم الفيل يصلان إلى الأرض ويسمى عندهم «كوسى» ولهم أيضاً ثوب آخر من هذا النوع يصل إلى الفخذين بكمين قصيرين يسمى «صدرية» وهؤلاء قلما يبدلون ثيابهم قبل الشتاء. وسكان المدن يصنعون ثيابهم من الجوخ الغليظ المعروف عندهم ببركر فيتخذون منه جبباً ضيقة الأكمام قصيرتها ويتقنون بأقنية من القماش الملون المعروف بالشيت. وغالب الأفغانيين يتمتعون بعمامة زرقاء وأما السردارون والعظماء فغالباً يتمتعون بشيلان الكثمير ألواناً. وسكان البلاد الحارة يحتضنون الثمال ويشخذون صدريات ويلبسون أقمصه تنتهى إلى نصف الساق واسعة الأكمام. وغالبهم يحزم بأحزمة عريضة تشغل ما تحت الصدر إلى الفخذين. وغالب القبائل لا يحلقون رؤوسهم وبعضهم يتخذون ضفيرة طويلة من شعورهم.

أما نسائهم فإنهن يلبسن ألبسة طويلة ويتعطقن بمناظر تقرب من الثدي حتى يرى بارزاً. وغالب نساء القبائل الساكنة في الجبال يقطعن شعور أذناب الخيول ويصلنها بشعورهن ونساء قبيلة الفلجاني يحبكن شعور نواصيهن ويشكلنها بشكل قرص ثم يسلته على الجبهة فيمتد إلى الصدغين في العرض ويستر الأنف طولاً كما أنها ترفع مستدير ويعلقن في أذانهن حلقات غليظة ثقيلة من الفضة والحديد والنحاس والبللور.

وأمرء الأفغان لا يجلسون على المنصات والكراسى وليس لهم من الأبهة والعظمة ما لغيرهم من الأمراء.

هذه المشكلات من بلد إلى بلد. لكن جميع هذه التهديدات ظاهرة متنامية.



الأمن البشري محور الناس، حيث يتعلق بالكييفية التي يحيا بها الناس في مجتمع من المجتمعات ويمدى حريتهم في ممارستها خبراتهم الكبيرة ويمدى وصولهم إلى الفرص الاجتماعية والفرص الاقتصادية. وبما إذا كانوا يعيشون في صراع أم في سلام، ومن الممكن القول بأن الأمن البشري له جانبان رئيسيان فهو يعني أولاً السلامة من التهديدات المزعجة مثل الجوع والمرض والاضطهاد، وهو يعني ثانياً الحماية من الاختلالات المفاجئة والمؤلمة في أنماط الحياة اليومية سواء في البيوت أو في الأعمال أو في المجتمعات المحلية، ولقدان الأمن البشري يمكن أن يكون عملية بطيئة أو يكون حالة فجائية، ويمكن أن يكون من صنع الإنسان نتيجة لاختيارات سياسية خاطئة أو يمكن أن ينبع من قوى الطبيعة أو قد يكون مزيجاً من هذين معاً، ملحقاً يحدث عادة عندما يؤدي تدني البيئة إلى كارثة طبيعية تعيقها مساهمة بشرية، لكن من المهم عند تعريف الأمن عدم معاملة الأمن البشري بالتفصيلية البشرية، فالانتمية البشرية مفهوم أوسع نطاقاً حيث تحث عملية توسيع نطاق خيارات الناس، الأمن البشري فمعناه أن يكون باستطاعة الناس أن يمارسوا اختياراتهم في سامن وبحرية، وأن يكون بوسعهم أن ينفذوا تسيباً في أن الفرص المتاحة لهم اليوم لن تضعح تماماً في الغد، وهناك صلة بين الأمن البشري والتنمية البشرية، فالقدرة في مجال من هذين المجالين يعزز إحراز تقدم في المجال الآخر ولكن الفصل في أي مجال منهما يزيد أيضاً من حدة خطر الفصل في المجال الآخر.

وفشل التنمية البشرية أو محدوديتها يؤديان إلى تفرقات من الحرمان البشري تأخذ شكل الفقر أو الجوع أو المرض أو تفكقات مستمرة في الوصول إلى القوة وإلى الفرص الاقتصادية، وهذا بدوره يمكن أن يفضي إلى العنف، وعندما يتصور الناس أن أمنهم المباشر مهدد فإنهم يصبحون عادة أقل تسامحاً ملحقاً ينتج من المشاعر المتنافسة للإنجاب والعنف الموجه ضدهم في أوروبا، أو عندما يرى الناس تأكل مصدر رزقهم أو في حالة التعرض للنفق والظلم التي قد تؤدي إلى الاحتجاج العنيف على الاستبداد، فالأمن البشري كما هو واضح ليس مفهومًا دفاعياً كما هو الحال بالنسبة لأمن الصدور أو الأمن العسكري، بل إنه مفهوم متكامل يعترف بشمولية مطالب الحياة.

لقد كان هناك دائماً كونان رئيسيان للأمن البشري: التحضر من الخوف والتحرر من الحاجة، ولكن المفهوم يعيل الآن ناحية المكون الأول، لذا فقد أن الأوان للنشون من المفهوم تضمنين للأمن القومي إلى المفهوم الأوسع والأعم للأمن البشري، فالتناس في الأمم المتحدة يلتصمون الأمن من خطر الجريمة ومن حرب المخدرات ومن انتشار مرض مثل نقص المناعة "الإيدز" ومن تدني التربة وارتفاع مستويات الفتون ومن الخوف من فقدان أعمالهم، ومن مواعى قلق عكسرة تظهر عندما يتفكك التسيج الاجتماعي، أما في الأمم المتحدة فيحتاج الناس إلى التحرر من التهديد المستمر الذي يطله الجوع والمرض والفقر وعدم وجود القوى تضاف إليها نفس التهديدات التي تفرض لها البلدان الصناعية.

إن الشعور بالأمن الاقتصادي يتطلب وجود دخل أساسي مضمون من عمل منتج ومجزر أو من شبكة للضمان الاجتماعي تؤسسهما لوجود لكن طبياً لهذا المفهوم لا يوجد غير ربع سكان العالم هم الأمنون اقتصادياً، ففي بداية ١٩٩٣

بعد اعتداءات نيويورك وواشنطن

مفهوم جديد للأمن الإنساني

عادل أبو زهرة



يبدو أن حادثة تدمير مركز التجارة العالمي وجانب من وزارة الدفاع الأمريكية باستخدام طائرات مدنية ومن خلال عملية انتحارية وضع دول العالم جميعاً أمام معضلة شديدة التعقيد فيما يتعلق بمفهوم الأمن على المستوى الدولي وعلى المستوى المحلي، كما يجعلنا ننظر إلى مبلغ المائة مليار دولار الذي رصدته الحكومة الأمريكية لحاربة الإرهاب أو للإنفاق من هؤلاء الذين جرحوا كبرياء الدولة الأعظم نظرة مشوبة بالدهشة، لذا سعيت من جانبي لمبحث فيما لدى وبين يدي من أبحاث عن مفهوم جديد للأمن الإنساني.

لقد شاركت بأنصبة متفاوتة من الجهد في إعداد بعض المؤتمرات الدولية المهمة التي تعقدتها الأمم المتحدة خلال السنوات العشر الماضية مثل: مؤتمر حقوق الطفل، ومؤتمر حقوق الإنسان، ومؤتمر البيئة والتنمية، ومؤتمر السكان والتنمية، ومؤتمر التنمية الاجتماعية، ومؤتمر المرأة والتنمية، ومؤتمر المستوطنات البشرية، ولقد أناح لي ذلك الإطلاع على أوراق بحثية وولائق وتقاير ونوصيات صدرت عن هيئات مختلفة وكان على رأس هذه الهيئات معظمات الأمم المتحدة مثل اليونسكو واليونسيف وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأغذية والزراعة وغيرها من الهيئات ذات الطبيعة العالي وكأن من أكثر ما أثار اهتمامي في هذه الوثائق وتلك التقارير هو ترابط وتغصن لهم الإنساني وتكامل الرؤية لكل ما يواجهه الإنساني من مشكلات، كما لفت انتباهي تطور مفهوم جديد للأمن الإنساني.

فخل مفهوم الأمن لفترة طويلة للغاية نفسيراً ضيقاً بأنه أمن حدود الوطن من العدوان الخارجي، أو بأنه حماية المصالح القومية في السياسة الخارجية، أو بأنه الأمن العالي من حدوث حرب نووية وفي إطار هذا التفسير الضيق ضاعت الشواغل المشروعة للناس العاديين الذين كانوا يلتصمون الأمن في حياتهم اليومية، وبالنسبة لكثيرين منهم كان الأمن يرمز إلى الحماية من خطر المرض والجوع والبطالة والجريمة والصراع الاجتماعي والقمع السياسي والفساد البيئي، وبانحصار الحرب الباردة يستلهم المرء أن يرى الآن أن هناك صراعات كثيرة موجودة داخل الأمم وليس بينها، وبالنسبة لمعظم الناس ينشأ الشعور بانعدام الأمن نتيجة للمشكلات المتصلة بالحياة اليومية أكثر مما ينشأ نتيجة للخوف من حدوث مشكلات عالمية.

هل سيكون لديهم ودى أسرهم ما يكفي لإطعامهم؟ هل سيقفون أعمالهم؟ هل ستكون شوارعهم وأحياءهم آمنة من الجريمة؟ هل سيمدبون على يد حكومة فاسقة؟ هل سيكونون ضحية للهلع والاضطهاد بسبب جنسهم أو ديانتهم أو لونهم أو أصلهم العرقي؟

وفي التحليل الأخير الأمن البشري هو ظلم لم يمت، ومرض لم ينتشر، ووظيفة لم تلغ، وثقور عرقي لم ينفجر في شكل عنف، ومشتق لم يمت أسكنه، الأمن البشري ليس انتشاراً بالأسلحة بل هو انتشاراً بالحياة الإنسانية وكرامته، إن الأمن البشري قضية ذات طبيعة عالمية وهو مهم للناس في كل مكان الأغنياء والفقراء على السواء، حيث هناك تهديدات مشتركة بالنسبة لجميع الناس مثل البطالة والمخدرات والجريمة والتلوث وانتهاكات حقوق الإنسان، قد تختلف حدة

أكثر من ٣٥ مليون شخص في البلدان الصناعية الغربية يعيشون عن عمل وكانت نسبة عالية منهم من النساء، والشباب هم الذين يكونون على الأرجح عاطلين عن العمل. ففي الولايات المتحدة في عام ١٩٩٢ بلغ معدل البطالة الشبان ١٥٪ في المملكة المتحدة ١٤٪ وفي إيطاليا ٢٣٪ وفي إسبانيا ٣٤٪ وكثيراً ما تهاجر مدخل البطالة أيضاً خارج البلاد إلى الخارج. ففي كندا يبلغ معدل البطالة بين السكان الأصليين حوالي ٢٠٪ وهو ضعف النسبة بين الكنديين الآخرين. وفي الولايات المتحدة يبلغ معدل البطالة بالنسبة للسود ضعف المعدل بالنسبة للبيض وحتى لو كنت الذين لديهم عمل قد يشعرون بعدم الأمان إذا كان عملهم مؤقتاً. حسب عام ١٩٩١ في إنجلترا كان ١٣٪ من المستخدمين عمالاً مؤقتين. وكانوا ١٥٪ في اليونان و١٧٪ في البرتغال و٢٠٪ في استراليا و٢٢٪ في إسبانيا.

والاشكال اكبر وأكثر حدة بالطبع في البلدان النامية حيث معدل البطالة الغنية المسجلة يتجاوز ١٠٪ وحيث معدل البطالة الإجمالي ربما يكون أكثر من ذلك بكثير. أما بالنسبة للشباب في أفريقيا في الثمانينيات فكان معدل البطالة المعدل أعلى من ٢٠٪ وهو أحد العوامل الرئيسية وراء النظرة البني في بلدان مثل الجزائر. أو وراء التوترات العرقية في بلدان مثل كينيا.

كما تزداد أعداد الفقراء أيضاً في الدول الغنية والدول الفقيرة على كل من الولايات المتحدة والدول الأوروبية. يعيش حوالي ١٠٪ من الناس تحت خط الفقر ويتناقص الفقر أيضاً حسب الأصل العرقي. ففي ألمانيا يعيش قسراً متوسط نسبة الفقر على الصعيد الوطني بما يبلغ ١١٪. تبلغ نسبة الفقر بين اللاجئين في البلاد المولودين في الخارج ٢٤٪. ولكن لنسبة المشاكل حدة موجودة في البلدان النامية حيث يعيش أكثر من ثلث الناس تحت خط الفقر. بينما يعيش أكثر من بليون على دخل يومي أقل من دولار واحد.

ومن أثار استخدام الأمن الاقتصادي في مدينة كل نيويورك الذين لا يوت لهم، فزهاء ربع مليون شخص من سكان المدينة وأكثر من ٨٪ من الأطفال السود عاشوا في مأوى مؤقتة على مدى السنوات الخمس الماضية. ولكن لديهم حوالي ٤٠ ألف شخص مسجلين على أنهم لا يوت لهم. وربما لديها أكثر من نصف مليون شخص. ٤٠ ألف منهم في باريس، والذين أسوأ بكثير في البلدان النامية. ففي السودان وكندا وكسكو بشكل أكثر من ٢٥٪ من السكان ما يسمى أحياناً بالسكان الموقطين. أما الآن الأفارقة فيعيشون لدى جميع الناس في جميع الأوقات إكثارية الحصول مادياً واقتصادياً على الغذاء الأساسي، وتوافر الأغذية عمومًا في العالم ليس مشكلة فعني في البلدان النامية زاد نصيب الفرد من إنتاج الأغذية بنسبة ٨٪ في المتوسط خلال عهد الثمانينيات، ويوجد ما يكفي من الأغذية لتزويد كل شخص من سكان أوروبا حوالي ٣٥٠٠ سعر حراري وحبوباً وقد يتجاوز الحد الأدنى الضروري بضعه ٢٠٠ سعر حراري. لكن المشكلة تكمن في سوء توزيع الأغذية وفي نقص القدرة الشرائية. فهناك حوالي ١٦ مليون نسمة في العالم يعانون من الجوع. وفي أفريقيا جنوب الصحراء يعاني حوالي ٢٤ مليون شخص من سوء التغذية. وفي جنوب آسيا يولد ٣٠٪ من الأطفال وهم ناقصون في الوزن وهذه نسبة عالية جداً ودليل محزن على عدم كفاية إمكانية الحصول على الغذاء أساسياً بالنسبة للمرأة التي كثيراً ما تكون آخر في يأكل في الأسرة.

أما عن الحديث من الأمن الصحي. فلقد نشير إلى أن الأسباب الرئيسية للوفاة في البلدان النامية هي الأمراض المعدية

والطفيلية التي تلتق حوالي ١٧ مليون شخص سنوياً من بينهم ٦.٥ مليون يموتون نتيجة لانتهاكات الجهاز التنفسي الحادة. ٤.٥ مليون يموتون نتيجة لأمراض الإسهال. ٣.٥ مليون يموتون نتيجة للسل. ومعظم هذه الوفيات مرتبطة بسوء التغذية وبالعيش في بيئات غير سليمة. لاسيما شرب مياه ملوثة تتسبب في حدوث حوالي مليون حالة إسهال كل عام.



أما أهم عناصر الأمن البشري فهو ما نسميه بالأمن الشخصي. ففي الأيام القليلة والأيام الغنية على حد سواء تتعرض حياة الإنسان بدرجة متزايدة لتهديدات وتآخذ هذه التهديدات اشكالاً عديدة مثل:

- تهديدات من الدولة (التعذيب البدني والملاحقة نتيجة اعتقاد آراء مخالفة للرأي السائد).
- تهديدات من جماعات أخرى من المواطنين (التوتر العرقي).
- تهديدات من أفراد أو عصابات ضد الأفراد الآخرين أو ضد مجموعات أخرى (الجريمة والعنف في الشوارع).
- تهديدات موجهة ضد المرأة (الاعتصاب والعنف المنزلي).
- تهديدات موجهة إلى الأطفال (إساءة معاملة الأطفال).
- تهديدات موجهة إلى الناس (الانتحار وإدمان المخدرات).

في كثير من المجتمعات أصبحت أرواح البشر أكثر تعرضاً للخطر ما كانت عليه في أي وقت مضى. ويتحمل أحد أهم مصادر اللق في العنف، لاسيما الجريمة التي تسمي بالاعتداء. ففي عام ١٩٩٢ تم إبلاغ الشرطة في الولايات المتحدة عن ١٨ مليون جريمة. وهذه الجرائم تسفر عن خسائر اقتصادية كبيرة قدرت قيمتها بـ ٤٢٥ بليون دولار سنوياً. وقد ارتفع عدد الجرائم المبلغ عنها في ألمانيا في العام نفسه بنسبة ٧٠٪. وفي العنف الثاني من الثمانينيات تضاعف معدل جرائم القتل في إيطاليا والبرتغال. وفي ألمانيا أصبح ثلاثة أضعاف ما كان عليه.

وكثيراً ما كان يتبع الزيادة في الجريمة بالانجراف إلى المخدرات. ففي كندا يعاني سنوياً ٢٥ شخصاً من بين ١٠٠ ألف شخص من جرائم مرتبطة بالمخدرات. وفي استراليا يعاني ١٠٠ شخص من تلك الجرائم. وفي النصف الثاني من الثمانينيات تضاعفت تقريباً الجرائم المرتبطة بالمخدرات في الدانمارك والنرويج وزادت أكثر من ٣٠ مرة في اليابان.

والجريمة والعنف من حقائق الحياة أيضاً في البلدان النامية. إذ يقتل أربعة أطفال كل يوم في البرازيل، حيث زادت جرائم قتل العنصر بنسبة ٧٠٪ في العام الماضي. وفي كينيا يبلغ عن ٣٣٠٠ جريمة سرقة مسيرات في عام ١٩٩٣. وذلك بزيادة قدرها ٢٠٠٪. فبالقرب إلى عام ١٩٩١، وحتى في الصين بعد أن الجريمة المنسوبة بالعنف والاعتصاب أخذت في التزايد.

وتتل حوادث الصناعة وحوادث المرور مساهمة شديدة أيضاً. ففي البلدان الصناعية تعتبر حوادث المرور الرئيسية موقوفة من قتل أو إعاقة أعمارهم بين ١٥ و٣٠ عاماً. مع وجود بعض أعلى معدلات الإصابة في بلجيكا وكندا والنمسا والولايات المتحدة. أما في البلدان النامية فإن حوادث المرور هي السبب في ٥٠٪ على الأقل من مجموع الوفيات الناجمة عن الحوادث. ولقد كان معدل الوفيات على الطرق السريعة في جنوب أفريقيا يبلغ ١٠٠ ألف حالة في عام ١٩٩٣. وهو ثلاثة

أضعاف عدد الوفيات الناجمة عن العنف المدبسي هناك.



وقد زاد أيضاً العنف في مخازن العمل. ففي عام ١٩٩٢ تعرض أكثر من مليوني عامل في الولايات المتحدة لإعتداء جسماني في أماكن عملهم. بينما تعرض حوالي ٦٠٠ مليون آخرين للتهديد بالعنف. وتعرض ١٦ مليوناً للعنف بشكل ما. وقد بلغت قيمة تكلفة كل ذلك من حيث العمل المصنوع والمصرفات القانونية أكثر من ٤ ملايين دولار. وكان حوالي سدس الوفيات التي حدثت أثناء العمل نتيجة للقتل. ومن أسوأ التهديدات الشخصية تلك التهديدات التي تتعرض لها المرأة. فإحصاءات ليست آمنة ولا تتعامل معاملة مساوية للرجل في أي مجتمع من المجتمعات. فانهاء من المرأة الشخصية يتبعها من المهد إلى اللحد. ففي في الأسرة آخر من يأكل. وهي في المدرسة آخر من يتعلم. وهي في العمل آخر من يعين وأول من يفصل. وهي تتعرض لإساءة المعاملة بنسبة جنسها من طفولتها وحتى بلوغها مرحلة النضج. صحيح أن المرأة تحصل الآن على تعليم أفضل وتدخل سوق العمل، وكثيراً ما تكون الطرف الرئيسي في الأسرة الذي يكسب دخلاً. وسلايين من النساء أصبحن الآن يعطن أسرهن. بحيث يمثلن الثلث في العنصر كله. وما يمل في العنف في بعض البلدان الأفريقية. حيث تنتج حوالي ٩٠٪ من الأمراض النفسية. وفي ماليزيا هناك مؤشرات كثيرة مشهقة لإعتداء أمن المرأة وللعنف البدني الذي يمارس ضدها. فعدد قدر مؤخرًا أن ثلث الزوجات في البلدان النامية يتعرضن للضرب. وذكر أن امرأة من بين كل ٢٠٠ امرأة في العالم النفسية. وفي الولايات المتحدة أبلغ عن أكثر من ١٥٠ ألف حالة الاعتصاب في عام ١٩٩٣. وهذه والضرر الجسدي في العمل شائع. وفي الهند طلبت الجمعيات النسائية فإن هناك حوالي ٤ آلاف حالة وفاة تحدث سنوياً بملفات المجر. وتقدر الحكومة أن الرقم كان ٥٠٠ حالة في عام ١٩٩٢.

وتعرض الأطفال لإساءة المعاملة بأشكال كثيرة. ففي الولايات المتحدة ذكر مؤخرًا أن حوالي ثلاثة ملايين طفل يتعرضون لإساءة المعاملة والإهانة. وفي عام ١٩٩٢ إلى حوالي ٢٠٠ طفل في الولايات المتحدة (بمعدل ٢٠ يومياً) تتعرض لإساءتهم بملفات تارية. وفي البلدان النامية يجبر الفقر الأطفال كثيرين على تولي أعمال شاقة في سن صغيرة للغاية. وكثيراً ما يكون ذلك على حساب صحتهم. وفي البرازيل يقضي أكثر من ٢٠٠ ألف طفل حياتهم في الشوارع. وحتى التقديرات المختلفة لتعدد العدد الإجمالي للموصات من الأطفال في تايلاند وسريلانكا وفلبين بما يبلغ ٥٠٠ ألف موص.

شاية التنمية واستدامتها

يولد الناس جميعاً و لديهم قدرات وإمكانات كامنة. وما الغرض من عملية التنمية إلا لتهيئة بيئة يستطيع الناس فيها أن يوسعوا من نطاق قدراتهم. ويعتق فيها زيادة حجم الداجيل المعاصرة والإجبال المقلية على حد سواء.

إن نموذج التنمية المستخدمة بادر الحياة البشرية في حد ذاتها. فهو لا يدير الحياة لخدم الإنسان بكنهه إنتاج سلع مادية مهما كان ذلك أمراً مهماً. ولا يدير الحياة بشخص ما أكثر من تلبية حاجات شخص آخر. فبني أن يكون مصير طفل حديث الولادة أن يحيا حياة قصيرة أو بقاء مجرد أنه

٦٣ وجهات نظر

صالحه وسعيها وصورتها في الفن الحديث
صالحه، والحناء الورقية بين الفن العربي
واستدامة استمرارية بعضين أيضاً تعاطلها
باعتدال إلى آخر القرون المدمرة للاستدامة
يكون له أي معنى، فحرقه للغاية
الذين يكافحون في سبيل الحياة، اليومي كثيراً ما
يتفقون على الأمور الأكثر تعقيداً لتجنب الاحتجاج
ببعضهم. في المجتمعات الفقيرة ما يكون
مهمنا الخطر ليس هو نوعية الحياة بل
الحياة نفسها. والفقراء ليسوا متشاكسين
بحالات الطوارئ القوية بل تغير مناخ الأرض
أو استنزاف الأوزون، بل هو ما هو مشغولون
وبحالات الطوارئ الصامتة على وجه الخصوص
والتي لا تترك أي أثر في الوعي التي تعرض زرعهم
ويهددهم للخطر. وما ما تعالج المشاكل، وإذا غابت
عنهم ضمان الاستدامة، الحياة، والأمان
الاستدامة فمن أي يوم البشري للأغنياء وبوم
الفن للفقراء، فإن استدامة غير متصلة وغير
عادلة ولا معنى لها ■

نقدم القاصدي إلى غاية ذلك الترتيب، وبمؤايد إلى
تأمين نوع الحياة أو الرفاهية الاجتماعية،
من ضمن المحسن الخطية لتدعيم تلك الاحتياجات
الاجتماعية والانسانية والانسانية والانسانية
مستهدفهم، وفي نفس الوقت تتعامل مع المواطن
بمحكمة ومع موقوفات البيئة باحترام، أي
الفرق بينه وبين تصرفات الدورات الخطية الحيوي
في الاستجابات. إن القضية الحقيقية التي نحن
التي لدينا التزام الفهم إلى ما يصل من أجل
الاجتماعي، التي تختلف ما تعلمه وانفسا ولا
معاملة التي يجب استخدام الموارد التي نحو لا
يستطيع في ديون الكونجيشة عن طريق
استعمال ما يوجد في الأرض، بل إننا نعلم،
والبشر في الحقيقة نحن الاستدامة سواء كانت
ديون اقتصادية أو ديون اجتماعية أو ديون
الكونجيشة. إننا نعلم الديون هي الفرض من
المستقبل، التي نسرق من الاجيال المقبلة
والتي عاشت في عة، ولا للفقير ولا مستغنى

ولد في الطبقة الحاكمة في البلد الذي هو قنر له
إن ينتمي إلى الجنس الخطأ، فاستغفرت جيب أن
تتمتع جنسياً مع الأولاد من نفس نوعه، فإدراجهم
في الجنس، وتوليدهم كالأطفال، أفضل
إن تولد ضمن فئة جميع الممارسين الاقتصاديين
والاجتماعية والسياسية.

والحفاظ على البيئة هو أولى حجة
تكون التنمية مستدامة أو قابلة للاستمرار
ومحاربة البيئة التي تضمن فرضاً لاإجبار
المخيلة الخاصة على التي تضمن بها الإيجار
السائلة، وهذا الضمان هو أساس الاستدامة.

كل هذه الاستدامة لا يكون لها أي معنى إذا
كانت تضمن استدامة فرض الحياة الخاصة
والعزلة، لا يمكن أن يكون الهدف هو جعل
في استخدام البيوت والحرمان، ولا ينبغي أن
يبدأ أن نخرج من ما قل خطأ اليوم من
الاستثمار الذي نحن على استعداد لفعله
للإجبار المبدع.

[illegible]

صرح متكامل لتطبيقات النحو

العربي من خلال جهود نخبة من علماء
العربية المسلمين ، يقدم مناهجهم وما تفردوا به في
صوغ مناهج علم اللغة الحديث ونظرياته .
عمل علمي تعليمي يستوعب صناعة الإعراب في فكر
متكامل ما بين نظري وتطبيقي يهتجنه غير مسبوقة
تنبئُ وجهات نظر الشارحين والمفسرين لألفية ابن
مالك ، في برفعة يتفرد في عرضها خالد بن
عبد الله الأزهري

يطلب من
شركة أبو الهول المنشر

تعارف مشاورہ و تنظیمات - ۹۹۴۵۶۰۸ - ۲۰۲۳/۲۶/۲۰۲۳
۲۷ - تنظیمات (عزیز) - ۹۹۴۵۶۰۸ - ۲۰۲۳/۲۶/۲۰۲۳

مكتبة لبنان ناشرون
٠٠٢٦٦ ٤٨٨٢٨٦٠

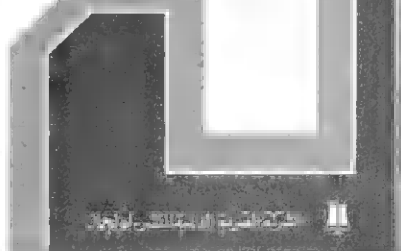
م.ب: ٩٢٢-١٩ بيروت - لبنان
كلية وموزعون في جميع أنحاء العالم

الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع



تمرين الطلاب
في صناعة الإغراب

خفیس و تقسیم و تعلیم
الدکتور البدراوی زهران



يسر الكرنك للخدمات السياحية
ان تعلن عن اسعار خاصة لرحلاتها الداخلية
على خطوط مصر للطيران المنتظمة



الاقامة ٤ ايام خلال شهرى اكتوبر ونوفمبر ٢٠٠١

جم	الغردقة	جم	شرم الشيخ
٥٤٠	موفتنيك الجونا بالافطار	٥١٠	شير اتون بالافطار
٥٨٠	سوفتيل نصف اقامة	٦١٠	سوفتيل بالافطار
٥٢٠	بالم بيتش نصف اقامة (٤ نجوم)	٥٧٥	موليداي ان نصف اقامة
		٤٦٥	عايدة (٤ نجوم) نصف اقامة

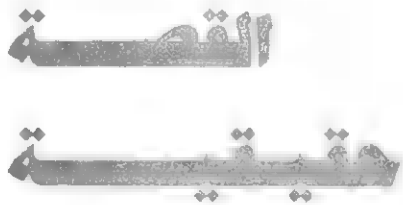
جم	اسوان	جم	الاقصر
٤٩٥	سارة بالافطار (٤ نجوم)	٦٥٠	موفتنيك بالافطار
جم		٤٣٠	ميركير ان بالافطار (٤ نجوم)

٥٤٠ اسوان و الاقصر نيوكتاركت + ميركير ان الاقصر بالافطار

برامج متميزة للعمرات والحج الى جانب رحلاتنا الخارجية

الحجز والاستعلام :
الفرع الرئيسى / من قصر النيل / ٥٧٩٠٤٦٥ / ٥٧٥٠٨٦٨ / ٥٧٥٠٧٢٩
الكرنك مدينة نصر (امام حديقة الدولية) ٢٧١٨٠٣٨
الكرنك موفتنيك المطار ٤١٨٣٧٣٠
مكتب مصر للطيران - جليم - الاسكندرية ٥٨٢٦٩٩٤
ومكاتب الكرنك بكل من : الزقازيق / شبين الكوم / بورسعيد / الغردقة / الاقصر / اسوان

الربوب البيولوجي!



أحمد توفيق

إن ماريبورج فرد من عائلة فيروسات تعرف باسم فيلوفيروس Filovirus أي الفيروسات الخيطية. ويبدو منظرها من كثافة من الممرات المسباجية التي سطفت على الأرض، ولونها السبب حسبه اللان أو فيروس الكلب الذي يبدو كرمالسة. فكتما هو فيروس كلب استنقل قليلاً. لم عرف العلم فيما بعد إننا نتحدث عن عائلة متشابهة تماماً من الفيروسات. وإلى ناس العائلة ينتمي فيروسان آخران هما إيبولا زائير وإيبولا سويدان. والأول أخطر فيروس معروف لأنه يقتل تسعة من كل عشرة يصابون به. حاول رجال منظمة الصحة العالمية طويلاً معرفة من أين جاءت هذه الفيروسات من أفريقيا. لكن السؤال ظل بلا جواب حتى عام ١٩٨٢. حين عرف أحد الأطباء الميكرين أن مصدر هذه الفيروس هو منعد كان يجذب القرد من نوغندا. وكان البيطري يستدعي القرد الذي لا تبدو على ما يرام. على أساس أنها سقطت فيما بعد. لكن المنعقد - عديم الضمير - كان يحتفظ بهذه القرد في جزيرة صغيرة بحيرة (مكتوبيا) أي امل أن يجد تصديرها ثانية. أي أن الجزيرة صارت مفعلاً حراً بماروس فيه القديروس شجاري. وينتظر ويظهر من قدرته... من الغريب أن هذه المنطقة بالذات هي التي نشأ فيها هذا الإيدز. وانتقل بشكل ما - من القرد إلى الإنسان. وهناك قرى في تلك المنطقة الآن التي الإيدز من الخارطة تماماً. لم يهتم أحد بما يصرفه البيطري لأن المسألة كانت ذات صبغة سياسية. فأورغندا لا ترغب في فقد دخلها من تصدير القرد. وهو يبيع لأبأس به.

نتيجة لهذه القرارات - وبذلة على طلب سبيلرشتاين - أفلتت الحكومة الكينية للمستشفى. وقامت بعزل الحالات الموجودة فيه فعلاً. لكن الدكتور موزوك ماتل اللشاه... قد استلعد وأعيه ببطء ولكن بثبات. ويبدو أن فترة الغرض مرت به كتم طويل بلا أحلام. في الفترة التالية تشير أصابع الاتهام إلى كنف كينيسون. لأن هناك هناك أنقى من ناه ماريبورج دخلت ذات المكان. ويذهب فريق من الباحثين هناك بحثاً عن مصدر الفيروس لكنهم يبهون بالقشل. أن الطبيعة معقدة جداً ولا تتصرف ببساطة أبداً. ولأسوف تكشف هذه الحقيقة أكثر من مرة في هذا الكتاب.

احشاه تبدو كاحشاء جثة مرت عليها أيارم. وكان الرجل مات من الداخل قبل أن يموت فعلاً. كتموا في القبر لونه في - لشل كيدي (نظام) لأنهم لم يجدوا كلمات تصف البول الذي راوه بداخله. وتم دفن الرجل في قبر لم يعد له ينكر أين هو.



بعد تسعة أيام من هذا بدأ تظهر الدكتور موزوك يؤلمه... لم يبدأ الدكتور التسريع كما حدث مؤنيه. قام أحد أطباء المستشفى - سيلفرشتاين - بفعل فعل الدكتور وشرب وأرسل عينه منه إلى السدي سي - مركز مكافحة الأمراض - في أنطنطا بالولايات المتحدة. وعينه إلى معاصر جنوب أفريقيا. وجاءت المكالمة الأولى من جنوب أفريقيا: إن دم الطبيب الشاب يبيع بفيروس ماريبورج. لم يكن سيلفرشتاين قد سمع عن ماريبورج قط. لذا فتح مرجعاً طبياً لمعرف ما هو. ماريبورج مدينة في لغتها شهدت هذا الأوباء عام ١٩٧٧ وقد بدأ من مصنع للأصالح يستخدم على القرد الخضراء المستوردة من نوغندا. لقد تلقى الأوباء إلى حد أن كثير من الأطباء حسموها هذه نهاية العام.



إن القنبلة الفيروسية بداخله
بلطف التمام وعلى وشك الانفجار
في أية لحظة. فجأة ينهار ويسقط على الأرض،
ومن حوله بركة من الدم تخرج من كل فتحات جسمه.
ثم سمع الجميع صوت الفشاء المخاطي
اليطحن لأمعانه وهو يتفعل
بالكامس ليشارد جسده



كانما يرح خلف مجرى عينيه. ولم يستجب لأي مسكن من أي نوع. ثم بدأت آلام الظهر والقيء العذيق. وأثار دعر صغيرة للزأ أن شخصيته ذاتها تغيرت... بدأ أكثر غمياً وخمواً لكنه لم يهاوس قط. وقال يعرف أي يوم هذا وأين هو... كان على راسه أن يتقلد إلى (نيروبي) حيث العناية الطبية أفضل. وهكذا - على متن الطائرة الصغيرة - يجلس ذلك الرجل الوحيد مسكاً بكيس للمني... في الواضح أنه مريض لكن بأي شيء؟ إنه يهدد الكيس عن فمه لفرى على شقيقه سائلاً لزجا أحمر مع مسحة سواد كأنما كان يعضع البر. عيناه بلون الباليوت. ووجهه كله يتدلى من جمجمة كأنما سيسقط بعد قليل. وأخذه الدم تملأ الطائرة سبعة الشهوية. والكيس يمثل فيناوله للصفوف ويلتصع كسائر... إن القبي الأسود علامة على أن الفيروس الآن في أعلى درجات التكاثر... إنه يحاول أن يحول مؤنيه إلى فيروس جديد. وفي هذه اللحظة تخرج قطرة واحدة من دم مؤنيه بمائة مليون فيروس. لم بدأ نزف الألف وبدأ كانه سيستمر لاند. الماديب لورقية تتكلم على اللون. فيخلص منها ويستعمل متاديل أخرى. الآن يغد الرجل شخصيته لأن خلايا منحه تتحلل. لم بدأ السؤل من هو. ولكن السؤال ماذا هو. لقد صار صموتا مشوشاً غير وأغب في الإجابة عن الأسئلة.

يستغل سيارة أجرة إلى المستشفى. قسم الطوارئ: إن القنبلة الفيروسية بداخله بلغت اقتمام وهي وشك الانفجار في أية لحظة... فجأة ينهار ويسقط على الأرض. ومن حوله بركة من الدم تخرج من كل فتحات جسمه. ثم سمع الجميع صوت الفشاء المخاطي ليطحن لأمعانه وهو يتفعل بالكامس ليشارد جسده. لقد تلى الفيروس على عائلته. وصار عليه أن يعد عائلته جدياً.

وإذا دكتور موزوك الطبيب الشاب. وحاول أن يدخل منظر المنجسرة في خلق الرجل. استنشق الكثير من الدماء. وتولدت يداً وذيابه. ثم جاءت مرضه بكيس من الدم... حاولوا أن يجدوا ويرياً في زراع المريض لكن كان هناك شيء ما خطأ. إن الدم يخرج من حول القلب الذي تمضغه الآخرة في كل مرة. وكف موزوك من المحاولة كي لا يئزف الرجل ما يلي من دمه من لظوب القراء. وفي لساعات الأولى من الصباح توفي مؤنيه. قاموا بتشريعه فلان دهنشهم أن

■ علف أحداث ١١ سبتمبر الماضي في نيويورك وواشنطن وما تلاها من هجوم امريكي على مواقع حركة طالبان ومسكرات أسامة بن لادن في أفغانستان. اجتياح الولايات المتحدة وأوروبا وعبد التفرش لهجوم بيولوجي غامض بعد اكتشاف حالات عديدة من الإصابة بمرض الإلتراس. أو - الجعرة الخبيثة. وعادت وسائل الإعلام إلى استخدام مصطلحات كانت منسوبة مثل الحرب البيولوجية والإرهاب البيولوجي وغيرها. والكتاب - الرواية - الذي نعرض له ليس جديداً. فقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٤. لكنه تناول قصة حقيقية يقول مؤلفها إنه لم يغير شيئاً من وقلتها عدة الأسماء. ونودر القصة. التي اختار لها المؤلف الأمريكي ريتشارد بريستون عنوان - المنطقة الساخنة - في معامل الجيش الأمريكي. حيث تتم دراسة الأوبئة وأساليب الحرب البيولوجية. وفي هذا الإطار فإن الكتاب يبين مؤامرات مع الأحداث والتطورات الراهنة.

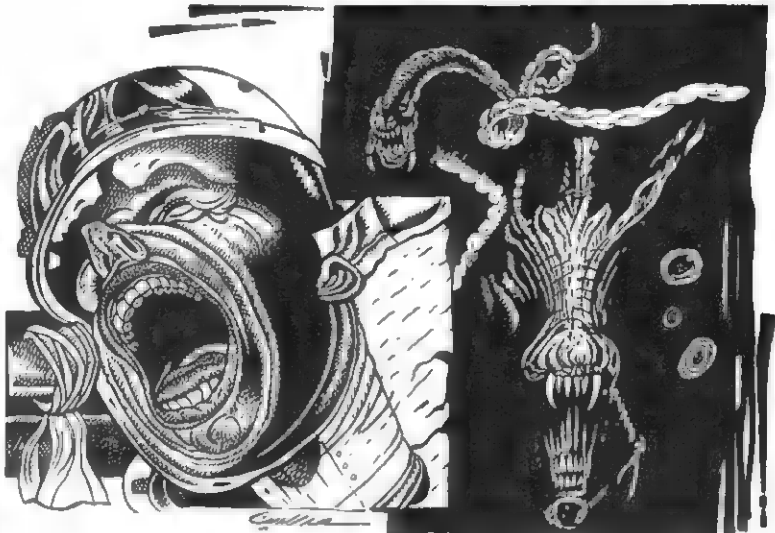
كهدف الوطاطيط

يداع الكتاب قوية مغرقة. رجل فرنسي اسمه شارل مؤنيه يعيش في قرية غربي كينيا. حيث يعمل خبيراً في أحد معامل السكر. ومن البداية نعرف أن الرجل سيموت مبكراً. اللهم هو كيف يحدث هذا. إن الأطباء يذكرون لكل الطفل عن المرض لكنهم لم ينسوا مرضه قط. لأنه ما من طبيب يرى علامات أمراض (مستوى الأمان الحيوي الرابع). ويستطيع تشخيصها. كان هذا عام ١٩٧٩ حين بدأ مرض الإيدز شق طريقه إلى أمريكا عبر يعرف بطريق كينشاسا. وهنا يذكرنا المؤلف بأن مرض الإيدز مبعث لكنه ليس سريع الحدوى. وقد وضعه الأطباء ضمن ما يسمى بالمرضى (مستوى الأمان الحيوي الثاني). بعضني أنه يمكن أن نحيث من مرضي إيدز وتاكل معه دون أن يصيب شيء.

يقرر مؤنيه يوم الكريسماس أن يذهب مع إحدى صديقاته إلى ماونت إيجون. وهو بركان خامد على حدود كينيا ولوغندا. غير بعيد عن السودان. هناك وسط غابات الأظفار يوجد مستنزه عام يمكن للمرء أن يخدم فيه. ويريداً يتسلى باللعب مع القردة. في تلك الليلة أظمرت السماء. فغضبا للتل في الخبيثة. ألا أنها في الصباح تسلك الجبل إلى حيث كيف كينثوم. كان الكيف منظم بالمربع. لكنهما على ضوء التشافات استبطاعا أن يريا أن أرضه مغطاة بفيلقات الوطاطيط. وكانت بالداخل طافجات سارة بأبأس بها. الكثير من الوطاطيط والفضلات. جثث أطيال متشكلة. صندوق مدبية تدلى من السقف. ترى هل لاس مؤنيه براز الوطاطيط أو آدمي يده بالمصمور... من الصعب على المرء أن يعرف هذا الآن.

بدأ الصباح في اليوم السابع من هذه الجولة. كان أسوأ صدام يمكن وصفه. وبدا

The Hot Zone
Richard Preston
Anchor Books, 1995, 422pp.
(المنطقة الساخنة)



جيش يهاجم الفيروسات

ينطلق الكفاح إلى الولايات المتحدة عام ١٩٨٣. بالتفصيل إلى كورمونت - ميريلاند، حيث تنصرف على الحيجور نائسي جاكس، الطيبة للبيطرة العسكرية. إنها تعد الأضرار لأطفالها قبل الذهاب لعملها، لكنها تحزن دوماً بسكين المطبخ، فتضمد اليد وتنسى الأمر.

تدخل معها القاعدة التي يتوسطها مبنى من الخرسانة لبحوث الأمراض للعديد أو ما يطلقون تهوية على السطح تخرج الهواء المرشح من المعامل المعزولة. هذا هو معهد جيش الولايات المتحدة لبحوث الأمراض. هناك فلابيب عليه اختصاراً اسم USAMRIID وهو اختصار طويل بدور. مهمة المعهد أن يطور أبحاث الحرب البيولوجية. لقد كان المعهد قبل عام ١٩٦٩ يصنع تلك الأسلحة. حتى أصدر نيكسون أمراً يمنع تطوير الأسلحة البيولوجية داخل الولايات المتحدة. أو هذا ما يقوله الكتاب من ثم صارت مهمة المعهد تطوير اللقاحات والأدوية والوسائل الحيوية. تسمى نائسي غير مستوى الأسان الحيوي صفر.. ثم المستوى الأسان الحيوي ٢. ثم ٣. ثم ٤. والسبب ما لا يوجد مستوى رقم ١. لقد بدأت العمل في المستوى رقم ٤ وكان عليها أن تكتفي الكثير من الأبحاث ضد الحمى الصفراء والتولاريميا والجدرة وهي الوباء للقصص.. إلخ. لذا طليت رسمياً أن تنزلي إلى المستوى الرابع مباشرة لأن اللقاحات أتميتها جداً. والمستوى الرابع يعتمد على البذلات الواقية لا اللقاحات. لأن للأرضية لا للقاحات ولا لقاحات لها.

كلت نعمل في مشروع الإيبولا حالياً. وهو فيروس نزيه خطي تمت نسبته إلى نهر الإيبولا. أحد روافده نهر الكونغو. كما أول اندلاع لوباء إيبولا عام ١٩٧٦ في خمسين قرية. وقتل تسعة من كل عشرة مصابين. إن المرض شبيه بمرض ماربورج وإن كان أغنى منه مبراهل. وكان الإيبولا هو لخشى «يخشى» العاملون في المعهد. وكثيراً ما يستنبرون المختبرين معه مجازين. شكلاً ما من واحد يعرف أين يعيش الإيبولا في الطبيعة..

ولا يعرفون كيف ينتقل من شخص لآخر. على الأقل كانت نائسي تعرف من ملاحظاتها على الليرة أنه ينتقل عبر الدم واللعاب. والغريب أن هذا الفيروس الخفيف الذي لا قناع ضده، لم يحدث أي وباء شامل، يرغم أنه يستطيع السفر جواً وإن يطغى الكرة الأرضية. ولربما أباء الحياة يسهولوه. إنه ينجز في عشرة أيام ما يحتاج الإيز إلى عشرة أعوام كي ينجزه. كما عرف المرء أكثر عن الفيروسات الخطيفة، كما بدأ يراها لا كطليقات ولكن كحيوانات ملفزة. تتوارى هنالك بين السفاحات و وراء الأشجار منتظرة لحظة الهجوم.

الآن نرى عملية الاستعداد لدخول قسم الإيبولا التي نمر بها نائسي مع رئيسها. فنزع ثيابها كلها حتى العاطلية منها.. نرشد بذلة شبيهة ببذلات الجراحين.. تنصق شريط لاصقة حول فتحات الأكمام والأرجل وحول خصرها. إن الشريط اللاصقة مهمة جداً في هذه المهمة ولولاها ما وجدت. نمر بغرفة تخصرها الأشعة فوق البنفسجية. ثم بمجموعة ملابس شبيهة بدينية من التعقيم، حتى تصل للمرحلة الأخيرة التي تدخل فيها بذلة فضاء كاملة، وتضع القناع. المشككة في هذه البذلات وكعب أخيل الخاص بها هو وقاية العينين. لأن القفازان من اللطاف وتتعامل مع أجسام قاطعة

كالبير والمباضع. ويرغم أنها تكليس ثلاث طبقات من القفازان فاطمط ما زال دامعاً. يمكن اعتبار هذه البذلات - كما تصفها نائسي للمستجيبين - شريطة تحوي العالم الطبيعي داخلها. فإن تزامنت شرب للعالم السائل إلى الداخل، والضغط داخل البذلة حال فتح تسفل شيء. لأن حدث تمزق تسفلوى الضغط الخارجي والداخلي، عندما يجب تديت شريط لاصق على مكان التمزق بسرعة. ويتم لب الشريط اللاصق حول الكاهلين كأنه بكرة للاستعمال عند الضرور.

أخيراً تدخل إلى المستوى الرابع ذاته الذي يحمل بابه علامة إنذار (الخطر الحيوي). ويفصله عن العالم الخارجي لطل هوئي وباب فولاني. كما أن الهواء بالداخل سالب الضغط حتى لا يخرج منه شيء وإنما يدخل. تنحرف مع رئيسها حركة خاصة بنظر فيها الطرفان إلى بعضهما مخفزين.. العينان في العينين.. كأنهما يتأهيا لقيادة مصارعة. هذه هي طريقة الحركة في المستوى الرابع. لأنك يجب أن تعرف أين زميلك بالضبط.. ماذا يفعل. وماذا يحمل في يده.

الآن نرى القفاص الفيروس التي تم حملها بالفيروس الميت. إن السلسلة التي تحفل بها القفود. لقد فلتت مرضية تلو فت بالدم أثناء

الجزيرة صارت معسلاً حراً

يمارس فيه الفيروس تجاراً به.

ويتنشر ويظهر من قدراته..

من الغريب أن هذه المنطقة بالذات هي التي نشأ فيها

داه الأيدين، وانتقل - بشكل ما - من القفود

إلى الإنسان، وهناك قرى في تلك المنطقة

أزالتها الإيدين من المخازنة تماماً

عنايتها برافضة قاتلوا ليلية عام ١٩٧٦. وعلى القفود التي هلك بمكثك أن نرى علامة الموت بالإيبولا: الوجه القاتلي من التعطير والعينين المبراهين والألف الدامي. أخطر جزء هنا هو حمل فرد حي تحسبه ميتاً. لأن هذه القفود قوية شرسة وتعش، وغضة فرد مصاب بالإيبولا معملها الموت بلا نقاش. كذلك يتم الشرب بالمص فقط. دون استعمال المضغ أو أية أداة خاصة لأن المصع يمكنه تمرير القفاز في يده. قبل أن نشعر بأي ألم. تبدأ الشرب وتجد القفاز المالح: إن الفرد مليء من الداخل بالدماء. هنا تنصرف يتيه بارد يلمس جلدها.. تنظر لتكتشف أن القفاز مخلوق.. تنحني وتزعه لتجد أن القفاز البنية ناله مغلوب.. تضارب الغرلة وتضعف في صبر لإجراءات التعقيم البعيدة توطئة بأن تخرج إلى العالم الخارجي. في سرها تدعو الله ألا يكون القفاز الداخلي كذلك مخلوقاً. خاصة مع الجرح في يدها. أخيراً تزعز القفاز الأخير لتجد أن يدها غارقة في الدم. لقد قوت بالإيبولا يد! إن يابلون يحفظوني إلى الغواصة، والغواصة هنا هي اسم التديل للمشرحة. لأن بابها المعسني الحكم بذكر الرجال بابواب الغواصات. ثم تكتشف أن مصدر الدم هو الجرح في يدها. ويرغم هذا نال القفاز بانه فط نتأكد من أن نيس مغلوباً. لو كان كذلك فهي نهائياً. لحسن حظها كان القفاز سليماً.

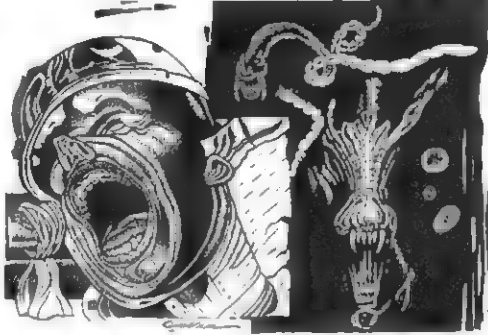
ماذا أصاب القفودة؟

تنطلق الأحداث إلى رستون - فيرجينيا، حيث نرى وحدة الجور الصحي للأوليات. إن الولايات المتحدة يصونها سوباً ستة عشر ألفاً من القفود لختلك الأمراض. وعلى عائق هذه الوحدة تقع مسئولية فحص الصحي لكل هذه القفود قبل توزيعها. تلك الوحدة يوم ٤ أكتوبر عام ١٩٩٦ شحنة من الطليبين تتكون من ستة فرد، وقد وجاءت من مزرعة غرب العاصمة مانيل. إنها فردة ضخمة تدعى باسم (كرا) لأنها تنصمر عند الصراع صيحة كأنها: كرا.. كرا..

تم وضع القفود في أقفاص لكن لوحظ أن عدداً كبيراً منها - نحو تسعة وعشرين - بدأ يعوت في الأسبوعين التاليين، كانت جلونها تشبه وتصاب بقفاد شبيهة تام قد تدهور بسرعة. وقد تم الاستمرار في المداية أن السبب هو خلل في جهاز التكييف. تم لمحت الشرح أن القفود عانت منزف داخلي وأن طحالها متفشم.. لكن ما السبب؟. وفي لا ينقل المرض إلى باقي القفود يتم إعدام ما طاش لقاعة F التي ظهرت فيها الوفيات بدرجة عالية سامة من الغاز المموت. لكن المرض يظهر في وحدات أخرى بعيدة.

يحمل المدير عيناته إلى USAMRIID في فورث نورت. ويصبره هناك بأنه يشك في أن القفود تعاني نوعاً من حمى القفود SHF وهو مرض لا ينتقل للبشر لكنه يملك بالقفود فتك. يأخذ الرجال العينات إلى المستوى الثالث، وهو مستوى أمان لا يتطلب منك ارتداء ثياب فضاء. بل بلبس الألباء هناك ما يشبه ثياب الجراحين. وبدون زرع العينات في أنابيب خاصة نحوي خلاصة كلية المرء، وترتك كي تنحصر هنا

الرمح البيولوجي



يلاحظ القتي توماس جيسبرت مشهداً غريباً: إن الأنابيب لم تعد تنوي خلايا بل سائلاً عتراً فيض. يستدعي رئيسه فيعتقد هذا أن المزراع تولدت بايكتريا ولسته. لكن رفاعة المزرعة لا تدل على التفكر. يفتح الأنابيب ويضمه جيذاً.. لا شيء... لا شيء.. بومسيه الرئيس يأن يفحص المزراع تحت الجهر الإلكتروني الذي هو أحد بصراً وأقصد على اختلاس المنظر إلى الكون الداخلي الرهيب.

لم يكن جيسبرت يفكر إلا في انتهاء ساعات العمل. كي ينطلق لاصيد الوعر، ولم يكن يعرف أن الفيروسات الخفية تتناسخ المفردة تتسروح بين ثلاثة إلى لثمانية عشر يوماً. بعدما يبدأ العداد.

الحامين، لكن الجنرال قال لهم يستيع سياسة محددة: «ستفعل كل شيء في طلب المصحح فيما بعد». هذا أفضل من طلب الإنز ومنعنا. لا نسال محامياً لدا عما إذا كان بوسعد عمل شيء.. ستفعل ما هو ضروري. وعلى الحامين بعد هذا أن يكونوا لنا هو قانوني». وكان عليهم بعد هذه الإجراء مكالات لا حصر لها مع وزارة الدفاع والزراعة والسلطة المصححة لفرجينيا. واستدعاء كل شخص في البلاد يعرف معنى كلمة (إيبولا). عليهم أن يمسكوا العصا من منتصفها: فلا يحدثوا ولا داعي له. والأصالات الشوارع بسيارات المهاجرين المارين من رستون. ولطهرت أمهات يصرخن أصام عدسات التكيفيون، أين انطواني؟ كما أنه من أهم الأمور ألا تصرف المصححة شيئاً عن بيانات رواد الفضاء الوافقة. على فريق العمل من ناحية أخرى -لا يجازف بأن تشرّب العدوى خاصة وهم على مقربة من واشنطن نفساً. وكانت الأوبويات -على طريقة الكلا العسكرية المختصرة- كما يلي:

- ١- سلامة الجمهور.
- ٢- إقفل الرجم Buchanania للحجوات قدر الإمكان.
- ٣- جمع العينات العلمية.
- الهدف: تحديد السلالة ومعرفة كيفية انتقالها.

وفي عملية سرية تشبه الاختطاف يقومون بقتل بعض جسدات المفردة -في أكبريس بالكتوكريكس- من زوجة تم رش خارجها بالكتوكريكس. من وحدة العنبر الصحي لتلاويات إلى لدهج.

المشك أن في قتل بيده المستوى الرابع إلى حجر القرية. حيث تبدأ عمليات النقل الرجم Buchanania للقرية كلها. والتي صار معددا في الوحدة لا يزال الآن من خبسة. إنها تشبه قلب مغال نون وزنه ثلاثة أطنان، وعندما يشرق الولود كله في قلب المغال، فإن الغرض سيحدث عن واقع آخر. وكانت واحدة الوحدة الآن قد صارت كنها من جهنم لأن الغامعين كلوا من حسيل الإفصاح، ولم يعد أحد يجسرس على الذوق. لقد تحولت الجوزية برمنها إلى منطبة ساخنة، وكان عليهم أن يزودوا بطار هائي وممر تتم فيه مراحل التضمين المعادي والصبغة. كل هذا دون أن يلاحظ الجمهور المعادي والصبغة. شيئاً: وهكذا تأتي تصمير تعليماتها للرجال الذين سيدخلون معها إلى المظلة لئلا تساخت:

«لا تذرك الدم على ظارك. يجب أن تفعله فوراً. لأنه في وجود الدم لن تميز أبداً أي ترمق في القفاز». القرية شرسة وسريعة الحركة، ويضعها أن تدب إلى وجك متشبهة بأطرافها الأربع والذيل حول عنقك، فلو هضكت لكحت نهايتك مؤكدة. هذا الصغر منها. لابد من عبس بدافقنا لكل ساعة لأن الشخص المذهب لا يتوخى الحذر. لابد من أن تتوقف كل عشر دقائق لتفحص نذلة زميلك. كل من تترقت في مكان ما. البطارية التي تنظم الضغط داخل المذلة تعمل ست ساعات، ويليك المظلة قبل أن تنتهي ولا صرت في مارق خفيف. ملحوظة أخيرة: انتم ستقلون داخل المذلة طويلاً فلا تفرطوا في شرب السوائل والمظلة قبل العمل».

بسيطة مثل الرجلين اللذين شما الأنابيب، لأن هذا سيؤدي إلى الانفجار في سيل من السباب ينتهي بقتل المخطئين إلى ما يشبه الحجز الإلزامي لمدة أربعين يوماً. وهي ليست بالضبط تجربة سهلة لأن كثيرين يدنون من الجنون بسبب خبرة كهذه.

وفي مقبض من الرجل الصور الرهيبة على الفور. وطبق خبراء. وهنا تقابل من جديد وسط المخطئين مع الجنرال، نائس جاكس الجمهورية البيطرية العسكرية، التي ترفت في عملها. وصارت من الفسراء المروسلين في هوروس إيبولا والقرين على العمل ببراعة في المستوى الرابع. إن السوال الأخطر الذي يطرح نفسه هو: ماذا لو لم يكن هذا التفريوس الخفي هو الإيبولا؟ ماذا لو كان نوعاً جديداً غير معروف أشد فتكاً وإسراع انتشاراً؟ لم يكن هناك أكثر من خيارين: محاصرة القرو والانتظار حتى ثوبت من ثلثه ناسهها. أو الإسراع بإعدامها وتطهير المكان وحرق الجثث. وكعادة -كما يحدث في الولايات المتحدة لعلماً - كانت هناك مشكلة تصارب اختصاصات الأرواح.. إن الـ CDC (مركز السيطرة على الأمراض) يتولى نمويلاً من الكونجرس. وهو للأهل شرعياً لتولي هذا الأمر، بينما الجيش لا حق له في مكافحه الإيبولا على أرض أمريكية، لكنه القادر على ذلك. هذا التصارب بين المؤهل والقادر قد يجلب الوبال، ويصنح إلى رأي

في النظام وفي أعماق اعتناق المستوي الرابع. موكدياً بلذلة رواد الفضاء. جلس. جارتج بجري تجاربه إن المكان غير مناسب للمصنعيين برباب الإسكان المخلقة (تكونسروفيوما). لكن الرجل كان قد اعتاد النظام والوحدة من زمن. كان عليه أن يعمل في النظام لأن التجربة تضمن ظهور تائق خافت في الشريحة التي وضع عليها خلايا القرية المجهدة. إذ يتم خلطها بثلاث عينات معملية: العين الأولى اخذت من د. موزوك. الثانية من مريض قتل الإيبولا سوربان. الثالثة من مرضة قتلها إيبولا زفير. لم تنوهج العين الأولى والفضيلة. لكن الثلاثة توهجت.. إن لم يكن هذا صاربورج. القرية التي جسات من الفطيين مصابة بإيبولا زفير. أخطر حمى نرفية عرفها العلم. ولم ينتظر جارتج حتى يغادر المستوى الرابع بل لبخ الخنازير لورثيه يهاجت الطوارئ. بل وكذب الانتاج على فطعة من الورق الذي لا يتخلله البطل ووضعه في مرج مليّ يحوط مطهر. وهذا الدرج يمكنه الخروج من المستوى الرابع إلى العالم الخارجي بعد ما يتم تطهير منجود.

بسرعة وسرية

الآن حان وقت إبلاغ الجنرال فيليب راسل فله الوحدة بالكارثة. بلعاً مع إغلال تفاصيل

وحيوا في معمله يد عوته من العطفة. جلس جيسبرت يطلع العينه باستعمال السكين الماسية الخاد، وهي سكين قادرة على أن تشتر خلايا بل من طرين بل وتقسيم الفيروسات نفسها. بعض فرغ من قطع العينات راج بطلط بعضها من الماء باستعمال عصا صغيرة الصق بطرقها هدب عين.. هدب عين امرأة من العائلات بالمعمل. وكانت أهدابها لزجة تسيل القطاط العينات من الماء. الآن يدخل إلى المجهر الإلكتروني المجهز في المجهز. ويجس ويضي الأنوار فيمتحول المكان إلى غرفة قيادة سفينة فضاء. تنهر له الخلايا على الشاشة، والدروس الذي تعلمه من عمله هنا هو أنه مهما صغر مجال الفحص فالأمور مغلطة بما يكفي. لا يوجد شيء واضح أو سهل في العطفة. كل شيء مختلف مريب. ولكن.. لحظة. لحظة شيء خطا في هذه النظية -إنها ليست مرضية بل هي مدمرة بالكام. إنها مغلطة بكل أنواع الخطوط وكذا كس مرق امتلا بالحيال. وتقلعت معدته. وهو ما يعرفه علماء الفيروسات هنا باسم عامل القليان Puke factor. ويبدل على الدهر الوحشي حين يكتشف المرء فجأة أنه يتعامل مع فيروس من المستوى الرابع. أنه أنه يتعامل المنهد من قبل. وأنه في الخلايا التي مدها فيروس صاربورج.. وباه.. لو لم يكن هذا صاربورج فهو عبارة شدة. فيروس خطي.. وأنا شملت الأنوب عدة مرات.. كل مرة فحضانة الفيروس.. لأنه شملت الأنوب من عشرة أيام قبل اشهر الآن بمصاح.. لا مصاح. لكن ليس معنى أنه لا صداع في اليوم العاشر لنن أن اشعر به في اليوم العاشر عشر.

وبرغم الوضع المخيف للبع. فإنه لم يستطع إلا أن يجس لنفسه أجنهاراً بجمال هذا الكائن الشبيه بدميان الكوبرا. هذا وجه الطبيعة ذاته. مبدوساً الإلهة اليونانية الخفية مجردة غريبة اسمه.

بالفعل يخمير القيادات في الرمز. تو كان هذا (ماربورج) فمن المؤكد أن الهواء يستشعر في فرجينيا ما لم يتم حصاره. كل الأطباء الذين شرحوا اللورد وكل من شمو الأنوب مرشوحون للإصابة بالتفريوس المخيف. وقال الكونويل -رئيسه المباشر- إن هذا ماربورج حقاً. لو كان عليهم إحتكاد على في الولاية: فمن الغير أن يتأكدوا مما يولون.

كتاب الزاوية



في أخلاق الأفغان وطبائهم

إن معظم الشعوب المستوطنة لتلك الأنظار وأكثرها عدداً هو الجنس الأفغاني ومقره جنوب البلاد والشرق الجزيري منها.

والحق أن الغالب في هذا الجنس هو الحقد والضغينة والشوق للانتقام واقتحام المحاربات والتشهور في المخاصمات والمنازعات لأدنى الأسباب وأن صورهم الظاهرة تحكي خليقتهم هذه وتبين عنها فإن وجوههم على الدوام عابسة. وقلماً يوجد بينهم البشرى وإن كان يظهر في بعض معاملتهم الحلم والتؤدة وكذلك خشونة لغتهم وغلظ أصواتهم بدران على هذه الخليفة وعلى النظافة وغلظ الطبع. ولهم ميل عظيم للنهب والسلب وسن الغارات وإثارة الفتنة. وبما ارتكز في طباعهم من الشجاعة والإقدام والميل الغنيبي إلى المحاربة أرشدتهم الطبيعة من قرون إلى ترتيب نظامهم العسكري على هيئة تقرب من النظام الموجود في هذه الأزمان.

وأن كثيراً منهم كانوا وإن كانوا قد مالوا إلى الإقامة في المدن والقرى كاهالي فندهار وقرنه وجلال آباد وغيرها إلا أنهم كبقية إخوانهم الذين لم يزالوا في الحشونة حيث لم يأخذوا جانب الترف والرفاهية بل يسلكون في تعيشتهم طرق التخشن والتشغف ويقنعون من المذات باليسير حتى أنهم يأكلون الضأن بجلده. فإنهم بعدما يذبحونه يحرقون صوفه ثم يجففونه ويدخرونه للأكل ولا يتناولون الأطعمة بالاتفاق ولا يضمون أواني الطعام على الخوان بل يأكلون على الأرض بأيديهم. وليس لهم عناية بتنظيف البستهم وأبدانهم ولا بهشمتهم نظافة مساكنهم وحجرانهم وتطهير مدنهم من

الأوساخ.

تحت كان العمل قاصداً. ثم يأتي الجنود بأوعية كهرسية ينشرونها في أرجاء البنايا. ويسخونها جميعاً. ثم يلقون في كل وعاء بيولوات تحدث مع الحرارة سحبا كثيفة من الدخان والحمأة. ويصاعد الدخان لينخلل كل شيء. يدخل الأراج والفخاخات. وينسرب إلى أجهزة الكمبيوتر. إنهم يعرفون أنه لا يوجد شيء اسمه التسميم الكامل في الطبيعة لأن الحياة تجد مهرباً بلفاً. لكن فناء البكتريا باميليس سبيليس يعني -إلى حد ما- أن المهمة تمت. وفي هذا اليوم صارت وحدة حجر الرئيسيات في رستون، لكن الوحيد في العالم الذي ليس به إلا الحياة.. لا شيء على الإطلاق.

وهنا يتساءل الأطباء: لقد جاءت كل القردة الرئيسة في رستون من الطيبين. فهو كان الرئيس الهولندي الذي يقفه في الطيبين. لذلك لم يصب أي متعامل مع القردة بالمرض هناك. ولماذا لم يصب أي واحد بالفرض في قريتنا. كان الطبيعة جاهزاً عشرة من أنبياءها عازمة على فتنة. وفي اللحظة الأخيرة انجسحت ابتسامه خامسة واتحدت. إنها ابتسامه المولانا التي لا يفهم أحد معناها بالضبط.

لقد أوفت الـ CDC استيراد القردة إلى الولايات المتحدة لفترة طويلة. ومضى الحجر الصحي على حال حتى لحقت نشر الكتاب. لقد انضم إيبولا رستون غريب الأمل إلى إخوانه ماربورن وإيبولا زائير وإيبولا سوان. ورغم أنه لا يقتل الناس إلا أنه من الواضح أن إيبولا رستون أخطر أفراد المجموعة بسبب سهولته انتقاله. وربما يبدل خواصه يوماً ما ليصبح قادراً على عدوى البشر وفشلهم. عندما سيكون هو وباء النهاية للجنس البشري. ويحدث العلماء أنه جاء من غابات الأنظار الأفريقية إلى القديسين مع حيوانات استربتوما بعض أترابهم القديسين. أو ربما هو فرد واحد حمل عدواً محدداً من الفيروسات من إفريقيا إلى تلك الجزيرة قرب ماليزيا.

ويرى الكاتب أن الفيروسات الزهفية التي عاشت طويلاً في غابات الأنظار ثم قررت الخروج منها، في انتقام تلك الغابات من الإهانة البيئية التي لحقت بها في عصرنا هذا. فمن هذه المنطلق خرج الـ إيزن ومعه تلك الفيروسات الخطيرة المزعومة. لقد زدهر إيبولا هنا. تخطى. كثر من أنبياء. ثم عد ليفي في غابات الأنظار، لكنه سوف يعود.

ومن جديد تتكاثر علامات الاستهزاء حول الحرب الجيولوجية التي يبدو أن الولايات المتحدة ظلت تراها في كوابيسها طويلاً. واستعدت لها بدمية. لكن الحقيقة يمارسها بحقيقة مزعومة هي أن لمضي ساعات تقصنا عن نضج فيروسات غابات الأنظار. لأن الطلقات تحمل الناس إلى كل مكان بأسرع ما يمكن، ولا يمكن تصور ما قد يحدث من نماذج إن انتشر في فترة حضانة الإيبولا -مرحلة الام الظهر والرشح- تنقل في المدن الأمريكية. ودخل عدة بلارات وأكل في عدة مطاعم ومحل أكثر من دلي سينا. إن نهاية العالم ليست بالهجومية التي تخيلها أحياناً. ■

في الداخل كانت الفوضى في كل مكان. وضع الجسكوت مظلة على الأرض.. إن القرد الثلاثة الغضبي ألق باليسكوت في كل مكان. ورسمت ببرازها على الجدران رسالة غامضة للجيش البشري. وبدا الرجال يطعمون الحيوانات الجوعى لأنه لا داعي لتعذيبها أكثر من هذا قبل الموت. وكما قال أحد الثلاثة لرجاله: هذه الحيوانات منحت حياتها للعلم. ثم توطأت في هذا الشيء. ولم يكن ما حدث خطأ.. لا يريد أن تتعاطفوا مع القردة، لكن لا يريد أن تصخروا منها، وتذكروا أنني أستطيع أن أكون قاسياً.

والحفاظ.. في ملح -إن ثلوث أكثر القردة كانت تفرق، وإن الدم كان يتجمع تحت بعض الألفاص. لقد ضرب الوياء الميني بأسره. شرع الرجال يمشون على الألفاص.. ويتشون كل فرد بعضاً معدياً طويلاً. ثم يفرغ أحدهم ظفاه من الكيمايين في جسده. وهذا بكل لجعله يفرق في نوم عميق. بعد هذا يتم إخراج القرد من الظلم وحفنه في القلم بمادة T-6 الصمامة التي تستعمل للفشل الرجيم. لا بد من إصابة القلم بالزبرة من أول مرة ولا صمما القرد وأنى بحركات عاجلة مؤذية. لا يمكن بدء تشريح فرد أصام القردة الأخرى فبدأ لأن هذا يؤدي لحالة شلب عامة بعد هذا يتم أخذ عينات من الدم والكبد والطحال. وتوضع في أنابيب خاصة. ويتم وضع الجثة في أكياس أليفة. وبعد قليل يستحق الجثة إلى صممة من الدم والهيال والفيروس الذي انتهى من الفلك بكل الخلايا. ومن حين لآخر كان أحد الرجال ينزع شريطاً أصافاً ويخفيه على ترقق أو قلم في بذلة زميله.

لأنه عليها تقدرش فأنسى جاكس لحايت رهيب. إذ تفرس الزبرة في عروق فرد فينضج من سبانه. ويشتم بيده بقوة ويلعب اليد إلى قفمه. إنه يحاول أن يفض.. صرخته وظللت الحون فخرج أحد الرجال ليأخذ القرد جديداً. بينما يفرس فيه أحد الرجال محفناً يحوي المزيد من الكيمايين.

لا ينسى الرجال كذلك هروب فرد شرس من قفصه، وكيف يهدوا عنه في الشرفة مرأواً وحسب البهش أنهم راود يفر من الباب. لكن الحقيقة أن الذعر يملغ منهم صليقة حتى تخيلوا هذا. كان القرد داخل الشرفة متورلياً خلف الألفاص. وفر من كل محاكوات اصطفاذه بشيقة. فكلت أحكام سياسية في سجنه في الشرفة. لأن التعامل معه معناه الموت الإكيد.

التطعيم

لم يمرض جيسبيرت ولا رئيسه. وهذا الرجلان اللذان وجدا الفيروس أول مرة، وبما أنهما سيعيشان إلى أن يطلقا عليه اسماً. وتم اللقيض على القرد الهارب وقتله. وهكذا انتهت المهمة. صار الآن على فريق التطعيم أن ينتقل الميني ويرشه بالطهرات. وأن يزال القاذورات التي خطتها القردة على الجدران. بعد هذا يأتيون بكتريا غير ضارة لكنها صممة التدمير اسماً باميليس سبيليس نيجر. هذه البكتريا تستخدم كطعاس على جوده التعميق: فهو لم يمرض جيسبيرت ولا رئيسه. وهذا الرجلان اللذان وجدا الفيروس أول مرة، وبما أنهما سيعيشان إلى أن يطلقا عليه اسماً. وتم اللقيض على القرد الهارب وقتله. وهكذا انتهت المهمة. صار الآن على فريق التطعيم أن ينتقل الميني ويرشه بالطهرات. وأن يزال القاذورات التي خطتها القردة على الجدران. بعد هذا يأتيون بكتريا غير ضارة لكنها صممة التدمير اسماً باميليس سبيليس نيجر. هذه البكتريا تستخدم كطعاس على جوده التعميق: فهو لم

تدفع الولايات المتحدة كل عام نحو ١٠٠ مليار دولار سداداً للقائورة وأروادتها من البترول. فقد بلغ استهلاكها من المنتجات البترولية عام ٢٠٠٠ نحو ١٩,٥ مليون برميل يوميا (ب/ي) بينما لم يتجاوز إنتاجها المحلي منه ٩ ملايين ب/ي. وبذلك ارتفع اعتمادها على الاستيراد إلى نحو ٥٤٪ من احتياجاتها البترولية. وإذا يتوقع أن يرتفع استهلاكها بحلول عام ٢٠٢٠ إلى نحو ٢٥,٨ مليون ب/ي بينما لا يتجاوز إنتاجها المحلي منه ١٨,٢ مليون ب/ي في العام المذكور. إذا اعتمدتها على الاستيراد يمكن أن يرتفع من نحو ١٠,٥ إلى نحو ١٦,٥ مليون ب/ي، وتكسبه مزاوية من نحو ٥,٤ إلى ٦,٤٪ من إجمالي الاحتياجات المحلية.

وإذا يتوقع أن يقصر ذلك العجز في المصادر المحلية للبترول ارتفاع أسعارها العائلية. فإن القائورة الاستيراد يمكن أن ترتفع إلى مستويات شاذة. ومن هنا يبدو أن الولايات المتحدة قد عكفت على تدبير وسائل تمكنها من تأمين احتياجاتها المتزايدة من البترول وبأسعار مناسبة. وهذا ما يتطلب بالضرورة على الخسفة على الدول المصدرة للبترول بإسء توفير الكميات اللازمة والإبقاء على سعر منخفض مساندة لآقتصادها وللاقتصادات الغربية التي تستورد ثلاثة أرباع الواردات البترولية العائلية. وبقعة أكثر صراحة فإن الولايات المتحدة أخذت تبحث عن كيفية تلل جانب من عءه القائورة لآقتصاد لواردها البترولية. ولواردات المجموعة الصناعية الغربية بالتمهية. إلى الدول المصدرة للبترول وأغلبها دول نامية تعتبر عائداتها البترولية العءود الفطري في تمويل لاحتياجاتها الجارية وبرامجها القومية.

وقد بدأت مؤشرات ذلك الاتجاه في الظهور لوال بالبحسولات التي قام بها وزير الطاقة الأمريكي وطاف خلالها بأهم الدول المصدرة للبترول في مستهل عام ٢٠٠٠ وذلك بهدف الضفء عليها لزيادة الإنتاج وخفض الأسعار. ثم وهذا هو الأخطر. بحدادين لم يعض عليها أكثر من شهرين ويستهدفان محاكمة دول أوبك طبقا للقشريعاء الأمريكية وإخضاعها للقوانين العفويات الأمريكية. وكان أول لحدادين صدور قرار من قاض فدرالي في ولاية ألياما ضد نوبك مدعيا أنها تتواطأ بهدف تعقيد حرية التجارة

في البترول وذلك بالخالفلة لقوانين مكافحة الاحتكار الأمريكية. والقائي قيام عضوين من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي بالتقدم بمشروع قانون يستهدف تمكين وزارة العدل الأمريكية وكالة التجارة الأمريكية من إقامة الدعوى القضائية ضد أية دولة أجنبية. بما في ذلك الدول أعضاء أوبك. وذلك في حالة وجود اتفاق يتطوى على تواطؤ Collusion لتحديد أسعار البترول أو حجم إنتاجه.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يصدر فيها الراء الذي تضمنه قرار القاضي الفدرالي في ولاية ألياما. فقد صغر قرار مماثل في عام ١٩٧٩ ولكن محكمة الاستئناف في سان فرانسيسكو رفضت تقيده عام ١٩٨١ على أساس أنه ليس من اختصاصها لفظار في مشروعات التصرفات السياسية لدول أجنبية ذات سيادة. كما تأكد هذا الاتجاه بحكم لاحق لمحكمة الأمريكية العليا. وقد استندت محكمة

الاستئناف في قرارها المذكور إلى أن «السيدة العائمة للشعوب والأمم على ثرواتها الطبيعية يعطيها الحق في أن تمارس استغلالها بما يحقق مصالح شعوبها». وأن مساندة الولايات المتحدة لهذا المبدأ تتبع من قيامها بتنمية أراضيها ومواردها باعتبارها دولة ذات سيادة. وبناء على تلك تسلف حجة القرار الذي أصدره قاضي ألياما لآلفافته لأحكام القضائية أمريكية ذات مستوى رفيع.

أما مشروع القانون الذي تقدم به عضوا مجلس الشيوخ الأمريكي (السناتور هيرب كوهل والسناتور مايك دوين) فيلا تخفي طبيعته السياسية. كما تمكن دوافعه الحفيفية في المشاكل السياسية المحلية. كذلك لا يخفى أن مسئل هذا الاتجاه يتناقض أبسط المبادئ القانونية العرفية بها والتي تضمنتها العديد من قرارات الأمم المتحدة والقرت فيها حقوق السيادة التي تتمتع بها الدول بالنسبة لمواردها

الطبيعية. وليس من حق دولة. كشرائها لم صغر. أن تقاضي قطعة دولية تجارية تدافع عن المصالح الحقة للدول التي أنشأتها. ومن القريب أن يخرج السناتور كوهل لكي يعرض ضد أوبك بقوله أن الشعب الأمريكي يعاني كل يوم من مصاعب حقيقية نتيجة لقصوراء لوبك. كذلك يتابع السناتور دوين نفس الخفمة التحريضية بقوله إنه طالما تركت لوبك لكي تتحكم في العرض العالمي للطاقة فإن علينا أن نتوقع المزيد من الصدمات والمزيد من المشاكل التي يعرض منها المستهلك الأمريكي.

وأنواع أن الارتفاع الذي شهيدته أسعار المنتجات البترولية في الأسواق الأمريكية خلال عام ٢٠٠٠ لم يكن مرجعه شذء أو نقص في العرض العالمي للبترول للارتفاع. فقد كان يزيد على الاحتياجات. وأما كان مرءه أساسا. وكما سندين فيها بعد. إلى قصور البنية الأساسية لطاقة العالم الأمريكي. وهو ما أدى إلى إلحاق الضرر بصناعة المكرة مثل البتزين وغيره من مصادر الوقود. وبأني في مقدمة أسباب القصور ما اتسمت به قوانين ونظم حماية البيئة الأمريكية من صرامة. وهو ما أدى إلى إلحاق الضرر بصناعة تكرير البترول التي فسلدت نحو ٢,٧ مليون ب/ي من طاقتها على مدى السنوات العشرين الماضية. كذلك زاد من حدة المشكلة ما أصاب شبكات التوزيع المحلية من قصور وعجز عن صيانة الاستهلاك المحلي المتزايد. وقد يتكرر الارتفاع خلال في أسعار البتزين في الأسواق الأمريكية خلال صيف ٢٠٠١ لنفس الأسباب التي ذكرناها وليس لقصور في العرض الشاذ من البترول الخاء. ومع ذلك يبقى اللوم على أوبك.

حسين عبدالله

أزمة الطاقة في الولايات المتحدة

وهل ينتقل

إلى دول أوبك؟

جانب من أعبائها؟

هجرة الطاقة الأمريكية

من إجمالي الاستهلاك العالمي للطاقة بكافءه مصدراها في عام ٢٠٠٠ والذي بلغ نحو ٨٧,٥٣ مليون طن يتسرق مساهمات Ton of oil equivalent (Toe) من الاستهلاك العالمي. وبعبارة أخرى فإن استهلاك الولايات المتحدة من الطاقة يكافء





٩٨٠ bcm وهو ما يزيد بنحو ٥٠٪ فوق استهلاكها الحالي، بينما لا يتوقع أن يتجاوز إنتاجها المحلي منه نحو ٨٠٠ bcm ويدلّ ذلك على فجوة الاستيراد التي نحو ١٨٠ bcm أو ما يقرب من ملي جيجا الهالتي.

ويتوقع أن ينجم عنه ثقل الزيادة المتوقعة في استهلاك الغاز الطبيعي خلال الفترة المذكورة. وبإضافة نتيجة للثورة التكنولوجية التي طورت نظام الدورة المركبة المعتمدة على الغاز والرافعة بضغطها طاقة التوليد بنحو ٥٠٪ منذ عام ١٩٩٠.



ومع أن السياسة القومية للطاقة تستهدف، في الأجل البعيد، تنشيط الاعتماد على الطاقة النووية والتوليد باستخدام الغاز بعد تلبية من الاحتياجات الحالية، إلا أن معارضة فئمة البيئة سوف تشدّ صلابته، وهو ما يعطى على مساندة قوية لاستخدام الغاز الطبيعي كبديل آمن واقتصادي جيّد. والواقع أن الغاز الطبيعي سوف يحتاج ظلّ هذه المساندة، إذ تلتزم تنمية حقله وحجم إنتاجه بمستوى أسعار السعر في السوق، وفي انتظار الحقل الذي يقدّر سعره عند راس البئر في الولايات المتحدة يتراوح بين ٢-١,٥ دولار لكل مليون وحدة حرارية بريطانية منذ عام ١٩٨٦. ولم يتمّ إنتاج عدد الأبار التي استطاعتها بنحو ٩٠٠٠ بئر سنوياً في المتوسط، فلما قلّز سعر الغاز ٢٠٠٠ إلى نحو ٣,٦٠ دولار قلّز معه عدد الأبار التي استطاعت في المقابل المذكور من نحو ١٠ إلى ١٠٠ بئر. ولا تقصّر تلك الحالة على الولايات المتحدة وحدها، بل يتبني أن يرتفع سعر الغاز الطبيعي في أسواق تصديره في المناطق النائية حيث يضمن تحقيق ربح بائع الغاز على الأقل ما يحلّفه إنتاج وتصدير البترول والذي تنقّض أسعاره في العادة مشوّراً لارتفاع الغاز ولكن الأرباح الصافية للغاز تظلّ كبيرة بما لا يلائم حالة البترول نتيجة لاعمال خفية واستعمالات لائقة لغيرها.

وفي الوقت الحاضر، يعاني قطاع الغاز الطبيعي في الولايات المتحدة من الخلل الشديد في مستوى الإنتاج نتيجة لاختلاف فصل العام، إذ يستمدّ جانباً كبيراً منه في القطاع الغازي وصفته خاصة في الفترة الأخيرة، ومن ذلك أن استهلاك الغاز الذي بلغت ذروته في هذا القطاع خلال يناير من العام الماضي عند ٣٦ bcm لم يتجاوز ٣٠ bcm خلال شهر يوليو من العام المذكور، ومن هذا يلزم طوابعه أوقات الذروة والاختلافات بمخزون كان ولا يزال إضافة إلى تشغيل الحقول بعدلات مرتفعة. وفي العام الماضي تزامنت موجة حارسة البرودة مع تشغيل خطوط نقل الغاز من حقله إلى مراكز استهلاكه بكامل طاقتها في ظلّ أسعار الغاز في مستويات عالية، وهذا ما تسبّب أيضاً في تقلص تجار الغاز عن الاحتفاظ بمخزون كافٍ

لارتفاع السعر، مما أدى بدوره إلى تصعيد السعر للمستهلك النهائي وارتفاع الشكوى حول وجود أزمة للطاقة في الولايات المتحدة.

هل ينتقل إلى دول أوبك

جانب من أعين

الأزمة الأمريكية؟

شرحنا فيما تقدم عينه من المشاكل القائمة عن قصور البنية الأساسية لقطاع الطاقة في الولايات المتحدة. ومن الواضح أن تلك المشاكل ترجع إلى عوامل عديدة وبسيطة وراجعة إلى الدول التي تستورد منها الولايات المتحدة احتياجاتها من الطاقة كما تدعى الأصوات المتألمة بإخضاع دول تولّد للغاز الأمريكي بحجة مخازنها لتوليد مائة الف احتكار.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما الذي يمكن أن يفعله من تلك الأزمة على الدول المستوردة للبترول وبالأخص الدول العربية؟ وما دور الخليج بمسألة؟

يخضع العرض العالمي للبترول الخام لعدد من المحددات يأتي في مقدمتها الطلب على البترول وبمسوره. كذلك يخضع العرض بالامكانيات الإنتاجية لنفاضة في الحقل في وقت معين. وليس يصحّ نمط احتياطات بترولية كبيرة أن يفيضي من السهل زيادة الإنتاج فور ارتفاع الطلب، إذ يلزم تنمية الحقل المكشّفة وتزويدها بالوسائل المالية على استخلاص البترول من باطن الأرض ومعالجته وتخزينه وصنعه حتى سلط الطاقة أو موقع الصفاة وحتى إذا توفرت الامكانيات الإنتاجية فإن معدل الإنتاج لا يصحّ أن يتجاوز المستوى الذي تحدده الاستثمارات الفنية، وهو ما يعرف بالحد الأدنى لمعدل الإنتاج الأمثل Maximum efficient rate 4 MER). في حالة الإنتاج فوق هذا المستوى الانزياح بالزئان الأرضي والقتلر سلبيا على حجم ما يمكن استخلاصه من البترول على مدى عمر الحقل وهو ما يعرف بمعامل استخلاص Recovery factor). كذلك يتحدد العرض بسياسة الدولة المنتجة للبترول ومدى حاجتها إلى البترول لمواجهة استهلاكها المحلي، أو لتصديره تخفيضاً لحدّة ثقله، يليه احتياجاتها المحلية، أو للاحتفاظ بكونها بكونها احتياطات أجيال المستقبل. ويدخل في هذا الإطار السياسة الجماعية التي تقرها أوبك بتأسيسه لخصيص الحد الأقصى للإنتاج وتوزيع الحصص بين الأعضاء لحدّ مستوى الأسعار السائدة في الأسواق العالمية.



وفي ظلّ السيطرة شبه المطلقة لشركات البترول العالمية خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع السبعينيات كان حجم الإنتاج يتحدد بما تقرره تلك الشركات استجابة لطلبات العملاء للتوسع بقصد إعادة بناء اقتصادات الدول الصناعية التي يمرتها الحرب. وكانت احتياطات البترول الأوسط

جارية، خاصة بعد أن تدنت أسعار البترول خلال تلك الفترة إلى صورتها الحقيقية إلى نحو ٧٠ سنتاً للبترول بدورات عام ١٩٦٧. ومن ثم ارتفع إنتاج البترول العربي من نحو مليون ب/ي عام ١٩٥٠ إلى نحو ٢٢,٥ مليون ب/ي عام ١٩٧٧ وهو عام الذروة. ومن هنا يمكن اعتبار البترول العربي شريكاً فعلياً في النهضة الصناعية التي تحلّفت في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

فهل تتكرر التجربة مرة أخرى خلال المستقبل المنظور بحيث تمارس المجموعة الصناعية الغربية بقيادة الولايات المتحدة الضغط على الدول المصدرة للبترول لضخ احتياطاتها من البترول مع الإبقاء على أسعاره عند مستوى منخفض مساندة للإقتصادات الدول الصناعية؟ تستهدف توجهات الهيئات البحثية الغربية أن تقوم أوبك بدور المنتج المحل Residual producer، بمعنى توسيع طاقتها الإنتاجية، وخاصة في منطقة الخليج العربي، بحيث تقوم بسدّ الجوة بين الإنتاج الخارجي وبين الاحتياجات العالمية للزيادة من البترول. وبالأخص التي تلتزم مصانع الدول الغربية التي تستورد نحو ٩٥٪ إيراد التورادات البترولية العالمية.

وكما يتضح من الدراسات المتألمة، يتوقع أن ترتفع الطاقة العالمية لإنتاج البترول من نحو ٧٩ مليون ب/ي عام ١٩٩٨ إلى ١٢٩ مليون ب/ي عام ٢٠٢٠. ولعلنا قد لاحظنا ينشأ أن ترتفع طاقة الدول المنتجة من نحو ٢٤ مليون ب/ي عام ١٩٩٨ إلى نحو ٥٩ مليون ب/ي عام ٢٠٢٠. وبذلك يرتفع نصيب بترول أوبك الموجه لمد احتياطات العالم من نحو ٤١٪ عام ١٩٩٨ إلى ٥١٪ عام ٢٠٢٠.

وفي داخل أوبك توجد ست دول فقط من سيكون لديها القدرة على توسيع وتنمية طاقتها الإنتاجية بحيث ترتفع من نحو ٢٧ مليون ب/ي عام ١٩٩٨ إلى نحو ٥٠ مليون ب/ي عام ٢٠٢٠. وهذه الدول الست هي السعودية والإمارات والكويت والعراق وإيران. ثم تنافزها، أما باقي أعضاء أوبك، فلا يتوقع أن تتجاوز طاقتها الإنتاجية مجتمعة نحو ٨ ملايين ب/ي خلال الفترة ٢٠٢٠-٢٠٢٠، وهو تغير ضئيل بل ذو شأن في ذلك المجموع.

وإذا أضفنا إلى الدول الأربع العربية باطل مسجوعة السنة الكبار من سوف تنضمه احتياطات من البترول للتوسع في الامتدادات العالمية ظلّ عمان والجزائر وليبيا، فإن البترول العربي يمكن أن يرتفع من نحو ٢٠ مليون ب/ي في الوقت الحاضر إلى نحو ٥٠ مليون ب/ي في بحلول ٢٠٢٠. وبإضافة إنتاج إيران لبراز البترول بنحو ٥٠ مليون ب/ي عام ٢٠٢٠، فإن المنطقة العربية، ومعها إيران، يمكن أن تمد العالم بنحو ٧٠٪ من احتياجاته، أو ما يعادل ٦٠٪ من الصيرورة البترولية العالمية خلال العقد المذكور. هذه هي توجهات أغلب الهيئات البحثية الغربية والتي تفرّش في كلّ سوف تدع بول المنتج للكمل. وإن إحتياطاتها البترولية سوف تنقسم تقى باحتياجات العالم المتزايدة من البترول. الاستجابة التي تبذلها لاحتياجات تلك الهيئات.

غير أن وكالة الطاقة الدولية IEA التي تضم وتخدم مصانع الدول الصناعية الغربية، تتنبأ توجهات مختلفة، وهو في نظرنا الأقرب للواقع. إذ تقرّ وكالة بين ما تطلق عليه البترول التقليدي والبترول غير التقليدي Unconventional Oil. وتتوقع الوكالة أن يبلغ إنتاج البترول التقليدي ذروته في منتصف العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين (أي حوالي ٢٠١٥) لئلا بعد ذلك مرحلة انقراض الطبعي تدريجياً، وتصفّ الوكالة تحت تعريف البترول غير التقليدي ما يمكن تكميله في الوقت الحاضر مثل السوائل التي تستخلص من الغاز الطبيعي بغير الطرق الصناعية المعقدة Gas and NGLs، ومثلها في البترول الثقيل Oil shale ومن رمال الفل Tar sands. وتتوقع الوكالة أن يرفع إنتاج البترول غير التقليدي، والذي يمكن تقديره في ضوء الظروف السائدة في الوقت الحاضر، من نحو ٩,٣ مليون ب/ي عام ١٩٩٦ إلى نحو ٢٠ مليون ب/ي عام ٢٠٢٠. في ضوء هذا التعريف يتوقع إجمالي العرض العالمي من البترول يتوقعه نحو ٧٢ مليون ب/ي عام ١٩٩٦، موزعاً بين ١٢,٧ مليون ب/ي بترول تقليدي، ونحو ٩,٣ مليون ب/ي بترول غير تقليدي.

أما ما يحقّاهه العالم على باقي محتاجاته البترولية عام ٢٠٢٠ فتقدّر وكالة الطاقة الدولية بنحو ١١١ مليون ب/ي في البترول التقليدي منه بنحو ٧٢ مليون ب/ي، كما يلي البترول غير التقليدي، والمعرّفة بمصادره حالياً، بنحو ٢٠ مليون ب/ي. وبذلك يحدّد ذلك نحو ١٩ مليون ب/ي وهو ما ينبغي توفيره من مصادر غير تقليدية وغير معلومة في ظلّ الحاضر Unidentified unconventional oil.

وإذا تركز اهتمام الهيئات البحثية الغربية بمصالح الدول الصناعية الغربية، فإنها تتوقع أن يرتفع استهلاكها البترولي بحلول عام ٢٠٢٠ إلى نحو ٥٥ مليون ب/ي، وأن تبلغ فجوة العجز في ذلك الاستهلاك نحو ٣١ مليون ب/ي (منها نحو ١٦,٥ مليون ب/ي في الولايات المتحدة). وإن ترى تلك الهيئات أيضاً أن المجموعة الصناعية الغربية التي تعتمد على دول أوبك الواقعة في منطقة الشرق الأوسط لتوفير نحو ٧٧٪ من إمداداتها البترولية بحلول ٢٠٢٠، وأن انقفاصها قد تخدم لاصحول على البترول من جانب الدول النامية، فإنها تدعو الدول الصناعية الغربية لاحتفاظ التقديرات اللازمة لمواجهة بلذ الموقف.

وبالأخص بعد ذلك إلا أن تستبعد الدول لاصحول للبترول، وبصفة خاصة دول الخليج العربي ومعها باقي الدول العربية. التي تقوم الضغط الذي قد تمارسه عليها المجموعة الصناعية الغربية بقيادة الولايات المتحدة، سواء بغرض تحميل قلوبها ما احتجته من إمدادات فوق طاقتها كما ينطوي على الإضرار بإنتاجها المستخلص، أو بقصد الإبقاء على أسعار البترول عند مستويات منخفضة خدمة للاقتصادات الغربية التي تستوعب ثلاثة أرباع التورادات البترولية العالمية. ■

من الخلاف إلى الخلاف

فراحت (من الخلاف إلى الخلاف) عدد الشهر الماضي من مجلة وجهات نظر. واولد ان احبكم بالتوقيع الذي يحالفكم دائما في الانشراح على إصدار هذه المجلة الرائعة. وهو جهد كبير أعرف قدره. وأعيد فيكم الموهبة والنفادة والفيرة على القيام به.

فقال هيك رافع رافع جعنا. عميق وشامل وبنيق ومفيد للناحية. كذلك مقال (اصيد) بالغ الأهمية ويحدو على معلومات قيمة. اعانكم الله.

مع اطيب التحيات ووافر الاحترام والتقدير.

عبد القادر الإريسي
المكتبة الإسلامية للدراسة والعلوم والثقافة
الربيعات



أفضل مقال

أعتر نفسي أحد القراء «العاشق» لـ «وجهات نظر» منذ صدور عددها الأول في فبراير ١٩٩٩. وحتى الآن وافتنا ما تحظى المجلات المنشورة فيها بإعجابي الشديد.

وقد قرأت في عدد أكتوبر الماضي من المجلة مقال الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل بعنوان «حريق أمريكي وعالمي» الذي اعتقد أنه أفضل مقال على الإطلاق تناول ما حدث في ١١ سبتمبر الماضي في واشنطن ونيويورك والملايسات البحرية بذلك. والقد أبدى عديد من معارفي الأجانب إعجابهم بالمقال بعد ان أبلغتهم بمحتوياته. واستمرال له أطعم في ترجمة إنجليزية لهذا المقال القيم؟

عمر السالم
للغرة



السيرة البريطانية وعصرها الناصر

باعتباري قارئا مستديما جلتمكم الرائعة التي تخاطب قطاعا من صفوفه الحافظ على المستوى المتميز لما ينشر بها. لرجو ان أخرجها من الخفاء الأتية والتي جادت في مقال السيد خالد الصروب عن دور السيرة البريطانية في زعزعة نظام عبدالناصر والاشور بالعدد ٣٣ الصادر في أكتوبر الماضي.

ولأجاء بالفقرة الأخيرة من صفحة ٥٠. وقد استطاع إيدن إضراح وزلفت إيزنهاور الرئيس الأمريكي. وصحة الاسم كما نعلمون من دوايت أيزنهاور. ثانيا: جاء بالفقرة الأخيرة من العمود

الثالث بمصفحة ٥٢. برؤى دونالد لوجان أنه غادر لندن مسجبة يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ برقعة..... ولا يمكن أن يكون هذا التاريخ صحيحا لأن الاعتداء الثلاثي بدأ في ٢٨/١٠/١٩٥٦ وأن لافي سيغرا لايد أن يكون قد تم في وقت سابق.

ثالثا: جاء في الفقرة الأولى في نهاية العمود الأول من صفحة ٥٢ لكنه كان مضطرا لأن ينفذ تعليمات مؤوسيه في الخارجة في لندن. واعتقد أن المقصود هو رؤسائه وليس مؤوسيه.

رابعا: الجملة الأخيرة من العمود الرابع بمصفحة ٥٣ «مستشارا سياسيا» للاند قوات المطفة. تكر ورويعها في أول العمود الأول من صفحة ٥٤.

إني على قدر سروري لصدور هذه المجلة التي ملأت فراغا فكريا في وقت راجت فيه الصحف والمجلات الصغرى. بجني خرسى على يدك للمعلومات والمعلومات التي تشر بها.

علي بوس
عضو مجلس إدارة للكتاب
لصرف العربي الدولي

بين ثقافة للقراءة وزمنه السويدي

لدى مسلاط على بعض أخطاء تاريخية وبرت في مقالين في عدد أكتوبر ٢٠٠١ من المجلة. أوجزها فيما يلي:

١- للمقال الأول هو: «ثقافة المقاموعة» للدكتور حسن جنحلي.

٢- أشار الكاتب إلى «قوسون بوليدو» الانشراكية ٩٦٢-١٩٦٣. والواقع أن أول هذه القوسونين (أو على الأصح القرارات) صدر في يوليو ١٩٦١.

٣- ذكر أن الثورة اليمنية قامت في ١٩٦٤. وهنا خطأ. فثورة اليمن قامت في ١٩٦٢. وبالتحديد في ٢٩ سبتمبر من العام المذكور.

٤- مؤتمربوليدو عقد في ١٩٥٥ وليس ١٩٥٠ كما ورد بالمقال (واعتقد أن هنا خطأ طباعي).

٥- أشار إلى «حرب الاستنزاف» ١٩٦٩-١٩٧٠. والواقع أن حرب الاستنزاف بدأت بعد فترة قصيرة من وقوع التكتة في ١١ نوفمبر ١٩٦٨ على أقصى تقدير.

٦- أشار الكاتب إلى «قرارات سبتمبر ١٩٨٠» والتي أتت إلى تصفية رأس النظام في أكتوبر ١٩٨٠. على حد قوله. والستة التي يقصدونها الكاتب هنا هي ١٩٨١ وليست ١٩٨٠.

٧- المقال الثاني يقول: «دور السفارة البريطانية في زعزعة نظام عبدالناصر لأستأصل حال العرب».

٨- ذكر الكاتب أن الرئيس عبد الناصر اعان تأميم «شركة» قناة السويس في ٢٦ يونيو «حزيران» ١٩٥٦. وهنا خطأ طباعيا. ولتاريخ التصحيح هو يوليو ٢٦ ١٩٥٦.

٩- أشار إلى السفير البريطاني في تلك الفترة مرة على أنه «ماكل ترويلين» ومرة أخرى على أنه «مفري ترويلان».. والاسم الأخير هو الصحيح. وبالنسبة كانت المصنف تعتب اسمه هكذا: ترويلان (Trevelyan).

١٠- يقول الكاتب: «استطاع إيدن إضراح روزفلت إيزنهاور الرئيس الأمريكي...» وهذا خطأ آخر. فالرئيس المقصود كان اسمه دوايت أيزنهاور.

١١- أشار الكاتب إلى موشيه ديان على أنه وزير الدفاع الإسرائيلي لئذا. وفي موضع آخر من المقال يقول إن كان رئيس الأركان الإسرائيلي. وديان كان يفعل رئيس الأركان في ١٩٥٦. كما كان وزير الدفاع أثناء حرب ١٩٦٧.

١٢- وزير الخارجية الفرنسي في تلك الحفية كان اسمه «كريستيان بيغو» (Pinet) وليس «بينيو». كما جاء بالمقال.

١٣- يشير الكاتب إلى «غزو الاتحاد السوفيتي لنيشكوفسكايا في أوج أيام حرب السويس...» وهنا خطأ. فالقوة التي كان المفروض أن يذكرها الكاتب هنا هي للجح وليس نيشكوفسكايا. وشكرا.

د. شحيان عبد العزيز عليلي
كلية الدراسات القانونية في الكويت



التجربة الإيرانية

طالعت بشغف واهتمام مقال «إيران» من الرضاة على في مقدوق الانتخابات، بمجتمكم. وجهات نظر. للدكتور محمد الرميحي: في عدد شهر سبتمبر الماضي. حيث برهن من جديد على انتقارة الكاتب لكتاب وسمه «الفرق والفهم للمعق الذي يمتاز به قلعه من خلال إسهامه وإثرائه للفكر العربي المعاصر مضمعا بمنهجية ثقافية رائدة وصفها ورقة تكتنر العبير ونشترن الفكر.

إن قراءة كل حرف من المقال تسامق في استجداء الحافض والإصباح عنه بشغافية تتشال حشاشا من بركها العميقة كي تدفد نبعما متصفا.

والقد أرسلنا نسخة من المقال إلى إيران لتطعم على النخب الفكرية والأدبية.

على جنشي
سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الكويت



الطريق الصحيح للفتنة

في البداية أحب أن أوجه شكرى لخاص لالأستاذ الفاضل محمد حسين هيكل الذي يستعنا بفقالته التي نستكشف بها الواقع ونمتشف بها

المستقبل. كما أوجه الشكر لكل العاملين على إخراج ورقة القراء «وجهات نظر» لقد قرأت بشغف مقال الأستاذ. سلامة أحمد سلامة (ليس بأقل وأفضل منصف الفكر العربي) ولي شحليق على المقال لأن الموضوع يحثل إهتمام كل عربي. اكل يتفق على أن النقطة الفاصلة في عملية النهضة العربية هي الديمقراطية وليست بالديمقراطية الشكلية ولا بديمقراطية النباح. ولكن بديمقراطية التعبير وتداول السلطة. فقد تنصهر بعض الأنظمة أنها تمنح شحومها الديمقراطية عن طريق التذلل على صفحات الصحف وفرد ذلك لا يعدو كونه ديكورا زائفا لولد إسيادي من وعادة الديمقراطية العمودية في وطننا العربي الشلي.

نحن في حاجة إلى ديمقراطية نحترم حقوق الإنسان. حتى في الحياة. حتى في التعبير عن رأيه بأي صورة كانت سواء كان بالإصرا أو الاجتماع أو الكتابة والفتر.

وحيث توافر الديمقراطية بشغفها السياسي والاجتماعي. العصفه الاجتماعية. تستطيع أن تنخلص من عيون المجتمع العربي وخاصة ونشر نغمني من عدة مشكلات أهمها:

١- الألية الإيديولوجية والثقافية. حيث نغمني من أرفعأ شعبة الألية الإيديولوجية. فمصر على سبيل المثال بها ٢٩ فير متعلمين تأهلت من الألية الثقافية بين المتعلمين أنفسهم.

٢- تنامي الفكر الرجعي - الذي تشبها نبرات مصعبه باسم الدين - وازدادت تلك المشكلة حين اعتمدت الديمقراطية على بدائية السبعينيات عليها للمفاهة على تيار اليسار وكافة العقول المستنيرة من مختلف الشيارات ونجأت فطوره تلك التيارات بهجومها على نجيب محفوظ. والتمتيز فر جعنا. والادامة دعوى الحسية. والتفريق بين الزواج. وأخرها كانت فضيحة. د. نوال السعدوي وشريف حشاش. وقيلها كانت فضيحة. د. نصر أبو زيد. وإيهنايل بونسي. وغيرها من تجاسر التعكير والشعور ضد كل مفكر تجاسر بعرض فكره.

٣- التذلل العلمي والتكنولوجيا المشكلة الثالثة والتي تحتاج منا جهود عملاقة. عملية البحث العلمي وضع التكنولوجيا لا استغنى عنها. فأذا أخذنا على سبيل المثال مصر نجد أن ٨٠٪ من ميزانية البحث العلمي هي أقل من ٢٪ وفي المقابل ميزانية إسرائيل في نفس المجال ٣٪ من الدخل القومي. والمؤامير ٨٠٪ من ميزانية البحث العلمي بمصر مخصص للزيارات والديلات رغم وجود ثروة بشرية هائلة في مصر.

فل نستخلق نهضتنا الفرجوة بالحسرية والعدالة والتكنولوجيا أده سنبلي على منطلق العطف واليابة:

عصام شحيان حسن ترك
كلية اعمدة الاجتماعية. د. طلال التفتة
جامعة أسير

المعمون في ساحة الفناء والطرب

عبد العزيز خليل
القاهرة دار الهلال، ٢٠٠١، ٢٩٥ صفحة



للمعمون الذين يدور حولهم موضوع الفناء، لهم الطربون الذين درسوا في الأزهر الشريف أو تتكلموا على مخابضه وعلمائه الأفاضل، وكانت دراستهم وتعليلهم مستقيمين يشير إلى أنهم سيحسون منابر الأوقاف والتطابق في ساحات المساجد، أو هلجات الإنشاد وقراءة القرآن الكريم في الموائد والمناسبات الدينية، لهذا بهم يصيرون نجوماً في ساحات الفناء والطرب. المؤلف يتناول حياة هؤلاء وتأثيرهم في مجال الموسيقى والفناء، بدءاً بـ «سليم الفناء المصري» عبده السامويلي، و«عبد المولى» بالوسيلاني، والراحل الشيخ سيد مكاوي.. مروراً بسيد درويش وسلامة حجازي والمصريين وعزراي أحمد وحمامه مرسى وصالح عبدالحلح.

لا يوفق المؤلف وهو يتناول مسيرة عبده السامويلي الذي ساد ساحة الفناء والطرب طيلة النصف الأخير من القرن التاسع عشر وتجديده لمن «الدور»، أن يشير إلى العزلة التي جعلته بالطبقة «المغلقة» أو سكتة سليم، وكانت أشهر قصص الحب في تلك الأونة وقد ظهرت على الشاشة الضيقة في أيام خاله.

أما الشيخ سلامة حجازي فقد بدأ منشداً في المناسبات الدينية وحفلات الذكر في إسماعيلية، عبده السامويلي، وصعد صوته البديع من فوق منطقتة جامع الأياصيري والمرسى أبو العباس، إلى الفناء في الأرواح وبين قصص الوفايات التي عرضتها غرفة يوسف خياط في إسماعيلية، حين عرض عليه خياط أن ينضم إلى الفرقة رفضاً مقبلاً على التشخيص ففرد عنه الأمانة ورجل الدين، وتعددت مسارات الشيخ سلامة حتى صار صاحب فرقة ورائداً للمسرح الفخني المصري.

ومن عبادة الشيخ سلامة حجازي خرج سيد درويش، فنان الشعب وفرد المصيرين في عام ١٩١٩، الذي غنى معه بسطاء الأثريين في الأوقاف والصور، والذي فضله الناس لأنه يغني في الأفراح، لكنه بقي يحمل لقب الشيخ حتى بعد أن خلع الجبة والعمامة وأرادى البسمة والطربون، وعلى الأثر تركه سيد درويش في الموسيقى المصرية خالداً إلى اليوم شاعداً على عبقريته الغدّة وريغته الدافقة في التجديد والإبتكار، ووريقته

مع الخطوات الجسورة التي بدأها إيسخيلوس وسوفوكليس وبوريديس الذين غنوا بالترانيم حتى جاء «أريستوفان» حوالي عام ٤٨٥ ق.م. وبدأ كوميدياته الساخرة التي وصلت إلى نحو ٤٤ مسرحية صالحت فيها شتى الموضوعات باللهاء، وقد لده كليون من جاءه وبعده في المسرح الروماني.

ويشير المؤلف بعد ذلك إلى المسرح الغربي في العصر الوسيط وتأثره بالثقافة المسيحية التي حره معتقدها في البداية من المسرح واعتبروه من التقاليد الوثنية وأنه يفسد الشباب ويؤدى إلى انحلال أخلاقهم مما أدى إلى تدهور في المسرح، لكن المسرح شهد تطوراً سريعاً اضطلع به الفلاسفة الذين بدأوا يطرون العلاقات المسيحية للناس عبر دراما دينية سرعان ما تضارفت معها مشاهد «دينية» ليصبح المسرح نصف ديني وينتشر في أوروبا جميعاً، ولم يعد الممثلون من رجال الدين وخدام الكنيسة، بل صاروا ممثلين محترفين، واستمر المسرح الإخلاقي حتى القرن السادس عشر حين بدأ الناس يملكون التسلل والمواظع ويطبقون محاللات تشتت خيالاتهم. وتطور المسرح تدريجياً في هذا الاتجاه حتى ظهر شكسبير في النصف الثاني من القرن السادس عشر ليعشده المسرح نهضة عظيمة على يديه ويستمر ظهوره بنظير خربك أيسن واليوت وتنكوف وسينج وبيرانديلو ويزنارد شو وغيرهم.

ويعد استعراضه للمسرح وتطوره في العالم، يقدم لنا المؤلف دراسة نقدية وتاريخية للمسرح المصري ورواد واجتماعاته، عارضاً لإنجازات منرون نقاشات ويعلق صلو وسليم نقاش يوسف خياط وسليمان كبراهيم وعثمان جلال وأبو خليل القباني وأحمد فرح وسلامة حجازي وجورج أبيض وفرح تلمون ومحمد نجيم وغيرهم، ويعرض لأشاد من الأعمال التي قدمها هؤلاء واضحا إياها تحت مظلة النقد سواء في التبار الدرامي أو الشخصيات، أو لغة الحوار أو فون الحركة والأداء، حتى وصلنا إلى التطور الثاني من تطور المسرح المصري والذي تبرز فيه أسماء مثل توفيق الحكيم ويوسف وهبي وعلى أحمد باكثير ورجحاته بعد حسين وقيل طران والمخرج الشفري على أمير الشعراء أحمد شوقي لم مسرح محمود تيمور وعزير أباطة لم مرحلة ثانية شهدت أعمال عبدالحلح الشراقي وصالح عبد الصبور وسعد الدين وهدي، وإن كان قد المؤثر في دراسته الدينية وأخرج على أعمال محمود فتيان وميخائيل رومان ويوسف إدريس وعلى سالم، وقد أنشأ من العلامات الفنية في مسرحية المسرح المصري المعاصر.

□ □ □

موقوفات مشاركة المرأة الكويتية في الحياة السياسية، وهي: موقوفات نفضل بنقص الوعى لدى المرأة الكويتية وللحركة النسائية هناك، وموقوفات اجتماعية تفضل بطبيعة المجتمع الكويتي التي نخلع عليها القسبة والتقليدية والتدين، وموقوفات قانونية حيث لا يميز القانون الكويتي للمرأة حق الانتخاب والتشريع.

وعبر دراسة ميدانية وتطبيقية على عينات مختارة يتضمن الباحث إلى ضرورة أن نأخذ المرأة الكويتية حلها كمواعين في التصويت في الانتخابات البرلمانية والبلدية، وتعزيز دور المرأة في الجمعيات الأهلية والفتيات المينة مع سبيكون له أثره في هيكلة المناخ الاجتماعي فقرة إشراك المرأة في الحياة السياسية، ويوصي الباحث بضرورة أن تسند أجهزة الإعلام الأنواء على فضائية المرأة وأن تشتمل مناهج التربية موضوعات تصادم في تنمية الوعى النسبي لدى النساء.

□ □ □

تاريخ المسرح عبر العصور

محمد صالح د.
القاهرة: دار القلم للنشر، ٢٠٠١، ٢٨٥ صفحة



يرد البعض بدايات المسرح إلى المصريين القدماء، إلى حوالي ٢٠٠٠ ق.م. أي قبل المسرح الإغريقي بوقت طويل، وإن كان آخرون يرون أن هذا التمثل من الدراما التي كانت تقدم في هيئة طقوس بالعباد تميزت ببساطة وبساطة لا تؤهلها لأن تدرج ضمن فنون الدراما المسرحية.

المؤلف يرى أن القدم ما عرفة الغربيون هو المسرحيات اليونانية وكانت موادها الأساطير اليونانية العفوية، كما نجدتها في الإبيادة والأوديسة اللتين كانتا المصدر الأول لعلم الآداب المسرحية في مراحل لاحقة، وإن كان بعض الباحثين لاحظ تشابه كبيراً بين الأوديسة وأحدى قصص الأدب المصري القديم بما يعنى أن «هوميرس» صاغ بالآداب العفوية. ومن قبل الفكرة، فإن العروض المسرحية اليونانية ظلت حبيسة بين جدران المعابد وكان هدفها التقريب للناس بعرض الأساطير الدينية، ولم توجد صور واضحة لتطور الدراما إلا

المرأة الكويتية والمشاركة السياسية

محمد منيف محمد العجمي
بغروت دار الفنون، ٢٠٠١، ٢٦٥ صفحة



أصل الكتاب دراسة أكاديمية حمل بها صاحبهها على مرحة الانجيسبر في العلوم السياسية، ولذا فهو يبدأ باب نظري يدرس مفهوم المشاركة الشعبية والمشاركة السياسية ودوافعها وأشكالها وموقعاتها، ثم يدرس في فصل ثل مكانة المرأة عبر العصور ووقوف الإسلام من المشاركة السياسية، ثم يقدم نماذج تطبيقية للمشاركة السياسية للمرأة في مصر واليمن ولبنان والكويت، وفيما يتعلق بالكويت يشير المؤلف إلى أن أول وجود حليقي للمرافاة فيها كان في أبريل ١٩٦١ حين تشكل أول مجلس تشوري يضم ١٢ شخصاً، لكن هذه التجربة لم يكتب لها الاستمرار، وبعد سنوات قليلة تم انتخاب مجلس بلدية الكويت عام ١٩٦٣، ثم مجلس للمعارف عام ١٩٦٦، وتم حل المجلس عام ١٩٦٧، وفي عام ١٩٦٨ تم انتخاب مجلس تشريعي استمر عاماً ونصفاً ثم تم حله ليتم تشكيل مجلس تشوري في ٢١ عضواً، وفي عام ١٩٦٩ وضع الدستور الكويتي في عهد الشيخ عبد الله السالم الصباح جاء في المادة السادسة منه أن نظام الحكم في الكويت يبعمرها وأن السيادة لأمة التي في مصر السلطات جميعاً، وفي عام ١٩٦٣ تمت انتخابات أول مجلس لأمة في تاريخ الكويت، ثم كان ثاني مجلس عام ١٩٦٧، والثالث عام ١٩٧١، والرابع عام ١٩٧٥، واستمر للمصرة الديمقراطية الكويتية التي شهدت عدبة من الأزمات الدستورية، وشهدت الحياة السياسية الكويتية مناسبات مستمرة حول دور المرأة في المشاركة السياسية وأعباء هذه المشاركة، وكانت هناك عدة اتجاهات: اتجاه إسلامي متأثر بحق المرأة في الانتخابات والتشريع واتجاه وسط يدعو إلى تقالي الضمانات وتجميل مناقشة المسألة، واتجاه متروء تراوح بين التأييد والرفض والتسريع وعد الترسية. واتجاه مؤيد مناضل لاتحاد النساء، وكانت أول مناقشة داخل مجلس الأمة للحقوق السياسية للمرأة في الفصل التشريعي الثالث من عام ١٩٧٣. ويرصد المؤلف من مراسات صاحبه

النهيات، الهوس القهاس الألفي
بشير لنرح
ترجمة ميشيل كابر
دمشق دار قدس
٢٠٠١ صفحة ٢٠٠



يعني انتشار العالم نهاية التاريخ.
ومنذ الطفولة البشرية كانت الأسطورة
تتمسك من نهاية العالم ونقطة دم
انتهائه من جديد، كيف بدأت الأمور
وكيف ستنتهي. وما منبع الرؤى حول
تلك النهاية، وكيف تشكلت تلك المفولات
التي تمثل المصير الإنساني.

كتاب «النهيات... الهوس القهاس
الآلبي» - يحاول أن يحيط من تلك
التساؤلات غير أحد عشر فعلاً تقاوم
جذوه هذه الرؤى منذ السبعينيات
مروا إلى القرن السابع قبل الميلاد، أي منذ
عصر التئور والتور والنهاية رؤى العصر
العظمى والأمال الخائبة التي تخلفت
عنها.

يتعلق الكاتب من فلسطين وما حدث
فيها خلال العصر ما قبل المسيحي عند
منحطف القرن السابع قبل الميلاد، أي منذ
انهيار المملكة الآشورية على يد بابل،
واستيلاء نبوخذ نصر الثاني على مملكة
بيوتو والقبضاء عليهم ذمًا.

يستمر المؤلف في سرده التاريخي
الذي أدى إلى اختراع الطباعة وهو اكتشاف
الذي أدى إلى انتشار الكتابات الدينية،
فكان بين المطبوعات نبوءات وتنبؤات
ونصائح عن زوال العالم مستفلة من علم
الحك، وإشعل ذات الحفقات الاجتماعية
والسياسية ذات الصلة بالآثار الدينية،
وجد كثير من موعاً لنهاية العالم، ومع
بدء القرن عشرين حدث تحول
أساسي في فهم العالم والحياة أضعف
التوجه الديني نحو العالم الآخر وأهل
جدهم توجهاً جديداً موضوع العالم
المدني استناداً إلى اكتشافات كوبرنيك
نيكوس وجاليليو والفلسفات ديكرات
وسبينوزا ولوك وهوبز، ووجدت الكنيسة
نفسها مجبرة على الدفاع عن معتقداتها
التي قلقت كثيراً من فهمتها بغض
الجهودات الفلسفية.

ويواصل المؤلف سرده وصولاً إلى
العصر العلمي حيث يصور لنا الكارثة
الريحية التي شهدها الأرض بسبل
الانفجارات النووية والطاقات السامة
والقوة السكانية الانجاري وتدمير البيئة
وأخيراً موجبات الاستنساخ التي تلغ
الفرق بين البشر وتعرضها للحدس من
الاستمرار في تجاربها، وهي سرخة

المعنى وإنما يضعه في سبيله قناريخي
والطائفة انتفض الصورة بجلاء، وهو
حين يحدثنا مثلاً عن صفون الأوامر لا
يكفي بالإشارة إلى أنها أولي الكفريات
الدينية التي وصلت إلينا والتي كانت
تتلى أثناء مراسم بولم من جديد وتعود
أصولها إلى أزمنة سحيقة، إنما يشير إلى
مضمونها الذي اكتفنه أحياناً بعض
الغموض، وهو يشير إجمالاً إلى الأنوار
التي تنضج بها الحجرات التي يمر بها
النفوس، حيث يرتقي الحك من حجرة
الدفن إلى الحجرات الجلازية عبر عديد
من الممرات حيث تشمل السرباب أو مملكة
أوزيريس حيث يولد من جديد بانفثاله
إلى المصجرة التي ترفض إلى الألف في
انتظار لمخالفات البحث.

لما أوزيريس فقد كان إله الخصوبة
ونمو النبات وصار أحد الإلهة الرئيسية
في مجمع الإلهة المصرية، وقد تزوج من
نحته إيزيس وكانت من من نصيبها، أما
الصعراء فتكت لتست، وتفتيق، مما
أثار حسد خصبة، نته ففتكت وأقطع
جسمه ١٤ قطعة تلي بها في مواضع
شنت من النيل، لكن زوجته الحبا من جديد
جعت لشدها ووجهته الحبا من جديد
ليهب لها حورس الابن الذي ورث ملك
أبيه وحارب لاسترداده عرشه، وهي
وأحدة من أشهر الأساطير المصرية
والتي لا يتغنى بسرد القصص
والقديم بل دلالاتها، وروائع الأشرار
فيها، وتربطها بالعقد المصري القديم،
وتلاحظ مثلاً: إن فكرة الثلاث وهي
السياسة في المسيحية وجدت عند
المصريين القدماء إذ عرفت «شركاء»
تجمع بين ثلاثة كيانات إلهية تمثل أسرة
تضم الأب والأم والابن، وكان ذلك دلالة
المرسية، إذ مثل الألف إلى الجانب
التقوي للمثل للثلاثة والخصوبة، وطلعت
الأم الجانب الأثوي بوقتته وحفاته وعمل
الابن إنتاج القباب المنبتق منها والذي
يعمل تجديد قوى الحياة تجديداً أدياً.

كما عرف الفراعنة أيضاً «النامون»
وهي جماعة من لمائية كيانات إلهية
تضم أربعة ضفادع مذكورة وأربعة
تعاين مؤنثة وهي تجسد كل إمكانات
الخلق، وأد بيل للمصريون القدماء عديداً
من المصوبات والطبوع منها القدر
والتمساح والبقرة والوبر والفر والذئب
والصقر وغيرها، وبعضها تمثلته الإلهة
وانتقدت هيئته.

لما «مصر» فكتنا انعكاساً في عالم
البشر للنظام الكوني كما أسسته الإلهة،
كانت هي أرض الظلمين مرابطة للفضارة
وهي تقبض الصدراء التي شاتي منها
الاضطرابات والمخاطر، وقد أدرك أهل
مصر منذ البداية أن النظام لا يمكن أن
يمسود إلا إذا توجتحت النشأ والوادي
يزعمه ملك واحد.

وإلى جانب صفات الألفاظ والأسماء
والحاصلت من هذا المعجم ملحقاً بأسماء
الإلهة والأماكن وروساً لعلاماتها الأكثر
شيوفاً.

□ □ □

ثبوت صمدية على المعجزات والأسرار،
وجميعها - حسبما يقول - كانت - نوافل
لازوم لها في الدين الأسفالي...، وأنه
إيمان يقوم على استخدام القلب ليحقق
الإنسان كل واجباته الإنسانية نحو
البشر بوصفها أوامر إلهية.

والإيمان الشاربي عند «كانط»
يقرب البشر في طوفان من الطقوس
الجوفاء التي تخلق روح التمسك عند
الشعوب بحيث لا تنطفي إلى الأفل
والفناج، وتضع للشعوب في حالة
حرب مع جميع الشعوب الأخرى، إذ
تسعى كل عقيدة لتوسيع دائرتها
الخاصة واجتذاب لثاج جدد إليها وهو
ما سميته «الأنفاج السلي للعبادة»
وهو سبيل إذ لا يقوم على الحرية والعقل
والاختيار، وإنما ينجح اقتصام الذي
يلعب العقل والمؤلفة تشير إلى أحداث
معاصرة البهت تزيها روح التمسك
الديني والعقائدي مثل الحروب في
اليونس والهرسك والتشيان والحرب
الافغانانية والعراق وإيران وشمال
السودان وجنوبه والهند وتاكستان

والصراع بين اليهود والمسلمين... إلخ.
والإيمان الأخلاقي كما سميته «كانط»
مجرد من دواعي الصراع والحروب لأنه لا
يقوم على تعصب لعقيدة بعينها، بل
يقوم أساساً على الزادة الصرة في
الاختيار التي تسعي إلى تحقيق الخير
القصي الذي يفترض وبشكل مبدئي
وجود الله وخلقه النقص، والدين
الأخلاقي على يقين الله وحيه، ليس
بالاحفالات والطقوس والتشاعر - كما
يقول كانط - وإنما يعمل ما يريد نحو
إسعاف نواتها والبشرية وتحقيق الخير
لها، أما البشر فيواجهه موعها أيضاً
الإنسان الذي يفرض على الإنسان الأخلاقي
الذي تربطه بالعقل علاقة قوية، ولذا فإن
السلام الذي يبعثه الدين الأخلاقي بين
البشر سلام دائم تسند أسس أخلاقية.

□ □ □

مجمع الأساطير المصرية
إيزابيل فرانكو
ترجمة ماهر جويجاني
القاهرة: دار المستقبل العربي ٢٠٠١ ٢٦٤

سحمة



يشترح هذا المعجم عديداً من الألفاظ
والمصطلحات التي يتكرر تكرارها في كل
دراسة عن مصر القديمة، فلا يكفي ذكر

للغز وكيف يمكن أن يصوغ وجدان
الجملين ويشارفها أفرأها وأحزأها،
ويستمر المؤلف في سرده المسيرة
والأثر للسلسلة العفمية منتهاياً بملحن
«الليلة الكبيرة» و«ميا مسهرني» و«الأرض
بنتكم عربي» الشيخ سيد مكاوي.

□ □ □

الدين والسلام عند كانط
فريال حسن خليفة
القاهرة: مصر العربية للنشر ٢٠٠١ ١٦٢



ما يستحق البحث هو أن ترى كيف
يمكن للعقل الإنساني أن يستمر في
معرفة الله؟
هذا ما نخل - كانط في إطار بحثه
في علم اللاهوت وأصنيفاته، ويميز
«كانط» بين اللاهوت الطبيعي واللاهوت
القاريخي والأول معرفة مؤسسة على
العقل، أما الثاني فمعرفة مؤسسة على
الوحي، ويتنازع بشكل واضح للنوع الأول
إذ يرى أن اللاهوت القاريخي - المسند
إلى الوحي - يمتزج وحدة الجنس البشري
في إشكال إيمانية متعارضة - ولا يمكن
أن توجد هذه العقائد القاريخية لأن
توجدتها معناه أن تنشأ عقيدة قاريخية
جديدة تميز دنها عن العقائد القاريخية
السابقة.

ريما يوحى هذا الذي قاله «كانط»
بعدم إيمانه المطلق بالوحي، لكن «كانط»
ينفي عن نفسه هذا الاتهام معزراً بفاده
بتصورات نظرية عن الإيمان العقلي،
وتشير المؤلفة إلى فروق أساسية بين
رؤية كانط ورؤية جان جاك روسو، إذ لم
يكن روسو نادياً للنقل والتقليد فحسب،
بل إنك الوحي والمرسات التي جوهرها
العقلي هو الشعور، والشعور طبيعي
وفاطر عند البشر... فالوجود، الاسم
(الله) وقانون الطبيعة فطريان في كل
قلب.

لنبدأ بلف روسو مواقف سلبية من كل
الأيان السماوية والأرضية غير
السموية، رافضاً أي وساطة بين الله
والإنسان.

أما «كانط» فيدري في الإيمان
التاريخي، إيمان الوحي المسبق، خضوعاً
وسلبية، إيمان يرى الوحي والأوامر
الإلهية دليلاً للتعاظم مع الله وليس
الإنسان، فيسوق الدين إلى خدمات
وعبادات وطقوس وشعائر، وهو إيمان
يرتبط بالقول والتقاليد والنقل، ويعتمد في

Churchill

Roy Jenkins

Macmillan, 2001, £ 14.95

(تشرشل)



هسيما قاله مؤلف هذا الكتاب روى جينكنز الوزير العمالي البريطاني السابق، فإن هناك ما لا يقل عن ١٠٠ كتاب تتناول سيرة حياة ونسبوتن تشرشل رئيس الوزراء البريطاني الراحل، والذي لهد بلاده في أحلك سنواتها خلال الحرب العالمية الثانية. وقد تحول تشرشل إلى أسطورة أكثر منه سياسيا في التاريخ البريطاني وحسب المؤلف فإن مقارنته تشرشل بأبي رئيس وزراء بريطاني تلاه نيدو كما لو كانت المقارنة بين رجل دولة «تشرشل» والكميذ في المدرسة «رؤساء الوزراء الآخرين».

ورغم أن الكتاب يتناول نواحي كثيرة من حياة تشرشل الشخصية واقتعاسه في الحرب والمخاضات، إلا أنه يركز بشكل رئيسي على التحديات التي واجهته خاصة خلال الحرب، ويقدّم المؤلف صفحات عديدة للحد من اجتماع الحكومة البريطانية الحاسم في شهر مايو عام ١٩٤٠ لاتخاذ قرار بشأن إمكانية الخضوع من قبل. وكانت الحكومة تنسحق على نفسها، وبينما أبد بعض الوزراء الفكرة، فإن تشرشل رفضها بحلف وإفلات أعصاب مضطربا إياها مساندته لفنانين ويسميا للصباحين الديمقراطية. وهو المؤلف الذي سيجر عليه فيما بعد اتهامات من جانب مؤرخين بريطانيين اعتبروا أن مؤلف تشرشل هذا أدى إلى استمرار الحرب سنوات في حين أنه كان من الممكن أن تنتهي بسرعة دون أن تغرس بريطانيا الأكل من أبنائها.

لكن روى جينكنز يعتبر مؤلف تشرشل مساهمة مبدية فيقول إن الازعاج البريطاني أثبت مرة أخرى وفخذه لسياسة المهادنة التي اتبناها سلفه نيفيل تشمبرلين. ويشير إلى أن تشرشل كان يستخدم مواطله لإقناع الناس بمواقفه وهو في هذا مثل الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون.

وبالنسبة للمؤلف، فإن تشرشل هو أفضل رئيس وزراء بريطاني إته في رايه يتلقى على جلا سنوات الذي كان جينكنز قد كتب سيرة ذاتية له من قبل. ويشير إلى أن تشرشل نموذج يجب احتساؤه بالنسبة لأي زعيم يواجه حربا.

كتب اجنبية

The Soul of Latin America The Cultural and Political Tradition

(روح أمريكا اللاتينية: التراث

السياسي والثقافي)

Yale University Press, 2001.

417PP, £ 27.50



كان أمريكا اللاتينية لو لاى مكان روح فابن تكون هذه الروح؟ إنها على الأرجح ستكون في الثقافة والإبداع الخاص بهذه القارة. لقد تغيرت أمريكا اللاتينية كثيرا في خلال عقود قليلة من الزمن فيحد حكم عسكري وديكتاتوري ساد القارة كلها تقريبا لفترات طويلة، تعرضت بول القارة لوجبة ديكتاتورية عاتية بحيث أصبحت نحو ١٩ دولة ديكتاتورية من إجمالي ٢٠ دولة. أما الدول غير الديمقراطية حتى الآن فهي كوبا بينما كان الوضع في عام ١٩٧٩ هي ١٠ دول ديكتاتورية والباقي ديمقراطيات. يتناول المؤلف في هذا الكتاب الإسهامات الثقافية والسياسية للقارة ويتوقف كثيرا عند كتابها للكتاب في الماضي ويتناول لماذا فشلت أمريكا اللاتينية في تبني العدالة بنفس الطريقة التي تبنتها الغرب. ويرد بانه ربما كانت للعدالة طرق أخرى. ويقول إن أمريكا اللاتينية لم تملك طيار العدالة إلا أنها ربما أبحرت في طريق مختلف.

ولكن الكتاب لا يُحدث القارئ عن ذلك. إن تعريف العدالة أمر مثير فهدنا من يعتقد أن الطريقة الأمريكية هي النموذج الأولي بالإنشاء في العدالة لكن هناك من يسأل هل تطبيق عدوية الإعدام وعدم وجود نظام حكومي لرعاية الضعيف في أمريكا من دلائل العدالة؟

ويتابع المؤلف التطور الثقافي والسياسي في أمريكا اللاتينية منذ استقلال دولها عن إسبانيا والبرتغال والمسيحية الطويلة تجاه الديمقراطية ومحاولة القارة التنصير في الغرب خاصة في أواخر القرن التاسع عشر.

ويخلص إلى أن الديمقراطية طحت رحابها أخيرا في أمريكا اللاتينية ولكن لا بد من دعم الولايات المتحدة لهذه التجربة وسماحتها على النمو والتضخم الاقتصادي وسياسيا.

وفي مجال الفهارس، فإن فهارس الموسوعة مميزة إذ تم تصنيفها نوعيا بحيث يمكن للباحث أن يلق على مائة بقة وسريعة. إذ تم تخصيص فهرس لكل من الآيات والأطراف العامة للأحداث والأحداث المقدسة والأحداث المسماة بحيث يمكن العثور على جميع مواطن المعلومات في جميع الكتب بدقة. وفهارس أخرى تعتمد على البحث الدقيق ومنها فهرس الروايات وفهرس الغرب الذي يحدد جزر الكلمة لم يلق على المعنى اللاتني في استخدام الكلمة.

وفي مجال الطباعة تم طبع النص في شكل أنيق لتكون بداية العودة بالكتابة الإسلامية إلى عهدنا السابق مستخدمة أفضل الحروف الطبعية ومضاهية أجمل المخطوطات والكتب القديمة، وذلك جهات مجموعة الحروف المطبوعة مستخدمة أنشأ وميثاق لم توجد في الكتب المطبوعة قام بتطويرها وترتيبها طالع من خبراء الخط العربي.

□ □ □

أشياء على الثقافة العلمية

تحرير: عصام العناني
الطبعة الأولى للثقافة ٢٠٠١
٢٢٠ صفحة



يضم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات لعدد من المهتمين بالدراسات العلمية بينهم الدكتور سمير حنا صادق وإسهام أمين الخولي ومصطفى إبراهيم فهسي ومحمد هادي حاتم ويحيى الخراوي ولحمد روفى وآخرون. وحافظ الدراسات أن أعضاء اللجنة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة راوا أن الوقت قد حان لإثارة أشواق على الثقافة العلمية ودورها في تشكيل مجتمع مصر المستقبلي ووضعها في ظل التغيرات الدولية الحديثة، وبين موضوعاته ما يحل الثورات العلمية والتكنولوجية التي برزت في القرن العشرين. ومدى الاهتمام الذي توليه أجهزة الإعلام للثقافة العلمية. إن مفهوم الثقافة العلمية وإثارة مناهج التفكير العلمي بين الأطفال وفي ناياب برامج التعليم الحرس كما يشير الكتاب دعامة أساسية لنهوض مصر المستقبل ونفاطها مع عصرها.

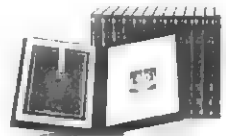
□ □ □

تحذير بطلها المؤلف في مواجهة ضياع الهوية الروحية إذا ما واصل الإنسان سيرة على درب الفهم التقني للعالم، والتي ستقضي به حتما إلى الهلاك.

□ □ □

موسوعة الحديث الشريف

جمع جوامع الأحاديث والآثار
ومكتز الصحاح والسنة والمسنند
إشراف: على جمعة محمد وأحمد محمد
ميدالكريم
لندن جمعية المؤتمر الإسلامي
١٩ جزء، ٢٠٠١



تشمل الموسوعة صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وجامع الرمزي وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه وموطا الإمام مالك. ويستضمن إصدارها الثاني كما يامل الناشر أن جميع الكتب والأجزاء الجديدة المضافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محفلة تحفيقا علميا ومصححة ومقبولة. وتشتمل الموسوعة على فهرس للمصنفين يشرح الألفاظ الغريبة ومجموعة من الفهارس الفنية تصل إلى عشرين فهرسا حول الأسانيد والمقرون. ولول مرة يتم الجمع بين الطباعة والفرص الحديثة بهذه الصورة لاستغلال إمكانات الهائلة للحاسب الآلي في مجال سرعة البحث وتخزين المعلومات. وتمثل موسوعة الحديث أحد أنشطة جمعية المؤتمر الإسلامي التي اشتهت كوفت على جهود تنسيق التراث الإسلامي وصاحته ونشره بكافة الوسائل.

وهي أدق وأصعب نظام لتسريب واسترجاع البيانات القادرة في كتب الحديث النبوي جعلها مصدرا ومرجعا للبحث العلمي الرصين الذي من شأنه فتح الأبواب لعصر جديد في علوم الحديث في ثلاثة مجالات:

في مجال النص حيث يتم مقابلة أهم الطباعات المعتمدة لكل كتاب، وما كان المصنف عليه من المخطوطات خصوصا ما كان قبل القرن السابع للميلاد. وأليات جميع الفرق والأخلاقيات بين هذه النسخ، ثم يتم نسخها هذه الاختلافات والتسريع بينها بالدليل وصولا إلى أقرب نص كتبه المصنف، ثم يتم ضغط النص بأشكال وتصحيحه للوصول إلى نص دقيق خال من الأخطاء الطباعة.

تحتضن لكتاتوليك ضميمه وقاطعها كثير من الزعماء البيروتنسانت جرد انها تجرأت وانفطحت سلوكمهم وموافهم السياسية. وعندها لم يجد بلير مفرًا من نكلها إلى وزارة شئون مجلس الوزراء التي لم تجد نفسها فيها على الإطلاق. فهي سيدة تدب الحركة والتعامل مع الجماهير. لذلك قررت انها سوف تمثّل السياسة من الانخاضات البرلمانية في يونيو الماضي وهو بالفعل ما حدث.

□ □ □

Egypt: Civilization in the Sands
(مصر مسورة في الرمال)
Pauline and Philippe de
Flers
Distributed by the AUC Press.
460PP., I.E. 150



منذ ما قبل التاريخ، امتدت حضارة مصر الفرعونية إلى خارج نطاق وادي النيل ووصلت إلى المناطق التي تحيط بالوادي سواء كان يقطنها البدو أو المزارعون أو جماعات الصيد والقتل. ونزل المصريون في هذه المناطق انزاعا عظيمة مازال الباحثون وعلماء الحضارات يفسقون لاكتشافها.

وهذه الكتاب بطرق باعًا جديدًا نوعًا ما، فهو يتحدث عن اصول غير معروفة للحضارة المصرية. وهي اصول موجودة على حافة الصحراء. والجزء الأول من الكتاب يأخذنا في رحلة عبر عبيد من الواحات تمتد من الشمال للمغرب. فمن سيرة البعيدة ذات الملامح الأسطورية إلى الواحات البحرية بغموضها الغامضة العاطلة التي تعبرها البوابة المزدبة للصحراء وأخيرًا الخارجية التي يقول الكتاب بأنها كانت ملهى، كما أنها البوابة الثانية إلى الصحراء.

أما الجزء الثاني من الكتاب، فإنه يتناول ما يصفه ببساطة معادية ومخيفة. وهي الصحراء ذاتها التي تتألف من خليط من الرمال والصحراء، لكن من خلال صور رائعة التقاطها الإنسان لهذه الصحراء المصرية، ويصحبها عن "ألقابها بالمعاصرة الفرعونية. تتشول هذه الصحراء إلى شيء محبب للآثار.

□ □ □

وأعد نفسه لذلك. وبالفعل لم يخف تله: فهد صدر ضده حكم بالسجن لمدة ٥ سنوات وغرامة عشرة آلاف دولار. ثم كان القرار الأشد قسوة والذي اعتبره كثيرون أسوأ من السجن، وهو مصادرة جواز سفر محمد على كلاً. لقد كان على محمد على أن يستألف ضد الحكم بالسجن لكن نزع جواز سفره كان يعني منعه من السفر وتحطيم مستقبله في الملاكمة بعد أن كان قد تم منحه من ممارستها داخل الولايات المتحدة.

وكان رد محمد على على كل ذلك هو... لقد تخلت عن الحق كبتل للعالم في الملاكمة وعن ثروتي وربما عن مسبقلي... إن هناك رجالاً عظما كثيرين سرورا بكل هذه الاختبارات من أجل معتقداتهم الدينية. وأنا واثق أنني سأنجح في هذا الاختبار. وهو بالفعل ما تحقق بعد ذلك.

□ □ □

Mo Mowlam: The Biography
(مومولام سيرة ذاتية)
Julia Langdon
Warner, 2001, 322PP., £ 7.99



تمثل الوزيرة العمالية البريطانية السابفة مومولام التي شغلت منصب وزيرة شئون أيرلندا ثم وزيرة شئون مجلس الوزراء في حكومة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير الأولى حالة خاصة للقباضة بين السياسيين البريطانيين خاصة من حزب العمال.

مومولام كانت لديها شعبية كاسدة بين صفوف أعضاء حزب العمال وبين المواطنين المحافظين لكنها لم تكن تتختم بمثل تلك الشعبية بين موافقي الحكومة خاصة الكبار منهم الذين يظنون في مصلحتهم بينما تدبر الحكومات وتنتاب. وهذا كان أحد اسباب مازق مومولام. الأمر الآخر الذي لم تكن سياسية ما بدوامها قد فطنت منذ سنوات طويلة من حياتها السياسية في المعارضة، لذلك عندما وصلت للوزارة عام ١٩٩٧ مع وصول العمال للحكم لأول مرة منذ ١٩ عاماً وقعت في مشاكل كثيرة بسبب صراحتها وجراحتها في العاراية. الأمر الذي جلب عليها انتقادات شديدة خاصة من العاملين داخل وزارتها. واتهموها البيروتنسانت في إيرلندا الشمالية بأنها

(عظم معارك محمد على كاسيسوس كلاً ضد الولايات المتحدة الأمريكية)
Howard L. Bingham and
Max wallace
Robsons Books, 2001, £16.95



يتحدث الكتاب عن معركة من معارك الأسطوري محمد على كلاً. هذه المعركة لم تكن داخل حلبة الملاكمة مثل معاركه الأخرى. لكنها كانت أمام ساحات المحاكم وضد السلطات الأمريكية ذاتها. لقد رفض محمد على في عام ١٩٦٦ أن يقدم للخدمة العسكرية للقتال في فيتنام. فإلّا لن ضميره لا يسمح له بفعل أناس لا يعرفهم ولم يتعرفوا له بأي شيء، ثم إنه لا يعرف حتى أين تقع فيتنام.

هذا الموقف غير العادي من جانب ملاكم أسود اعتنق الإسلام وكان قد بدأ يسير على طريق التجومية والشهرة. حرك الجميع ضد كلاً. ووجد محمد على نفسه معزولاً. حيث لم تظف أي وسيلة لإعلام تقريباً منه. وكما كتب محمد على بعد ذلك بسنوات. فإنه لم يكن يعرف كيف يواجه الموقف الذي أصبح من خلاله عدواً للمؤسسين السياسية والرياضية في أمريكا. لكن النصر الممنوع ل محمد على جاء عن طريق دعاية الحقوق المدنية الأمريكية مارتن لوتر كنج الذي امتدح شجاعة محمد على قلاً: لقد ألق من الشهرة وتخلي عن ملايين الدولارات من أجل أن يبق الموقف الذي يحتمه عليه ضميره.

وفي ٨ مايو ١٩٦٦ تم توجيه الاتهام إلى محمد على من جانب هيئة محلفين في هيوستن وكان عهدهم ٢١ محلفاً بينهم أسود واحد فقط. وخلال فترة محاكمته التي استمرت لثلاثة أشهر يونيو سوست ضغوط شديدة على الملاكم الشهير الذي رد على ذلك قلاً: في حلبة الملاكمة اتطلع للوؤ في معركة نظيفة، أما في الحرب فإن الوؤ هو القتل. واستمرار قتل أناس أبرياء، لقد قيل إن أسامي بدلين السجن أو الذئاب الوحشية، لكنني أقول إن هناك بديلاً للقتل وهو العدالة التي لو سادت لآن يكون هناك سجن أو انضمام للجيش.

وكان محمد على في أعناق نفسه يتوغل أن يصدر ضده حكم بالسجن

Peace Makers: The Paris Conference of 1919 and its Attempt to end War
(صناع السلام... مؤتمر باريس ١٩١٩ ومحاولة إنهاء الحرب)
Margaret Macmillan
J. Murray, 2001, 574PP., £ 25.00

ربما لم يخط مؤتمر عالمي بالانتماء والدراسة من جانب المؤرخين كما خطى مؤتمر لفرساي في باريس عام ١٩١٩ الذي انعقد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تحت شعار صنع السلام في العالم.

والهبة هذا الكتاب أنه يصور ربما بتفاصيل أكثر من اللازم الطموحات شديدة الخيال التي سبقت انعقاد المؤتمر. لم النتائج التي خرج بها والتي يعتبرها بعض المؤرخين من بين الأسباب غير المباشرة لتداعى الحرب العالمية الثانية، بل هناك من يقول إن ما حدث في الشرق الأوسط حالياً وما حدث في جنوب أوروبا خلال عهد التسعينيات من القرن الماضي يعتبر من نتائج ذلك المؤتمر.

أسد الرئيس الأمريكي ورو ويلسون إلى المؤتمر برؤية طوباوية لعالم جديد يسوده السلام ويجري من ضلال إعلاء الشعوب المهورة حق تقرير المصير.

لكن مدونات المؤتمر كانت مختلفة تماماً عن تلك الأحلام. لقد أصرت فرنسا على روح الانتقام من ألمانيا والتي اعتبرت بدورها أن ما يحاول المؤتمر فرضه عليها أن يؤدي إلى السلام. بل سيكون مجرد هدنة ستعمل من خلالها أن تستعيد ما فقدته من أراضي وكرامة لفرنسا. ورغم محاولات البريطانيين والأمريكيين إقناع فرنسا بالتراجع عن بعض شروطها التعجيزية ضد ألمانيا إلا أنها أصرت لينتهي المؤتمر. وقد خسر فيه ألمانيا كرامتها. لم جزأ من سيادتها. وفي الوقت نفسه لم يعر المؤتمر اهتماماً كبيراً لطلبات الدول المهورة والواصة تحت الحماية البريطانية والحماية الفرنسية. بل إن الرئيس الأمريكي نفسه ألتفت بوجهه نظر بريطانيا مثلاً فيما يتعلق باحتلالها لصر.

وهي الفكرة الطموحة لويلسون بإنشاء عصبة الأمم لم تحظ بموافقة كنجوديس الأمريكي. كما أنها جعلت منذ بدايتها بطور ضمني، كما كانت متدنية للول القوي. ولذلك لم تستطع أن تفعل شيئاً عندما غزت إيطاليا الحبشة وقتل العالم فينچير على وجهيه جيش موسوليني ضد الأحباش.

□ □ □

Muhammad Ali's Greatest Fight: Cassius Clay vs the United States of America

العثماني: جنود المذهبية

Bruce Masters

Cambridge U.P. 2001. 240pp. £ 35.55

يبحث المؤلف تاريخ المسيحيين واليهود في الإمبراطورية العثمانية من الإمبراطورية العثمانية. وكيفية تطور هويتهم كخبر مسلمين عبر أجيالهم عام. ففي بداية هذه الحياة في القرن السادس عشر كان المجتمع تحكمه الهوية الدينية بحيث عاش غير المسلمين داخل هيراركية تقويمها الشريعة الإسلامية. أما في القرن التاسع عشر وتحديداً مع التنشيطات الغربية فقد دخل تحول جذري. إذ قام صراع بين المسلمين والمسيحيين في مختلف أرجاء الإمبراطورية متشعباً للهيراركية التقليدية. ذلك الصراع هو الذي حدد مفاهيم التنشيط في الخطاب القومي والديني الذي ساد في الدول العربية التي تأسست على أنماط الإمبراطورية بعد الاستقلال.

A History of Inner Asia

David S. Sneath

Cambridge, 2000. 848pp. £ 16.95 (pb)

مقدمة قصيرة وسيرة في تاريخ آسيا الداخلية أو آسيا الوسطى. فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتي وانفككت عام ١٩٩١ تجدد الاهتمام بكل الجمهوريات التي انبثقت عنه، والتي تشكل قضايا سياسية ودينية واقتصادية وثقافية مختلفة. هذا الكتاب يروي تاريخ السبعين بول التي تحرف اليوم بأوزبكستان وكازاخستان وكيرغيزستان وطاجيكستان وتركمانستان ومنغوليا وسيتكاينج. وذلك منذ أن دخلها الإسلام عبر مختلف سلالات الحكم التي تعاقبت عليها. وإلى أن تعرضت للغزو الروسي. الكتاب يحتوي على خرائط وجداول زمنية توضيحية.

The War for Palestine: Rewriting the History of 1948

Avi Shlaim, Eugen Rogan (editors)

Edward Said (afterword)

Cambridge, 2001. 256pp. £13.95

مجموعة من كبار الحائزين يتعمقون لتوجهات متباينة يقدم كل منهم إعادة نظر في تاريخ حرب ١٩٤٨. محققين على مصادر تاريخية لولبية في محاولة لتقديم رؤى وشعيرات مغايرة لهذه اللحظة المهمة من تاريخ المنطقة. ففي سبيل المثال يشارك رشيد خالدي بفعل عن أسباب فشل الفلسطينيين في عام ١٩٤٨. ويتبنى بني موريس عن الخروج الفلسطيني عام ١٩٤٨. ثم تكتب أليسا بار-سوزن عن علاقته النرويج بمولد إسرائيل. ويشارك تشارلز تريب كيف عن العراق وحرب ١٩٤٨. كل كانت مرة عاكسة لإضطراب النظام الحزالي في ذلك الوقت. ويكتب فوسن جرجس عن موقف مصر من حرب ١٩٤٨ بين الصراع الداخلي وطوقها الإقليمي.

تاريخ السلطان في أواخر العهد العثماني

عادل مناع

بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠١

يعالج هذا الكتاب تاريخ فلسطين خلال المرحلة الانتقالية منذ وفاة السلطان العثماني سليم الثاني حتى أواخر القرن السابع عشر ثم في مراحل التوسع الأوروبي والانحلال في النظام الاقتصادي الحالي. ويتابع الكتاب في تلك المراحل التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لفلسطين.

جماعة الأهلالي، منشؤها، صحتها، دورها في السياسة العراقية

منظر عبد الله الأمين

عمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١

هذا الكتاب في الأصل دراسة جامعية نال بها المؤلف درجة الماجستير عام ١٩٩٩ من جامعة مراهام البريطانية. وهي تبحث في نشأة جماعة الأهلالي بين عامي ١٩٣٢ و١٩٤٦. وهذه الجماعة لم تكن حزبية سياسياً بل بالعلماء الذين ولما نجحوا لأراد ذوي آراء وسبل وانجبايات متشابهة يجتمعون ما اتفقوا على تسميته بالديمقراطية الاجتماعية أو الاجتماعية والديمقراطية. وقد فاعل في الفصل ضد المحتل البريطاني وسلطة الانتداب.

بروتوس مزال حنا

مركز دار الادي ٢٠٠١

يحلل المؤلف ظاهرة الاستغبيالات السياسية تاريخياً ويحدد أمثلة على وجودها منذ بدء الخليقة ويشهدتها جميع الحضارات من يونانية وبابلية وفرعونية وغيرها مصحراً استغبيالاتها الفكرية والاجتماعية. ويقدم أشهر عمليات الإغتيال في العالم.

دستور في صندوق القمامة

صلاح عيسى

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠١

يشرح المؤلف قصة دستور ١٩٥٤ الذي اعتمده ثورة يوليو ١٩٥٢ والقانون السياسي التي أدت إلى نجاحه بعد إعداده. ويضمن الكتاب وثيقة مسودة للدستور عثر عليها المؤلف في سال وثائق مهمة، وهو ما يركز عليه المستشار عوض المر رئيس المحكمة الدستورية العليا السابق في تقديمه للكتاب.

Christians and Jews in the Ottoman Arab World. The Roots of Sectarianism

(المسيحيون واليهود في العالم العربي)

وفي ختام الكتاب يقدم إدوارد سعيد مقالاً عن نتائج تلك الحرب الفاسدة.

A Broken Trust: Herbert Samuel, Zionism and the Palestinians

(هيربرت سمونيل والصهيونية والنسطينيون)

Sahar Huneidi

Foreword by Walid Khalidi

I.B. Tauris. 2000. 348pp

شغل هيربرت سمونيل منصب أول مندوب سامي بريطاني في فلسطين في الفترة بين ١٩٢٠ و١٩٢٥ أثناء وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وهو يعتبر إلهاماً خالصاً ليهود بعدد من الزناتين يشغل مثل هذا المنصب الرفيع في تاريخ الحكومة البريطانية. وفي خصوصية الصراع الصهيوني الفلسطيني اعتبر المؤرخون البريطانيون التلميذون أن موقف هيربرت سمونيل كان حديداً وبغير منحنى في إدارة هذا الصراع ولكن في هذه الدراسة الوثائقية تؤكد سحر هنيدي عكس هذا المفهوم. وتبين أن كل الإجراءات السياسية والاقتصادية والأمنية التي اتخذها سمونيل أثناء حكمه لفلسطين كانت مصممة على تهنيئ الوضع للقيام دولة يهودية كاملة في أرض فلسطين.

قراءات

الطبقات الكبرى لابن سعد

تحقيق على عمر

القاهرة مكتبة الفخاني، ٢٠٠١

أول طبعة كاملة للكتاب في ١١ جزءاً لواصل من أبرز مؤرخي القرن الثالث الهجري الذي جاب حواضر عديدة يعكس العلم من شيوخها فزاد الكوفة ومكة المكرمة والمدنية المنورة، وألف الطبقات الكبير والطبقات الصغير وكتاب التاريخ وكتاب الحيل وهو يخص خصص قسمين من كتابه لسيرة الرسول ﷺ ولسمه الأخير للنساء. أما باقي الأجزاء فلصحابة والتابعين.

الموسوي

عزيز الحنفية

بيروت رياض الريس للنشر، ٢٠٠١

يضم الكتاب ستة أقسام تدور جميعها حول حياة هذا العالم العراقي الذي نرس على بعض كبار عصره كطاهر بن واثق بن الربيع واثق بن الربيع، وقد ترك كتابين شهيرين هما "مروج الذهب" و"معادن الجواهر" وكتاب التنبؤ والإشراف، والمؤلف يقدمه بوصفه مثلاً لعالم عصره وقربه للعالم.

تربية وتعليم

The Art of Teaching Reading

(فن تعليم القراءة)

Lucy McCormick Calkins

Peter Cunningham (Photographer)

Longman, 2000. 580. \$ 36.00

مرجع مفيد للمدرسين والمعلمين. يقدم مجموعة كبيرة من مبادئ وطرق تدريس الأفراد في الفصول الدراسية، ويستعين بأدلة عملية عديدة، مؤلفة الكتاب أساذ المدرسات والتدريس في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا، ولها سلسلة من الكتب الشهيرة في هذا المجال.

Thinking Skills and Early Childhood Education

(مهارات التفكير والتعلم في الطفولة)

Patrick Costello

David Fulton Pub., 2000. 160pp., £16.00

يقدم المؤلف أهداف التعليم في الطفولة المبكرة ويركز على تنمية المهارات الفكرية، وخاصة التفكير النقدي والقدرة على المناقشة. ثم يتحدث عن الطرق التي يمكن للمدرسين أن يستخدموها لتربية هذه المهارات في الأطفال من خلال تدريس قضايا شخصية واجتماعية واخلاقية للأطفال الصغار.

خرائط

Cairo Maps The Practical Guide

(خرائط القاهرة ٢٠٠٢: دليل العملي)

The American University in Cairo Press,

2001. 522p. L.E 20

الطبعة الثالثة بعد المراجعة من الكتاب الذي تنشره الجامعة الأمريكية في القاهرة والذي يحتوي على مجموعة من الخرائط التي توضح أهم أحياء وشوارع القاهرة. تحتوي هذه الطبعة على سبع وللاين خريطة ولهرس بأسماء الشوارع ومواقعها ولهرس بمواقع أهم الوزارات والمكاتب الحكومية ومحطات مترو الأنفاق ولعامات الفنون والمراكز الثقافية والسفارات وبعض الأندية الرياضية والمستشفيات والحدائق. أما الخرائط نفسها فمقسمة حسب الأحياء ومبين عليها أسماء الشوارع وتضم أحياء وسط المدينة والعشبة والمشارف الإسلامية والأزمالك والمهندسين والدقي وجوارق سيتي والمنيل والجيزة والمعادى ومصر الجديدة ومدينة نصر وشبراخية والعباسية ورعيس.

رواية وأدب

إيجيبت

عبد السلام العجيلي

بيروت رياض الريس للنشر، ٢٠٠١

رواية جديدة تعكس قصة شاب عربي يزور نفسها للمرة الأولى ويتلقى بالقدرة التي يراها إيجيبت، ومن خلالها يتعرف على عقلية المرأة الأوروبية وانتمائها لها وطرقها في التعبير عن ذاتها. ويلتزم بين موروثة الثقافة والمعاصرة والإنساني، وما تشير عنه هذه القصة.

Frantz Fanon: A Biography
(فرانتز فانون: سيرة حياة)
David Macey
New York: Picador, 2001. 640pp.
\$ 40.00

شكلت كتابات فرانتز فانون نضج الفوان في أبناء العالم الثالث في صراعهم ضد الاستعمار الأوروبي، والسود في مقاربتهم للاستعمار العنصري في عقود الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن العشرين. ولم يكن كتاب فانون الأشهر «البلصون في الأرض» مرجعاً للشعارات الثورية فحسب، ولكنه كان بمثابة دليل عملي لكل ثائر. يعينه على التخلص من العجز إزاء المستعبدين الأقوياء وتزود بالمشجعات والثقة بالقدرة على التحرر من خلال استخدام العنف المسلح. وهذا الكتاب يقدم ترجمة لحياة فانون القصيرة - حيث توفي بعمر بضعة أشهر - وهو يعد في الأساسه والتلازمين فيكون على طاقته وتعليمه وعمله كطبيب نفسي لم الفترة الكبيرة التي أمضاها في الجزائر وتونس، حيث لعب دوراً بارزاً في المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي. وكان تقريباً المتحدث باسم الثورة الجزائرية.

تأليف من

عنان الصالح

السود: دار الشافى. ٢٠٠١

ديوان يضم ٧٦ قصيدة تعتمد على التكليف والتضاد والخطات الشعرية الضيقة حاجتها المثلث والوطن والعزف على الوتر الغريب ومومها والعنيد الدائم للوطن.

تتمه كنز لها

حسين وحسن خليفة

بيروت: دار الباندي، ٢٠٠١

ديوان واحد لأخوين تواسين وهي التجربة الذاتية لهما بعد ديوانهما الأول لأخوين بكتان الشعر برون وثقة ومشاعر متطابقة. تستند في مجملها إلى معرفته فقهية أساسية ويأبى في علوم القرن والتراث البلاغي والشعبي.

مخاطلة وسهاسة، سورية في القرن العشرين
نصوح بايبل
بيروت: دار رياض الريس، ٢٠٠١
يسرد المؤلف أحداثاً عاشها - بوصفه صحافياً وكاتباً سياسياً - كانت لها آثارها في التاريخ السوري المعاصر، بعضها مثل انعطافات مهمة في مسار سورية مثل الانقلابات العسكرية. برؤية مراب وتابع للحدث من داخله.

الانتفاضة الباسلة داخل هذا الصراع، لكن الرؤية الأمل كما تقدمها الدراسات تعطي أهمية أكبر للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي، وتخصص إحدى الدراسات بسمكان فلسطين وإمكانات تطوير الانتفاضة وتحزيم مكاسبها، فيما تركز دراسة ثالثة على المجتمع الإسرائيلي بتكوينه الديموجرافي ومواقفه العدائية وتعاقبه النوعية.

Globalization and the Politics of Development in the Middle East
(العولمة وسياسات التنمية في الشرق الأوسط)
Clement M. Henry and Robert Springborg
Cambridge U.p. 2001. 246PP. £12.95

يبعث المؤلفان موفد الدول المختلفة في الشرق الأوسط من التهديدات والفرص التي تقدمها قوى العولمة في العالم المعاصر. ويتم التناول من خلال تحليل الهيكل الحكومي وهيكل المجتمع المدني والنظم المالية في البلاد التي يتم دراستها. ويتوصل المؤلفان إلى حكم عام مفهومة أن هناك علاقة ارتباط إيجابية بين الإداء الاقتصادي وعمليات التحول نحو الديمقراطية، بمعنى أنه كلما كانت سياسة الدولة ليبرالية، كلما كان اقتصادها أكثر فعالية في تجاوزه مع العولمة.

في الخيمة الأخرى... صفحات من الذاكرة
طلال ناجي
بيروت: دار الزوا، ٢٠٠١

فصول من مذكرات نائب الأمين العام للجنة الشعبية لتحرير فلسطين يبدوها من الطفولة حيث شهد الإزهاضات الأولى لاغتصاب الأرض وانتهاك الحقوق الفلسطينية وخريب العيان وتحصيل الشعب الفلسطيني إلى لاجئ خارج لرضه أو غريب فوقها، ثم بوصفها بالانتماءات المهمة من أيلول الأسود في الأردن والحرب الأهلية اللبنانية وعمليات اجتياح بيروت، عارضا للعلاقات مع الأنظمة العربية والخلافات بين التنظيمات الثورية ذاتها.

ماري عجمي

ميشال جبرا

بيروت: رياض الريس للنشر، ٢٠٠١

كتاب عن الولادة المسائية التي ساهمت في التطبيقية بمشقوق المرأة في التسليم والعمل ضمن قواعد الأخلاق الفاضلة، يتناول الكتاب مسيرة حياتها ومعاركها ونجاحاتها ونضالها ضمن كوكبة أخرى من المناضلات السوريات وإن برزت من ماري بوصفها أدبية صاحبة أسلوب رفيع.

تأبيل السالبة. فهي تحتوي على مزيج من السيرة الذاتية والفصلية في مجال البحث داخل المواقف المتخلفة والشخصيات المحطمة لهذه الأبرار الذين نشأوا في مستعمرات بريطانيا ثالثة ثم سافروا لتلقي العلم في العاصمة البريطانية في مرحلة ما بعد النحر من الاستعمار.

استراتيجية العولمة

روبرت غروس

تأليف: إبراهيم يحيى الشواي

الرياض: مكتبة الفيل، ٢٠٠١

يلهم الكاتب سبلاً للتعايش مع العولمة بوصفها تحدياً عن مرحلة تاريخية من تطور البشرية، محاولاً إظهار النتائج الإيجابية والسلبية وما تواجه الشركات العالمية من تحديات تنافسية كبرى، ويعرض كتاب ضمن مساهمة العام للدراسات الاقتصادية في المنطقة الآسيوية وإثراء على العالم وأربط ما جرى بالعولمة.

الأسطورة والصحة والانتفاضة

الطليطونية

كسند ياسين

القاهرة: ميريت للنشر والمطبع، ٢٠٠١

يهدف الكتاب إلى تحليل أشكال الخطاب الصهيوني وتقديمه ككتاب ما يشتمل من أكاذيب وتلفيق، وهو يحل ضمن فصول الكتاب شهادات لطلين عرب حول رؤيتهم لاستقلال الصراع، وبين هؤلاء عبد الوهاب السبيري، ولحمد صديقي الدجاني، ومحمد عيسى، وفادي حلي، ومحمد السيد سعيد، وعلى أوليل، ومحمد مرعي، والصادق المهدي، وغيرهم.

الظهور الثوري في الشرق الأوسط

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١

يضم الكتاب أعمال الثورة التي تنظمها مركز دراسات المستقبل بجامعة أمبوط. وهو يتضمن مساهمات علماء باحثين وخبراء في هذا المجال، وقد انصبت الجهود أساساً على دعم مبادرات لإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل وفرض عقوبات على الدول التي ترفض الانضمام إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وإخضاع منشآتها للتفتيش.

عشية الانتفاضة

فيس عبد الكريم

تيسير خالد

صالح زبدان

بيروت: شركة فنند العربي للسماعة ونشر، ٢٠٠١

دراسة تحليلية للملك الشرق لوسطى وأزمته الكبرى، القضية الفلسطينية، والصراع على الأرض المحتلة وموقع

الخطوة الملكية

أنطوان الدويهي

بيروت: دار الفكر، ٢٠٠١

نص جديد مؤلف بعد أربعة نموص سابقة في كتاب الحالة وحديقة العجز ورتبة الضباب، وهو في محتفه يسبح في أجواء العنيد إلى الجور والأصول وأهلاً مغربات الهجر والقياب والغربة.

بروق الضباب

على عبد الله سعيد

دمشق: دار آرام، ٢٠٠١

يمسح المؤلف إلى تفكيك الخلفة الرافعة والانتقال بمساراً متتابعاً اضطرابه الذي يشي باضطراب العصر كله، ويبدأ هو مجرد شاهد ومرآة لحيات تنهار منذ موت الأب في واحدة من المربوب الفاسرة.

حياة (٩٩ قصة قصيرة جداً)

حياة أبو غانم

بيروت: رياض الريس للنشر

مجموعه قصصية ترصد حياة امراه منذ الطفولة وحتى النضج عبر ٩٩ قصة قصيرة جداً لتتجلى كبرها العشرة اسطر، وهي تصف شبيه المذات تبدأ من طفولة المؤلف برونها وسدا جنتها إلى الرافعة لالنضج وانعكاس الأحداث الجسم مثل الحرب الأهلية في لبنان على الصبية في كل مرحلة.

متواليات باي سة

سعيد بكر

القاهرة: دار الهلال، ٢٠٠١

إبداع مؤلف البطل أو المحدثه محورا لبراعه مشاهد أو متوالياته، ليرسم عالماً قصصياً ثرياً بالتحليلات النفسية والاجتماعية، وإبطاله متطابقين يتصرفون بحرية وجرأة وإثبات بتدبيرهم ويرصد سلوكهم بجدية أقرب إلى السجالية التي هي من صنعه في نهاية المطاف.

نصف هن

سجلا غلام

رواية صيرة تعتمد على جملة سرية صيرة تعتمد أساساً على أسلوب استعادة الماضي أو الفلاش باك، وتجرى بنا في أجواء معاصرة لأحداث سياسية عربية مؤثرة مثل الغزو العراقي للكويت وآثار الانطفائية الهائلة على الأوضاع في الضفة.

نصف هن

سجلا غلام

رواية صيرة تعتمد على جملة سرية صيرة تعتمد أساساً على أسلوب استعادة الماضي أو الفلاش باك، وتجرى بنا في أجواء معاصرة لأحداث سياسية عربية مؤثرة مثل الغزو العراقي للكويت وآثار الانطفائية الهائلة على الأوضاع في الضفة.

نصف هن

سجلا غلام

رواية صيرة تعتمد على جملة سرية صيرة تعتمد أساساً على أسلوب استعادة الماضي أو الفلاش باك، وتجرى بنا في أجواء معاصرة لأحداث سياسية عربية مؤثرة مثل الغزو العراقي للكويت وآثار الانطفائية الهائلة على الأوضاع في الضفة.

نصف هن

سجلا غلام

رواية صيرة تعتمد على جملة سرية صيرة تعتمد أساساً على أسلوب استعادة الماضي أو الفلاش باك، وتجرى بنا في أجواء معاصرة لأحداث سياسية عربية مؤثرة مثل الغزو العراقي للكويت وآثار الانطفائية الهائلة على الأوضاع في الضفة.

نصف هن

سجلا غلام

رواية صيرة تعتمد على جملة سرية صيرة تعتمد أساساً على أسلوب استعادة الماضي أو الفلاش باك، وتجرى بنا في أجواء معاصرة لأحداث سياسية عربية مؤثرة مثل الغزو العراقي للكويت وآثار الانطفائية الهائلة على الأوضاع في الضفة.

مدخل إلى الإخراج الصحفي
سيد القويص النجار

القاهرة دار المصرية اللبنانية ٢٠٠١
يدرس المؤلف التخصصية الإخراجية للصحف الصادرة في مصر واستخدامها للمناصر الطوبى عرافية تأكيد أسلوبها المميز خصوصاً ما بعد ما دخلت الصحف المصرية عصر التكنولوجيا الرقمية ما أتاح أمام المخرجين الصحفيين مجالات عديدة ومتنوعة للمناصر الجرافيكية. ويسد الكتاب ثغرة مهمة في مجال الدراسات الإعلامية.

تسليم وعلم

الحجامة الحديثة

فيلينا عبد الله
ترجمة محمد كبرى النور
القاهرة مكتبة بدر ٢٠٠١
يعرف الناس في منطقة الخليج عرافية الحجامة في العلاج، والتي تعتمد على شطف الدم الفاسد من مواضع معينة في الجسم لتخليص الجسم منه. لكن المؤلف تنصح في «حجائتها الحديثة» بضرورة التحرف على نقاط الوخز وعلى الخطوط العصبية، وموضع مرور هذه الخطوط في كل أجزاء جسمنا.

القولون العصبي مرض العصر
حسن تقي منصور

القاهرة دار الفرقان
٢٥ صفحة يقدمها المؤلف للوقاية من أمراض القولون التي يشكو منها ملايين البشر والتي تعود في معظمها إلى أسباب نفسية وعصبية، والمؤلف طبيب متخصص يقدم نصائحاً ليس فقط لتخفيف الأعراض والوقاية التي هي خير من العلاج، ولكن أيضاً لطرق العلاج وأهم الوصفات الطبيعية، وكذلك الاعتناء إلى تغذية في علاج أمراض القولون والجهاز الهضمي والأمعاء وغيرها.

تكنولوجيا السكر والحلوى

إبراهيم محمد حسن
القاهرة دار الفكر ٢٠٠١
يتناول المؤلف كبير أربعة أبواب موضوعات تتعلق جديداً بصناعة السكر وإنتاج الشكولاتة والمواد الغامضة المستخدمة في صناعة الحلوى وأحدث التكنولوجيا التي دخلت إلى هذه الصناعة التي تبلغ استثماراتها في مصر أكثر من ٤,٥ مليار جنيه ويعمل بها أكثر من ٣٠٠ ألف مواطن.

The Mysteries Within: A Surgeon Reflects on Medical Myths

(الأسرار التي في الداخل: أفكار جراح عن خرافات الطب)
Sherwan Nuland
Simon & Schuster, 2000, 286PP., \$ 24 00
المؤلف جراح مخضرم وصاحب

مؤلفات عديدة تعزج ما بين الطب والعلم والثقافة والتاريخ، وفي هذا الكتاب يروي لنا نيولاند كيف أن الخيال الشعبي في القدم كان يتخمس أعضاء الجسم مثل القلب والمعدة والطحال والكبد، وكان لكل عضو من هذه الأعضاء شخصية مستقلة. ومن خلال قراءته للتاريخ الطبي الغربي يبين لنا نيولاند كيف أثرت هذه الخرافات على النظريات الطبية مدة طويلة من الزمن.

فكر

الشعر والفكر: أدونيس نموذجاً

وائل نحاس
القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١
يطمح المؤلف إعادة قراءة إنتاج أدونيس الشعري الذي تميز بارتباطه الواضح بالسياحات الفكرية والفلسفية، وهذه هي أول دراسة فلسفية عن شعرية أدونيس الفكرية وإنجاز الشعري.

القرب والإسلام

رسول محمد رسول
عمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١

عن نظرة القرب الحديثة للإسلام وهي النظرة التي بدأت تشيع مع انتشار مقولة صمويل هانتنغتون عن صراع الحضارات، المؤلف يحلل هذه العلاقة وجسدها التاريخي وكيفية تعديليها لخدمة الإنسانية والإنسان.

معلم وطرابلس

سيد اللاوندي
القاهرة دار إبي مصر، ٢٠٠١
يلقي المؤلف أضواء على عدد من كبار المفكرين والأدباء المصريين الذين عاينوا في باريس، حيث التقى بعدد من أصدقاؤه ومعارفهم وكثيرين ممن اعتبروا منهم وتعرف على الأمان التي كانوا يرتادونها وكيف كان وقع الحضارة الغربية عليهم. من هؤلاء الأسماء محمد عبده، والقليوبية السنهوري عبد الرزاق السنهوري، وتوفيق الحكيم، وسلامة موسى، وشجعت حرب، ومصطفى كامل، وآخرون.

لغة التلاوة

مصطفى الشنار
القاهرة دار لقاء، ٢٠٠١
لا تتفصل اللغة السائدة في مجتمع ما عن أبعادها الإنتاجية والتوجهات السائدة فيه ذات الطبيعة التقدمية أو الأصولية، وهو ما يمنع هذه الثقافة لنفسه ما، تقود المجتمع نحو مزيد من التقدم والرفاهية والتعاطي مع معطيات العصر أو تفرق به الفجاري. هذا بعض ما يناشئه المؤلف في كتابه.

مشارك من أجل الأنسنة إلى المسيحية الإسلامية

محمد أركون
تعرير ماسم صالح
بيروت دار الساقي، ٢٠٠١
يتحدث المؤلف عن أسباب ظهور الفكر الفلسفي العقلاني في الساحة الإسلامية منذ انهيار الحضارة الإسلامية في القرن الثالث عشر، ويسلط المؤلف الضوء على وجود ثيار تنويري ذي صبغ إنساني في الفكرين الثالث والرابع للهجرة بشكل خاص تتناول بلوغ مع التيارات الفلسفية فأفاد منها وأضاف إليها.

يا قلب لا تهرن

عمري المسكري
القاهرة دار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١
مجموعة من القصائد التي نشرها المؤلف في عدة صحف ودوريات مصرية وبعضها يتناول أعمالاً نقدية لأعمال عدد من الأدباء مثل ماركيز وهاجر بن جلون ومحمد أبو دوة وأخريه شديد والطاهر وطاهر وآخرون.

فكر ديني

أحكام تارة بين الاجتهاد والتقليد

شيباء الصراف
باريس دار الفكر، ٢٠٠١
تتأثر المؤلف بين الشريعة والفقه والقانون والاجتماع في تناول كل منها لقضية المرأة، وهي تنتهي إلى أن على المرأة دوراً بالغ الأهمية في تأكيد ذاتها بحثاً عن حوافها بين اجتهادات هؤلاء جميعاً.

أصول الصائفة المتألفين، ومعتقداتهم

الدينونة
عزيز سيامي
دمشق دار المدى، ٢٠٠١
هذه هي الدراسة الأولى باللغة العربية عن هذه الجماعة (الطائفة) التي نشأت في وادي الرافدين قبل ظهور المسيحية، والمؤلف يبحث في أصول هذه الجماعة وأثرها وعلاقتها بجيرانها في فترة وجودها.

الدور التربوي والاجتماعي للمسجد

أسامة من جامعة الأزهر
الرباط منظمة الإيسيسكو، ٢٠٠١
يتناول الكتاب في خمسة فصول مكانة المسجد والأداس التربوية للدعوة الإسلامية في المسجد والأدوار الاجتماعية للمسجد وأثرها في تنمية المجتمع وينتهي بعرض لنماذج من المساجد التي لعبت هذا الدور وبختم الدور الإثارة من المسجد في وقتنا الحاضر لتعنية المجتمع.

هوامن الخلق إلى البحث حسن حامد عطية

القاهرة دار الفيل، ٢٠٠١
دراسة في النصوص الدينية للقصة عن الإنسان وتطوره وقصة خلق هوامن والإنشائات بين الحكى والخوارق من ناحية والقصص الديني من ناحية ثانية، والفروق كذلك في المفاهيم حول المرأة في الديانات السماوية الكبرى.

خالد وعمر

كلارك كليل
ترجمة محمد جدي

دمشق دار قسم النشر والنزوح، ٢٠٠١
رسالة دكتوراه حصل بها الباحث على الدرجة من جامعة برلين الحرة عام ١٩٩٨، ويضم ثمانية فصول تقدم سيرة موجزة لخالد بن الوليد والعلاقة بينه وبين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومواقف لفرار بينهما، والكتاب يسعى أو إعادة فهم لبعض القضايا التي تناولت العلاقة بين الصحابييين الجليلين.

Rebellion and Violence in Islamic Law

(التمرد والعنف في الشريعة الإسلامية)

Khaldun Abu El Fadl
Cambridge Up, 2001, 400PP, £45.00
دراسة منظمة تتناول قضية المقاومة السياسية والثورة في الشريعة الإسلامية منذ القرن الثامن الميلادي وحتى القرن الثامن الميلادي.

تتناول الدراسة أيضاً الأحكام القضائية والشريعة التي عارضت أو أيدت الأساليب التي استخدمها الدول من التجلب إلى سرقة والمغتصاب... إلخ.

Commanding Right and Forbidding Wrong in Islamic Thought

(الأسر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي)

Michael Cook
Cambridge Up, 2001, 720PP, £55.00
يقدم مايكل كوك أحد أبرز المتخصصين في الدراسات الإسلامية في الغرب، وفي هذا الكتاب الطويل يتصدى كوك لفرق بين مسألة واحدة فقط هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليبحث حول هذا المفهوم عبر التاريخ الإسلامي وعبر الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة، كما يسعى أيضاً إلى كشف العلاقة بين هذا المفهوم وبين الإيديولوجيات الإسلامية المعاصرة والتي تحكم سياسات الجماعات الإسلامية المختلفة.

فنون

أنساب الأدباء الصليبيين

مذكور ثابت
القاهرة هيئة الكتاب، مكتبة الأسرة
ديوس طبعة في فن كتابة الصليبيين،

السلحاح البيولوجي

Biohazard: The Chilling Story of The Largest Covert Biological Weapons Program in the World-Told From Inside by the Man who Ran it

(القصة المزعمة لأكثر برنامج تسليح بيولوجي سري في العالم - يرويها الرجل الذي يديره)

Ken Alibek
Stephen Handelman (Contributor)
Delta. 2000. 320PP., \$13.95

كهن البكت المولود في كازخستان هو أحد أهم العلماء السوفييت وكان قد تولى قيادة البرنامج السوفييتي للأسلحة البيولوجية من عام ١٩٨٨ وحتى عام ١٩٩٢. وفي عام ١٩٩٢ غادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبدأ في إضفاء المعلومات لتطبيقات العسكرية الأمريكية عن برنامج السلاح البيولوجي السوفييتي. وهو الآن يعمل في إدارة الدفاع البيولوجي في الولايات المتحدة.

يصف البكت في مذكراته هذه كيف يكون السلاح البيولوجي أشد فتكاً من القنبلة الهيدروجينية خاصة مع تطبيق الهندسة الوراثية وهندسة الميكروبيات في تطويرها. وهو يكشف عن محاولات روسية لتطوير نوع معين من السلاح البيولوجي يصلح للأغبيات السريعة وأيضاً محاولات تصنيع بيولوجي عن مرض «الإيدز» إلى سلاح بيولوجي. بالإضافة إلى الخصص التي يرويها عن التي جى. بي. التي قامت بقتل الشهود الذين كانوا يقتربون من عمل هذا البرنامج السري.

The Biology of Doom: The History of America's Secret Germ Warfare Project

(تاريخ البرنامج الأمريكي السري للحرب الجرثومية)

Ed Regis
Owl Books. 259PP., \$15.00

استطاع المؤلف أن يحصل على النسخة من وثائق حكومية سرية متعلقة بالمحاولات الأمريكية لبدء الحرب العالمية الثانية في تطوير أساليب الحرب البيولوجية. ويتتبع المؤلف برنامج الأسلحة البيولوجية الأمريكية تاريخياً منذ أن بدأ عام ١٩٤٢ وحتى انتهاء الرئيس تسون عام ١٩٩٢.

بدأ البرنامج الأمريكي في ولاية ماريلاند الأمريكية تطويراً لتجارب الميرفانتين على الأنثراكس وقد واجهوا صعوبات تقنية كبيرة في تحويلها إلى أسلحة. البرنامج كان يوظف حوالي ٥ آلاف باحث وموظف وضابط. وقد اكتشف المؤلف أن البرنامج كان من ضمن مموليه رجل الأعمال صاموئيل برنلمان رئيس شركة سيرام. ومن الحقائق الغريبة التي تكشف عنها أيضاً المؤلف أن البرنامج تضمن إجراء اختبارات بالولوجية على الفئران من القطوعيين الجشع. بالإضافة إلى إجراء تجارب على الأراضي الأمريكية وفي الهواء الطلق.

Anthrax: The Investigation of a Deadly Outbreak

(الأنثراكس: التحقيق في نفثى وباء مميت)

Jeanne Guillemin
University of California Press. 1999.
139PP., \$40.00

يلخص هذا الكتاب بيانات المصادرات الذي وقع في شهر أبريل من عام ١٩٧٩ في مدينة سفيردولوفسك السوفيتية التي تقع في جبال الأورال والذي أدى إلى وفاة أربعة وستين مواطناً. وقد ألقت السلطات وقتها اللوم على بيع لحم مصابة بالأنثراكس في المدينة. ولكن تبينت المؤلف في هذا الكتاب أن السبب وراء الإصابات والوفيات كان إطلاق جرثبات الأنثراكس من موقع عسكري مجاور للمدينة.

في عام ١٩٩٢ اشترك المؤلف مع فريق طبي روسي - أمريكي لتقصي المعلومات عن هذا الحادث. وقد بدأ التحقيق في الملقح الحضية في المدينة لتأليف على هوييت الضحايا التي كانت قد أخذتها التي جى. بي. لم تقدم البحث إلى القاعدة العسكرية كوميونيد ١٩٠. فماذا كانت تقوم به هذه القاعدة العسكرية باستخدام الأنثراكس؟ ما هو ما يحاول الكتاب أن يجيب عنه. ويقوم المؤلف بالإضافة إلى هذا بإجراء مقابلات مع قناحيين والفرار الذين أصبحوا أوصاراً لقرار الأمر الذي يشره الأنثراكس على ضحاياها.

حيث يتضاهي الإبراع والكلمات ربما حلت المصنوع نفسه وإن اختلفت الألفاظ والقضايا. والمؤلف يعرض نماذج شعرية ونثرية قديمة وحديثة كتبها أبناء أفرافه بالغة العربية.

التاريخ والتجربة في القالب لادونيس

زهيدة نرويش جوير
بيروت: دار النهار. ٢٠٠١

مسكارية نقدية تلوزي إبراع النص الأدبي تسمى موفقة بين المنهج الأكاديمي والهنلي والحس الأدبي متعلقة ما يسميه رولان بارت «لغة النص» الذي ينشئ فيه أوتيس الأحداث الدرامية في التاريخ العربي ليكشف ظلامية السلطة وسعوتها المباحة في علاقته بالإنسان العربي.

القيمة والمليار... مساهمة في نظرية الشعر

يوسف سامي يوسف
دمشق: دار كتان. ٢٠٠١

يحاول المؤلف أن يجيب روى نقد الشعر والأدب القديمين في تراثنا العربي من أمثال الجرجاني والبيهاساني وابن طيها. والذين كان لمساهمات دور مهم في إلقاء قرائنا الأدبية وتطورهم. فيما بعد مدراس النقد الحديث عن تنامي الكلمات وجمال البيان.

سيكولوجية الشعر

محمد طاهر
القاهرة: عالم الكتاب. ٢٠٠١

دراسة نقدية في كيفية الاستفادة من علوم النفس ومصطلحاته في التحليل ترجمة خبيب مراد
دمشق: وزارة الثقافة السورية. ٢٠٠١

عرضي لتاريخ دراسة الدراما من أهم الأساليب في القرن التاسع عشر وأرائهم في المسرح والنظريات التي وضعوها لدراسة الدراما والتوسيمها ومواقفهم المثبتية وخلافاتهم مع القناد في قضايا الإبراع.

ملاة عام من الفكر النقدي

سيد المصطفى
دمشق: بزار للنشر. ٢٠٠١

يطرح المؤلف مجموعة من الدراسات النقدية التي كتبها معروف الرصافي وقزهاوي وصغيره وتاريخ الملتقى والفاضل ناصر. وهي أعمال العرب إلى الفلسفي والفكر منها إلى النثري. لكنها في كل الأحوال ترصد تطور مسار هذا الفكر عبر مدى زمني طويل يربط القرنين. وتنقسم صورة لجمل الملة لعام.

مروءة القص

نبيل القاسم
الطائف: على نغمة المؤلف. ٢٠٠١

يعرض المؤلف عدداً من الروايات والمجموعات القصصية الفلسطينية متتبهاً التطور الفني الذي طرأ على الإبراع الفلسطيني في السنوات الأخيرة. وموقع هذا الإبراع في مسيرة الأدب العربي عموماً.

وتلك سعادة التأثير الدرامي في الفيلم مثل التشويق والإثارة والمخافة. وجميعها ألعاب يصوغها المؤلف والمخرج ويختار فيها. ويضم الكتاب حلقاً يشتمل على نماذج استحداث القول لطلاب معهد السينما خلال العام الأخير في جميع التخصصات.

Art, Not Chance: Nine Artist's Diaries (فن وليس صدفة: تسعة فنانين يومياتهم)

Paul Allen (editor)
Calouste Gulbenkian Foundation. 120pp., £ 8.50

قام الناشر ومعه محرر الكتاب بول آلن بتجربة فريدة في هذا الكتاب، حيث وجهوا الدعوة لتسعة من الفنانين (است نساه وللاذ رجال) لكي يكتبوا يوميات أو مذكرات على مدى عدة أشهر تسجل مراحل إنتاجهم لعمل إبداعي ما. من ضمن هؤلاء الفنانين النحات ويتشارف وتطور التي سجل أحداث يوم واحد. والكتاب المسرحي شجاع يستعرض الذي كتب مطابع طويلة حول عدم قدرته على الكتابة. يقول: «كيف يكتب المرء مسرحية؟ وكيف كتب المسرحيات الأخرى؟ لذا اخترت». والمؤلف الموسيقية أيروليان فالت وغيرهم. ويقول الحصر في مقدمته أن الفنانين لم يتعمدوا ككتبة في البحث أو في التحليل لعملية الإبداعية نفسها. حيث إنهم منشغلون بصناعة هذا الإبراع أكثر من التفكير فيه أو حوله.

تاريخ دراسة الدراما

أ. نيكت

ترجمة خبيب مراد

دمشق: وزارة الثقافة السورية. ٢٠٠١

عرضي لتاريخ دراسة الدراما من أهم الأساليب في القرن التاسع عشر وأرائهم في المسرح والنظريات التي وضعوها لدراسة الدراما والتوسيمها ومواقفهم المثبتية وخلافاتهم مع القناد في قضايا الإبراع.

أصنام النظرية وأصنام الحيرة

على حرب

بيروت: المركز الثقافي العربي. ٢٠٠١

يتتبع المؤلف في هذا الكتاب لتأثيرات بيار بوريو عالم الإبراع الفرنسي وتقوم تشومسكي عالم اللسانيات الأمريكي. ولا يتناول نقد المؤلف من انهيارات واضمحلتها بالنظرية والأصولية والإرجعية. كاشفاً عن أوجه خلل هدية في منهجها كما في وجهة نظره بطبيعة الحال.

أطراف أدب أفريقي فيما وراء الصحراء

الهادي البروق الدالي

القاهرة: دار المصرية اللبنانية. ٢٠٠١

دراسة أكاديمية ليبي رافاهة فخر كبيراً بين الأدب الشعبي الليبي والمغربى عن نظيره للوجود في جنوب الصحراء.

العد الرابع وثلاثون. نوفمبر ٢٠٠١

نحو

لماذا أصبح المسلمون

صليداً حلالاً؟

■ فور وقوع الهجوم الانتحاري الذي تعرضت له واشنطن ونيويورك، فاشعل حريق حرب شهد العالم بدايتها ولم يشهد بعد نهايتها. اتجهت الأنظار إلى الشرق الأوسط، وعلى وجه التحديد إلى الشعوب العربية والإسلامية، تبيحت في شأيا الشوارع الضيقة، والفسيخاء الملوثة، والشارع الحافل بالصراعات.. وربما تحت العجايب السافرة، أو وراء الحلي المرسلة والعجور السافرة، عن أسماء وعلامات وتواريخ تدل على الطريق إلى مركزية الهجوم ومديره ومخططة، وهنا وهناك كما اكتشف بعضهم أخيراً، تكمن مستودعات كراهية غليظة، ونفوس مشرعة بشوارع الظلم والارادة، وسخايا حروب ومخاضات مثقلة بالهانة، عمت عنها عيون الغرب، وتعلمت عنها النظم الحاكمة. وما هي أمريكا التي جلست طوال عشرة أعوام منذ نهاية الحرب الباردة متربعة على عرش من الرخاء والهيمنة والقوة العسكرية المخلقة التي لا ينافيها أحد، متحصنة وراء أسوار من العطفة والظفر، تجد نفسها في موقف غريب، تبحث فيه عن الجذور التي أنشبت هذا العنف الوجهه ضدها في بلدات، وتطرح على نفسها وعلى مفكرها وخبرائها سؤالا ملأً لتختص إحدى الجلات في عبارة واحدة هي: لماذا يكرهون أمريكا؟ هل هو الصراع بين الحضارتين كما تبتا منتحنون؟ أم أن له أسباباً غائرة في أعماق الحضارة الإسلامية ككفر ودين أم أنها بعض تجليات العجز الذي منيت به النظم العربية الحاكمة بإخفاها في تطبيق الديمقراطية وتحقيق التقدم الذي شعروا؟ وكان طبيعياً في ضوء هذه التساؤلات أن تتورد، على لسان ببراسكوني مثلاً، أصداة أفكار عنصرية قديمة في تلافيف العقل الأوروبي والغربي مصفاة عامة منذ عصور الاستعمار، تضع شعوب الشرق في مرتبة أدنى، تجعلها غير قادرة على الانتعاش والإنتاج والتطور، وتقلل بحكم قيمها المختلفة، دور في صراعات عالمية غير عقلانية تقضي بها إلى التآكل والانتحار، وقد تبسرات أخرى إلى أن ما ينعم به الغرب، وأمريكا في المقام من رخاء وتقدم ورعاية، هو الذي يثير حقد وكراهية شعوب فقيرة مطعون ومحرومة من كل شيء.. وشخصية مثل بن لادن وتنظيم القاعدة، وجماعات مثل طالبان، هي التعبير الكامل عن مشاعر الغيرة والحسد والكراهية المبررة الوجهة ضد الحضارة الغربية، هذه الصورة هي

الصورة التي سعت وسائل الإعلام الغربية إلى تجسيدها للعالم الإسلامي، الذي يتربع بين لادن في القلب منه، علامة على وضع حضاري، ومستوى فكري، وعاء ديني يتخزل فيه العرب كل الأسباب التي أدت إلى الأحداث الأخيرة.



ويغض النظر عن الأسباب الحقيقية التي صنعت ظاهرة الإرهاب وكسأت مسئولة عن ولادة طالبان وبن لادن، وعن الأساليب الإرهابية التي استخدمتها الدول الكبرى في بسط نفوذها الاستعماري تارة والاقتصادي والسياسي تارة أخرى، فإن الحميمين عن العنف الأعمى والإرهاب الوحشي الذي أدى إلى سقوط عدة آلاف من الضحايا الأبرياء، فتح الباب أمام جدل واسع النطاق، أعيد فيه إنتاج واستحضار الصور النمطية للإنسان العربي والمسلم في العقل الغربي والأمريكي، وكانت هذه الصورة في برهة الاتهام التي وجهت إلى مشاتل من الحرب والمسلمين الذين يعيشون في الغرب، والذين كان عليهم أن يواجهوا الإرهاب القوي والفتن، ويغفوا عن أنفسهم أصابع الاتهام وملاحقات الشرطية في الشوارع والمطارات. فالحرب بملامحه الشرقية الغربية، وأسماط وعادات وأساليب حياته وجزوره الثقافية وأزيائه، ينسله ورجاله وأطفاله، إما أن يظهر، في صورة بدوي جاهل حملته ثروة النفط التي لا يد له فيها على ظهرها، فلا يعرف في الحياة شيئاً غير بعشرة أمواله في صالات ومخادع النساء، أو يظهر في صورة عنصرية متمحصة، تتسم بالجنسية والغلظة واتهام الذوق والسوء، مرشحاً بشئ لكى يلعب دور الإرهابي الذي يخطف الطائرات، ويلقي القاذب على الأبرياء، ويلجسج اللياني والسفارات، لا يعبأ بالعرفة والتقدم، ويكره حضارة الغرب ولا يجد ناسه فيها.



هم يسألون أنفسهم في الغرب: لماذا يكرهوننا؟ ونحن لا بد أن نسأل أنفسنا في الشرق نفس السؤال. هل هذه الصورة النمطية الناقطة بالاقتدار والاستعلاء هي التي تولد لديهم تلافيتاً مشاعر الغرائبية والخوف من الآخر أم أن هناك تياراتاً

عادية، لأسباب سياسية، هو الذي يفتي هذه المشاعر ويضخمها ويلج عليها في البنية الثقافية التي يعيش فيها المواطن العادي في الغرب؟ أم أن لدينا بالفعل من جوانب النقص والقصور والمارسات السلبية ما يشجع على تثبيت هذه الصورة النمطية، وتعميقها، وتحويلها في أي لحظة من اللحظات إلى أداة للهجوم، أو سلاح للضغط، أو محور للعداء؟ لقد أن الأوان، وباب الجدل حول هذا الموضوع مفتوح على مصراعيه في العالم كله. إن نظرت نحن داخل قوتنا، ونعيد تقييم أوضاعنا، ونقتش عن جوانب القصور التي تولد لدى الآخرين تجاهنا. وفي الغرب بالذات، نظرة الاستخفاف أحياناً، والتهام وإساءة الظن أحياناً أخرى، والعداء والاستعلاء والاستبعاد في كثير من الأحيان.

هناك إجابات كثيرة قد يضيق للمقام عن ذكرها. ولكن أول ما يتبادر إلى الذهن، هو وجود حاجز ثقافي حال دون تعريف الغرب بمنجزات الحضارة العربية والإسلامية، وغيب عن الفكر الأمريكي والأوروبي بدرجة لـل، الإسهام الثقافي والحضاري للشعوب العربية والإسلامية، فلا يكاد يهتم بها أو يطلع عليها غير دائرة محدودة من المثقفين والأكاديميين، أو الدبلوماسيين ورجال الأعمال الذين تقوهم ظروهم إلى هذه الأصناف. وحيث تغيرت وتبدلت المعايير التي يقاس بها التقدم الحضاري والإبداع الثقافي، فإن غياب الإسهامات العربية عن الحضور العالي في الفن والموسيقى والآداب والسينما من ناحية، وفي مجال العلوم والتكنولوجيا من ناحية أخرى، لم يدع لشعوب الغرب فرصة التعرف على الحياة العقلية والفكرية للعاصرة، وإذا اتبع له أن يطلع عليها جاءت مشوهة باهتة، ونحن من جانبنا لم نصنع شيئاً للتحلل على هذا القصور. ويتكفى للدلالة على ذلك أن يكون فيروز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب هو أول استكناك حقلي بيننا وبين الغرب، وأن يكون فوز زويل بنوبل في العلوم هو أول انتعاش عربي حضاري لعلوم الغرب وتقنياته للعاصرة.

يأتي بعد ذلك عامل آخر تحمل نحن مسؤوليته بالدرجة الأولى، يعود إلى إخفاقنا كمسلمين في تقديم الإسلام وفكره ومبادئه الحقيقية إلى العالم

العاصر.. مستشرقاً متحرراً من الجعود والتخلف، قادراً على مواكبة التجديد والتقدم والقيم الإنسانية التي تحكم العصر. فبينما نهجت المسيحية في تجديد نفسها خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، أخفق مشروع التجديد في الفكر الإسلامي الذي قادته محمد عبده، وسيطرت على الفكر الديني تيارات الجعود والمحافظة وتقليب النقل على العقل، فإننا أقمنا الخارجى لا يرى من الإسلام غير أكثر وجوه وموفاً وتخللاً وتفرغاً. ليصبح نموذج «طالبان» هو النموذج الذي يراه العالم وبماكم الإسلام والمسلمين..، وعين وقعت أزمة تماثيل بوذا، لم تطلع كثير المراجع الإسلامية في إنتاج «طالبان»، بالتراجع، ولم ير الغرب من الإسلام غير هذا الوجه القبيح الذي يحرم خروج النساء وتعليمهن، ويمنع الموسيقى والفيلسوفين، ويمنع خلق حصورها، وبلدى على دولة ترع شعرا الإسلام وتذكر، في استمالة أن تفهم أبواب العصر وأن ترتفع بمستوى تفهمها علماً وعملاً إلى مستوى معقول يضاهي دولاً أوروبية متوسطة التنمية لم يكن لها في التاريخ الإنساني إسهام يفتد به.

يتصل بذلك من قريب، غياب الشرعية السياسية التي تقوم عليها الدولة الحديثة في عالمنا المعاصر.. شرعية السلطة، وشرعية الحكم، وشرعية العدالة، الأمر الذي وضع الشعوب العربية على هامش المسرح الدولي، فلم يجد أحد يأخذ للشعوب العربية مأخذ الجد، إلا بقدر ما تفرسه المصالح العاجلة، والانتفارات السياسية المفاقمة، والنظرة السائدة إلى ظاهرة الإرهاب في هذا الجزء من العالم، هي أنها نتاج طبيعي لنظم الحكم الفاسدة، أو هي جزء من تكوين شعوبها التي، والظلمة والفريضة.. لا تعرف معنى الحرية والديمقراطية، بل تحكمها ثقافة القوف والقهر، وهي ثقافة لا بد أن تقضي بالضرورة إلى ثقافة الإرهاب.

هذه أسباب وعلا لا يحق لنا أن نلقها على صدام الحضارات، أو على إرث تاريخي من الكراهية والحروب الدينية والخلافات الثقافية، بل يجب أن نتحمل نحن مسئوليتها، ونبحث لها عن حلول من داخلنا وليس من خارجنا.. فقله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم!

سلامة أحمد سلامة

ضاعف مدخراتك مع وثيقة ادخار البنك العربي الذهبية



واحصل على الجنيئات الذهبية

- مدة الوثيقة ثلاث سنوات .
- تحقق أعلى عائد ١١,٢٥ % .
- يمكن الاقتراض بضمان الوثيقة .
- جنيه ذهب لكل ٢٥ ألف جنيه مصري .
- قيمة الوثيقة ألفين جنيه مصري ومضاعفتها .
- إمكانية استرداد كامل القيمة بعد ستة شهور من تاريخ الإصدار .
- يصرف نصف العائد شهرياً والنصف الآخر يستثمر حتى تاريخ استحقاق الوثيقة .

البنك العربي



لمزيد من المعلومات برجاء الإتصال بتليفون: ٣٠ ٩٤ ٨٨٨

أكبر شبكة مصرفية عربية

رئيس التحرير
سلامة أحمد سلامة
رئيس التحرير الفني
حمدي التوتوني
مدير التحرير
أيمن الصبيح

تصدر عن
الشركة المصرية للنشر العربي والدولي



رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعلم
عضو مجلس الإدارة المنتدب للإنتاج
أحمد الزينادي
المصير والمناصرة
هديل غنيم



تجبر المقالات المنشورة عن آراء مؤلفيها، ولا تعبر
بالضرورة عن رأي «وجهات نظر» إلا إذا أشارت إلى
ذلك صراحة

كتاب العدد :

- أحمد توفيق... مدرس طب المناطق الحارة بجامعة طنطا.
- أحمد جمال أبو الجهد... أستاذ القانون الدستوري بجامعة القاهرة.
- أمينة رشيد... أستاذ الأدب الفرنسي والممارن بجامعة القاهرة.
- تارون ج. شيجال... محاور مجلة Outlook الهندية.
- جمال أمين... أستاذ الاقتصاد بالجامعة الأمريكية في القاهرة.
- حسين عبدالله... أستاذ الاقتصاديات البنزول ووكيل سابق لوزارة البترول المصرية.
- طهاني التوتوني... لسان تشكيلى ومصمم جرافيك.
- سلامة أحمد سلامة... صحفي.
- سمير هيرش... صحفي أمريكي.
- صبرى حافظ... أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة لندن.
- عادل أبو زهرة... أستاذ العلوم السلوكية بجامعة الإسكندرية.
- محمد حسين هيكال... صحفي.
- محمد علي... لسان العام السابق للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة.
- ناصر الأنصاري... مدير معهد العالم العربى ببريس.
- يوسف الأحميد... صحفي وروائى.

رسوم العدد للفنانين :

محمد حجي - محمد حاكم - سعد الدين شحاتة



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقيه
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المسائل المنشورة
أو لجزء منها، بغير إذن كتابى مسبق من الناشر.



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربى والدولى
٣ ميدان مملكة حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت : ٢٩٢-٤٩٠ / ٢٩٢-٤٩٦ / ٢٩٢-٤٩٦ فاكس : ٢٩٢-٤٩٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (تحرير) : e-mail: info@alkotob.com

الاشتراكات :

العدد القراحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : بلغ مصر ١٠٠ جنيه مصرى . اتحاد برود
عربى ٦٠ دولار أمريكى . أوروبا وإفريقيا ١٠٠ دولار أمريكى . أمريكا وكندا ٨٠ دولاراً
أمريكياً . باقى دول العالم ١٠٠ دولار أمريكى .
إدارة الاشتراكات : شارع سيديى للمصرى - ص : ب ٢٢ البانوراما - مدينة نصر
هاتف : ٤٠٢٢٢٩٦ - ٤٠٢٨٥٤٦ فاكس : e-mail: weghat@alkotob.com

شمن النسخة :

فى مصر ١٠ جنيهات مصرية . السعودية ٢٠ ريالاً . الكويت ١٠٥ دينار . الإمارات ٢٠ درهم -
البحرين ديناران - قطر ١٠ ريالاً . عمان وريالان ليلتان ٥٠٠٠ ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن
ديناران ونصف - ليبيا دينار واحد - الجزائر ١٠ دينار - المغرب ٣٠ درهم - تونس ٤ دينارين -
اليمن ٢٠٠ ريال

Austria SCH 175 - France 30FF - United Kingdom £3

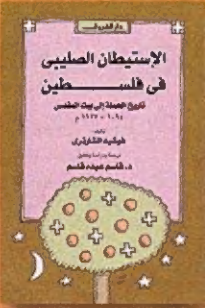
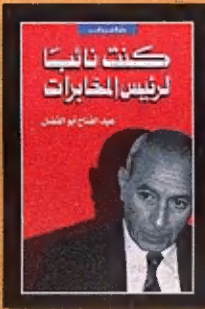
طبع بمطبع الشروق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٣ كلمة... فلال أفغانستان
- ٤ محمد حسين هيكال
«السياسة بين العلم والإرادة»
- ١٤ أحمد جمال أبو الجهد
«الإرهاب... والإسلام... ومستقبل النظام الدولى»
- ١٩ جمال أمين
«من بريطانيا ١٩٦٦ إلى أمريكا ٢٠٠١»
- ٢٠ سمير هيرش
«الدمسى أى إيه... وفشل الاستخبارات الأمريكية»
- ٢٤ همدى فريدى
«ما بعد طالبان»
- ٣٠ يوسف التميمي
«الفرار من أفغانستان... ماذا تقول رواية المرأة الأفغانى المعاصرة؟»
- ١ الهجرة من أفغانستان (رواية لغفانية) تأليف : مرال معروف
- ٢ مصكر الأرمال - تأليف : مرال معروف
- ٣٦ صبرى حافظ
«نايول الكاتب... والجزلثة»
Half a Life تأليف : فى .س . نايول
In a Free State تأليف : فى .س . نايول
A House For Mr. Biswas تأليف : فى .س . نايول
- ٤٠ تارون ج. شيجال «محاور»
نايول : «لا انتقل الدين بل الظروف والمؤثرات»
- ٤٤ حملى التوتوني
«لوحات طلاب جامعة بيرزيت : البراءة والبساطة... فن المقاومة»
- ٥٠ أمينة رشيد
«سهى بشارة... ملحمة من ملحاح المقاومة الوطنية»
Résistante تأليف : سهى بشارة
- ٥٥ ناصر الأنصاري
«فى الكتاب والمكتبة والكاتب... وجهة نظر من فرنسا»
- ٥٦ محمد البلباس
«فرانز فانون : صورة مناضل عاش أفكاره من المراهقة حتى الموت»
Frantz Fanon تأليف : ألبس شركى
- ٦٢ عادل أبو زهرة
«مفهوم جديد للامن الإنسانى»
- ٦٦ أحمد توفيق
«الرعب البيولوجى... القصة الحقيقية»
The Hot Zone تأليف : ريتشارد بريستون
- ٧٠ حسين عبدالله
«أزمة الطاقة فى الولايات المتحدة»
- ٧٣ وسبائل
- ٧٤ عروض موجزة
- ٧٨ لمرامات جديدة
- ٨٢ سلامة أحمد سلامة
«نؤن... لماذا أصبح المسلمون صيدا حلالاً؟»

دار الشروق

تقدم
أحدث إصداراتها



تطلب من:

دار الشروق: ٨ شارع سيبيه المصري، رابطة العلوية، مدينة نصر تليفون: ٤٠٢٢٢٩٩ ومكتبة الشروق: ١ ميدان طلعت حرب تليفون: ٢٩١٢٤٨٠

ومكتبة الشروق: مبنى فرست أمام حديقة الحيوان ٢٥ ش الجيزة محل رقم ١٩ تليفون: ٥٧٢٥٠٢٥

ومن المكتبات الكبرى